

# الرياضُ النّديّةُ

# فى

## الخطب والمواعظ الدينية

## الجزء الثانى


تأليف

حامد على زقزوق

من علماء الأزهر الشريف



الطبعة الثانية ٢٠٠١

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٢٢٥٧٨٨٢



## مقدمــــــة

أحمد الله عزّ وجلّ حمداً كثيراً متواصلاً منبعثاً من أعماق القلب على واسع فضله وغزير نعمه، وأصلى وأسلم على حامل لواء الدين الإسلامى، والمبعوث رحمة للعالمين، محمد صلوات ربى وسلامه عليه

وبعد: فهذا هو الجزء الثانى من (الرياض النديّة) وفيه تناولت كثيراً من الموضوعات الهامة فى دنيا الناس، وبتفاعلهم معها فى إيجابية وصدق يتحقق لهم حسن المسيرة الدنيوية، وبالتالى ينالون كل الخير من الله فى حياتهم الأخروية، وقد صغت ما كتبت بأسلوب بعيد عن الركاكة، خالٍ من التعقيد، وعبارات مشوقة غير منفرة، وخاطبت القراء الكرام من خلال (الرياض) بقلبى قبل قلمى، وبمشاعرى وأحاسيسى قبل المداد الذى به كتبت، وهأنذا أقدمها إلى القراء الأعزاء فى ثوب عطرى قشيب، ولعلى أكون وفقت فيما قدمت، وحالفنى الصواب فيما كتبت، وهذه (الرياض) المتمثلة فى جزئها الثانى تعانق شقيقتها فى جزئها الأول، وإنى لأدعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهما، ويجعلها فى ميزان حسناتى، وأن يوفقنى إلى الكتابة النافعة فى غيرهما، ويمنحنى الصحة حتى أستطيع تقديم ما هو أفضل وأجدى، وما توفيقى إلا بالله، وما العون إلا من الله، واللهم علمنى ما جهلت، وذكرنى ما نسيت، واشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى، وأنر عقلى وقلبى، ووجِّهنى بعونك إلى الاغتراف من المعين الفياض الذى لا ينضب، معين العلم والمعرفة، وأنت سبحانك خير معين، وأنت على كل شىء قدير

**حامد على زقزوق**

**من علماء الأزهر الشريف**

# الإهـــــداء

تلك هديتى المتواضعة، أقدمها على استحياء إلى روح والدىّ عليهما الرحمة والأجر من الله.

وإلى أبنائى وابنتىّ وإخوتى وأخواتى أحياءً وأمواتاً.

وإلى الأهل جـمـيـعـاً وأبناء قـريتى (الضـهـرية) ومـحـافظتى الدقـهلية وإلى مصرنا الغالية.

وإلى الدعـاة الذين يحـملون راية العلم والتنوير، ويدعـون إلى سـبـيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإلى كل قارىء أو مستمع للرياض، أقدم تحيتى وهديتى

والمرجو من الله تعالى أن تنال هديتى القبول لدى كل من ذكرت، ولهم منى جميعا أخلص الدعاء وأطيب الثناء، والله الموفق، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وبمشيئة الله سأتبع الجزء الثانى من الرياض بآخر إن كان فى الأجل بقية وتحت مظلة الصحة.

حامد علي زقزوق

من علماء الأزهر الشريف

# (١)
# الزواج سنة وضرورة

## ١ ـ الزواج سنة وضرورة

الحمد لله شرع الزواج تحصيناً للفرد والجماعة، وهو وسيلة إلى السكن والمودة والرحمة، وباعث من بواعث الترابط والألفة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل فى الزواج تقارباً بين العائلات، وتعاوناً بين الجماعات، وحفظاً للمجتمع الإنسانى من الانقراض، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، رغب فى الزواج لما له من منافع كثيرة، وأشاد بنتائجه الطيبة ومزاياه الجمة، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين تزوجوا امتثالاً لأمر الدين، وحفظاً لأنفسهم من الوقوع فى المحرمات، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الموحدون: كل أوامر الدين تستهدف نفعنا وسعادتنا، وكل نواهيه إنما هى من أجل حفظنا وحفظ مجتمعنا، وكل ما يدعو إليه الإسلام ويحث عليه فلأهداف سامية وغايات نبيلة، ولقد دعانا ديننا الإسلامى فيما دعا إليه إلى الزواج، لأنه السبب فى بقاء النوع الإنسانى، والوسيلة الشريفة فى المحافظة على الجنس البشرى، وهو سنة نبوية وضرورة اجتماعية، ومدعاة إلى نبذ الفساد وحفظ الفروج، والبعد عن النظرات الآثمة إلى المحرمات من النساء، وفى ظل الزواج تتحقق راحة النفوس، وسرور الأفئدة، وانشراح الصدور، والشعور الحقيقى بالسكن والمودة، ويؤكد تلكم المعانى السامية قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى القرآن الكريم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) ثم إنه بسبب الزواج يصير البعيد قريباً، والأجنبى صهراً وحبيباً، وبالزواج يكون التعاون الخلاق بين الناس، والحب المتبادل فيما بينهم، وهو تعمير لدنيانا بالتناسل والذرية، وتلك هى البهجة تملأ القلوب حين يرى الناس ثمرة الزواج متجسدة فى أبنائهم وبناتهم، أولئك الذين يحملون الراية من بعدهم، وينفعون أوطانهم ويذودون عن بلادهم، وينهضون بها ويرفعون شأنها، إن الآباء حينذاك يعيشون فى جو المسرات، وذلك لأن أزواجهم وذرياتهم قرة أعين لهم، وهؤلاء هم عباد الرحمن كان من دعائهم ما جاء

فى القرآن الكريم ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: ٧٤)

أيها الإخوة: لولا الزواج الشرعى لكان الشَّرُّ الماحق، والفساد المدمر، والهلاك والفوضى، إذ إن المياه فى غياب الزواج تختلط ببعضها، وتضيع الأخلاق الفاضلة، ويشيع الانحلال فى أبشع صورة، ولولا الزواج ما كان تعاون بين الناس، ولما وجد تآلف وتعاطف، ولا تقارب وتآزر..

إن الزواج الشرعى الذى جاء به ديننا الإسلامى فيه كل الخير، فهو حماية للأخلاق والقيم، وصيانة للأعراض ودرء الأخطار عنها، وهو حفظ للأنساب، وتهذيب وتربية للنفوس، وفوائده كثيرة ومزاياه غزيرة، وبالزواج يكمل الدين، وتحسن مسيرة الإنسان فى دنياه، فلا ينظر إلى محرم، ولا يقع فى وهدة الزنا، ولا ينحدر إلى قاع الرذيلة ومهاوى الفجور، وإنما يكون فى إطار العِفَّة، ودائرة الطهر، والأخلاق الفاضلة والكمال الإنسانى، وما دام الزواج بهذه الصورة المتألقة، وله هذه المزايا الجَمَّة والآثار الحميدة، فإنه - والحال هذه - يجب أن يبادر كل قادر إلى التزوج، وألا يحجم عنه أو يتأخر، والتبكير بالزواج خير من تأخيره، لأن فى التبكير فرصة لتربية الأولاد، وإعدادهم الإعداد الصالح لمستقبل حياتهم، وتهيئتهم للقيام برسالتهم فى المجتمع الذى يعيشون فيه، فيفيدون ويستفيدون، وينفعون وينتفعون، وبهذا يسعد الآباء أيّما سعادة، وتمتلىء قلوبهم غبطة، لأنهم أدركوا ثمرة التربية لأولادهم، ولمسوا نتيجة إعداد أبنائهم، وما كان لهم أن يدركوا ذلك ويلمسوه، إلا لأنهم وجدوا الفرصة أمامهم لتوجيه الذرية، والزمن الذى مكنهم من أن يروا ثمرة جهودهم فى ميدان التربية السليمة، المبنية على دعائم الدين، وسمو الأخلاق، ونبل السجايا، وإنه لمن الخطأ الجسيم أن يتباطأ الإنسان فى زواجه وهو قادر وليست أمامه عوائق، وليس من الدين أن يطول العمر دون زواج، إنه بهذا التصرف وذلك السلوك، يفوت الفرصة، ويضيع الزمن بلا فائدة، وهو بهذا التسويف لا يستطيع تربية أولاده، وهو لا يضمن أن يمتد به الأجل لكى يقوم بتوجيه ذريته، إذ إن الله تبارك وتعالى هو الذى يعلم تحديد الأعمار، وهو كذلك قد لا تتيسر له الظروف المناسبة التى تمكنه من القيام بأداء رسالته الأبوية،

حيث إنه معرض للضعف والمرض والعجز، وربما أدركته المنية ولديه أطفال صغار ضعاف، وقد لا يجدون من لا يقوم بتربيتهم، أو يمد يد العون لهم، أو يعمل على حسن مسيرتهم، وعندئذ يتخبطون فى حياتهم، وينحرفون فى دنياهم، ويمارسون أموراً ليست فى صالحهم، وليست فى صالح مجتمعهم، وقد تصل بهم الحال إلى أن يكونوا معاول هدم لمستقبلهم ومستقبل أوطانهم، وحينذاك تكون الكارثة العظمى والطامة الكبرى، ومن هنا وجب التبكير بالزواج، وتيسير السبل المؤدية إليه، تجنباً لسوء العاقبة، وبعداً عن وخامة المصير، والرسول ﷺ أمر الشباب بالتزوج عند وجود القدرة على الزواج، لما يترتب عليه من خير للفرد والجماعة، وانعكاسات آثاره الطيبة على الوطن، حيث قال ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»

إنه أمرٌ محمدى وراءه الخير، وهو يهدف إلى حياة فاضلة، بعيدة عن الدنس، خالية من الرذائل «**فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» وإذاً فالتباطؤ فى الزواج تنشأ عنه مشاكل خطيرة، ومنها كثرة الفتيات العانسات، وضياع زمن نضارتهن وحسنهن، وذبول جمالهن وبهائهن، ونتيجة لهذا يفوتهن قطار الزواج، وينصرف عنهن من يريدون الزواج، ومن ناحية أخرى فإن هناك مشكلة شديدة الخطر كثيرة الضرر، وتتمثل هذه المشكلة التى تنطوى على الشرّ الكبير، فى أن الشيطان فى ظل العنوسة سيجد أمامه الأرض الخصبة لوساوسه، والطريق الممهدة لنزغاته، وعندئذ يزين لفريسته الوقوع فى جريمة الزنا، وليس ذلك بالنسبة للأنثى فحسب، وإنما لها وللذكر أيضا، ويظل الشيطان يحوم حول الفريسة، وبتضييق الخناق عليهما يصل إلى مآربه، ويحقق هدفه.. إن الشيطان يحاول بشتى الوسائل النجاح فى وظيفته، وبتزيينه المتواصل ووجود الضحية من الجانبين، يكون الانحراف الخطير، والارتماء فى أحضان الرذيلة، وهتك الأعراض، وتمزيق ثوب العفاف، ابتغاء شهوة حقيرة دنيئة، وإشباعاً لرغبة جنسية فى غير موضعها الشرعى، وبهذا السلوك المنحرف الشاذ، يكون الوبال والشرور، وانتشار الأمراض، نتيجة لارتكاب تلك الجريمة مع هذه وتلك، ومتى انتشر المرض

بين من يقومون بهذا العمل الشائن، امتد إلى المجتمع وقضى عليه، وبالتالى تحل لعنة الله وغضبه على من تشيع بينهم الفاحشة. إن العلاج الناجح للخروج من هذا المأزق الخطير، يتمثل فى تيسير المهور، وعدم المغالاة فيها، ودين الإسلام يدعونا إلى اليسر، وهو قد بنى أحكامه عليه، وبهذا نمهد الطريق أمام الشباب ونقضى على ظاهرة الإحجام عن الزواج وما يترتب على ذلك من مفاسد، وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» (البخارى).



# (٢)
# المغالاة فى المهور ضرر كبير

# ٢- المغالاة فى المهور ضرر كبير

الحمد لله أكرمنا بالانتساب إلى دين الإسلام، ذلك الدين الذى بنى على السهولة واليسر، وعدم المغالاة والتشدد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، جاءنا بدين عظيم، جمع كل المحاسن، وحوى كل الفضائل، ودعانا إلى سلوك طريق النور والخير، والعمل لأخرانا ودنيانا، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذيم هدوا إلى الصراط المستقيم، وقاموا بواجبهم نحو ربهم رب العالمين، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأعزاء: هناك ظاهرة خطيرة تفشت فى عصرنا الحاضر، وهى ظاهرة تنذر بالشرّ المستطير، والضرر الكبير، والبلاء العظيم، وتتمثل فى غلاء المهور ووضع العقبات فى طريق الزواج، وفى كل يوم نرى المغالاة فى المهور تزداد اتساعاً، وقد امتدت هذه العدوى فى كل مدينة وقرية فى جمهوريتنا الحبيبة، ونحن نسمع بين الحين والآخر، أن فلاناً من الناس طلب من المتقدم لابنته مبالغ خيالية تثقل كاهله، وطالبه بكذا وكذا من الكماليات، مما يجعله عاجزاً عن تلبية طلباته، ونافراً من تلك الزيجة التى وضعت فى طريقها الأشواك، وملئت بالعقبات، وله الحق كل الحق فى هذا النفور، لأن اشتراط أشياء مرهقة لا يستطاع الوفاء بها، ولا يمكن القيام بأدائها، من شأن ذلك الإحجام عن الزواج، والانصراف إلى الانحراف وسوء السلوك، وهكذا نسمع من وقت لآخر، اتساع نطاق تلك الظاهرة الاجتماعية الخطيرة، التى تقف حجر عثرة فى سبيل ما شرعه الله، وهناك ما هو أشد وأخطر، وأدهى وأمر، إذ إن بعض الآباء يستولون على جزء من مهور بناتهم، ويقتطعون حصة من المال المقدم من قبل الزوج مهراً للزوجة، ويستخدمون ما استولوا عليه فى شراء أرض أو إقامة بناء لصالحهم، أو استثماره فى مشروع من المشروعات، أو غير ذلك من ألوان الاستخدام، إن هذا التصرف يحدث من بعض الآباء ولحسابهم، وهو تصرف لا يرضى عنه الله، إذ إن

المهر كله كبيراً كان أو صغيرا من حق من تتزوج، وليس لأبيها أو لأى فرد آخر من أهلها الحق فى شىء منه، فهو لها كاملاً غير منقوص، وهو يخصها وحدها دون غيرها كما قرر الإسلام، فهل أولئك الآباء أو غيرهم يفهمون أن البنات سلعة تباع وتشترى؟ وهل هم اعتبروا أن الزواج صفقة يربحون من ورائها؟ إنه لا شىء من ذلك يقره الإسلام، والدين برىء من هذه التصرفات.

إن الدين قرر المهر ليكون رمزاً على قيام حياة زوجية، ووضع لبنة جديدة فى بناء المجتمع، وهو لم يكن نظير سلعة ولا مقابل شىء يشترى، وإذاً فلماذا يعمد بعض الآباء إلى أخذ ما لا حق لهم فيه؟ ولماذا يغالون فى المهور بهذه الصورة المنفرة؟ إن هذا التصرف لا يتفق وتعاليم الإسلام، وهو تعطيل لأمر شرعه الله وطلب التيسير فيه، فليقلع الآباء عن تلك العادة الممقوتة، وليدركوا جيداً أن الزواج الذى يبنى على التعقيد والاستغلال يكون سريع الانهيار ولا يعمر، ولن يكتب له الاستمرار لأن بناءه هَشّ، ولأنه خرج عن الإطار الذى رسمه الدين، ولأنه أريد به ما يعطل مسار الحياة.

أيها الإخوة: إن الإسلام يحرص على إتاحة فرصة الزواج، من أجل غرض نبيل، ومعنى سام جليل، وهو بناء العائلات، وعمارة الكون، وصون المجتمع الإنسانى من الفساد، وحفظ الجنس البشرى من الانزلاق فى مهاوى الشهوات، ومن أجل تحقيق هذا الهدف النبيل، دعا الدين إلى تيسير الصداق وعدم التعسير، وحثّ على تذليل العقبات التى تعترض الطريق، وكره الإسلام التغالى فى المهور، وقرر أن الزواج المبارك الميمون، هو ما كان بعيداً عن المغالاة، ومبنياً على اليسر والسهولة، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قرر هذه الحقيقة حيث قال: "إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة" (رواه أحمد) وبين فى حديث آخر بأن السعادة الزوجية ويمن المرأة يتمثلان فيما جاء عنه بقوله" "يمن المرأة فى خفة مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها" (رواه أحمدُ)

وإذاً فالزواج الميسر هو الزواج المبارك السعيد، الذى فى ظله يعيش الزوجان فى رغد من العيش، وهناء الحياة وسرور النفس، أما الزواج البعيد عن روح التيسير، والقائم على بناء التعقيد، فمصيره مهدد وحياته قصيرة، وإذا قدر له أن

يطول، فلن يحيط به جو السرور، لأن الزوج سيعكس حالته النفسية السيئة على قرينته، وستكون ديونه التى كان سببها هذا الزواج منغصة حياته، وستكون معاملته لزوجته معاملة سيئة، لأن زواجه بها هو السبب فى تراكم الديون عليه، وسيظل نتيجة لهذه الديون فى حالة ارتباك وقلق نفسى، لأنه مطالب بسدادها ولكنه لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً، ومن أجل هذا تكون الحياة الزوجية شراً وبلاءً.

أيها الإخوة: هذا هو عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - وهو ذلك التاجر الكبير، وذو المال الوفير، والثراء العريض، إنه مع هذا كله لم يزد صداق المرأة التى اقترن بها على خمسة دراهم، مع أنه يستطيع أن يعطى الكثير الكثير، ولكنه أعطى القليل القليل، وكان زواجه زواجاً مباركاً ميموناً، وهذا الرجل جدير بأن يكون نموذجا يحتذى، وأسرته عاشت فى ظل هذا الزواج الميسر فى هناء وحبور، وجدير كذلك بأن تتخذ أسرة زوجة عبد الرحمن بن عوف قدوة حسنة لكل أسرة.

إن المهر الحقيقى المبارك، يتمثل فى شىء أسمى من المهر الكبير المرهق، وهو الدين والخلق الفاضل، وحسن المعاملة والمعاشرة، والتحلى بالسجايا الحميدة الكريمة، وقد وجهنا الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إلى هذا المعنى العظيم بقوله: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير" (الترمذى) وعلى ضوء هذا القول المحمدى، فإن الميزان السليم ليس فى المادة فقط، وليس المعيار الصحيح فى كثرة المهر وما يصحبه من مستلزمات أخرى، وإنما الميزان السليم فى تحلى الزوج بالشمائل الشريفة والخلال الحميدة، ثم إن الدين حثنا على عدم تأخير الزواج بالبنت بسبب المادة، ومن الحكمة والمصلحة التعجيل بزواجها عندما يتقدم لها الرجل المناسب، وهذا قول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -: "ثلاث لا تأخروهن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيِّم إذا وجدت لها كفؤا" (الترمذى) ومعنى الأيِّم التى لا زوج لها سواء كانت بكرا أو ثيباً.

فيا أيها الآباء: ليس من الدين المغالاة فى المهور، وليس من المروءة أخذ شىء من الصداق، فيسروا ولا تعسروا، وخففوا ولا تعقدوا، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: "خير الصداق أيسره، وخير النساء أيسرهن مهوراً" (أحمد وأبو داود).

# (٣)
# دواعى اختيار الزوجة

## ٣ ـ دواعى اختيار الزوجة

الحمد لله خالقنا وخالق كل شىء بقدرته وطبقاً لمشيئته، وهو سبحانه المالك لكل شىء دنيا وأخرى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وهو جلّ شأنه قد أحاط بكل شىء علما، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفوته من خلقه، والمبعوث رحمة للعالمين، والداعى إلى صراط الله المستقيم، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، السابقين إلى دعوة الإسلام، والمطمئنة قلوبهم بذكر الله، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباب: الزواج يوفر السعادة والخير متى روعى فيه حسن الاختيار، وهو يهدف إلى صلاح حال الفرد والوطن، ولهذا كانت الدعوة الإيمانية الملحة بحسن اختيار شريكة الحياة، وليس كل الناس يحققون ما دعا إليه رسول الإسلام، من أن تكون الزوجة ذات خلق ودين، إذ إنهم يتفاوتون فى اختيار الزوجة، ويتباينون فى نظرتهم إلى من يقترنون بها ويعيشون معها، ولكل إنسان وجهة نظر فى الحياة الزوجية، والناس دائماً سيكونون كذلك، مختلفين فى نظرتهم، متباينين فى اختيارهم، ولا يزالون ـ ما دامت الحياة الدنيوية ـ مختلفين، ولنلق نظرة على واقع الناس فى هذا الشأن، ومن خلال تلك النظرة سنجد أن هناك من الناس من ينظر إلى الناحية المادية فى زواجه بشريكة الحياة، ويحصر كل اهتمامه بما لدى أسرتها من أموال وعقارات، ويهمل ما عدا ذلك من بواعث أخرى، وهذا الصنف من الناس لا يهمه إلا أن يقترن بصاحبة المال الواسع ولو كانت دميمة الأخلاق، قبيحة المنظر، ويميل إلى ذات الثروة الطائلة ولو كانت سيئة السلوك، ناقصة العقل، منحرفة فى مسيرة الحياة، هذا هو ميله، وتلك هى نظرته، وذاك هو أمله، والدافع إلى ذلك، إنما هو الطمع فى المال، والتطلع إلى ما فى يد الغير، فالمادة هى الهدف والغاية، والمال هو المسيطر على التفكير، ولذا ليس هناك اهتمام بما سوى ذلك، وليست لدى هؤلاء الذين بهذه الصورة نظرة إلى أى باعث آخر من بواعث الزواج، وهذا الاتجاه خاطىء كل الخطأ، وما أكثر ما أدى هذا الاتجاه

السيء إلى عواقب وخيمة، ونتائج سيئة إذ إن هذا النوع من النساء يفرض سلطانه على الرجال، ولذا يصير الرجل تابعاً لامرأته، ويكون رهن إشارتها، وينفذ جميع رغباتها، ولو كان ذلك على حساب الشرف والكرامة، وإذا رزق هذا الزوج صاحب النظرة المادية بذرية من صاحبة الغنى والثراء، فإن البنت ستكون صورة طبق الأصل من أمّها فى السيطرة والغطرسة، وفرض السلطان، والاستعلاء والعظمة، ويكون الابن صورة من أبيه، فى الخنوع وضعف الشخصية، وإهدار الرجولة، والتبعية وعدم الكرامة، وإذاً فهذا الاتجاه المادى يؤدى إلى كثير من المخاطر، وفى ظله تكون الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق، خالية من السكن والمودة والرحمة والكرامة، حيث إن المرأة هى الآمرة الناهية، وهى ذات الصوت المسموع، والمطاعة فى كل ما تقول، وهناك من الناس من يختار شريكة حياته من أسرة ذات حسب ونسب والهدف من هذا الاختيار إنما هو الفخر الزائف بمجد أسرة الزوجة، واستمداد العظمة ممن يصاهرهم، وتلك نظرة ضيقة خاطئة، وذلك اتجاه غير محمود، ما دام الدين لم يكن فى إطار ذلك الحسب والنسب، وهذا الشخص الذى يسير فى هذا الاتجاه إما غافل أو متغافل، لأنه يجر نفسه إلى المهانة، حيث إن زوجته حين يحدث خلاف بينهما، تعدد مظاهر مجدها وشرفها، وتطعن الزوج فى أسرته، وتعيره بعائلته، وتصوب سهام لسانها إليه وإلى بيئته، وتتفوه بألفاظ جارحة له ولأبيه ولأمه، وهكذا تظل تحطمه وتهينه وتحقره، ويسمع الأولاد ما تقوله الزوجة من ألفاظ قبيحة وعبارات شائنة لزوجها، فينشأون معتزين بأمهم وبعائلتها ذات الحسب والنسب غير مقدرين عائلة أبيهم التى وجه العيب إليها، وينظرون إلى أبيهم نظرة استخفاف وازدراء، وإلى أمّهم نظرة احترام وتقدير، وما أسوأ الحياة الزوجية التى تكون بهذه الصورة السيئة.. وهناك من الناس من يلجأ إلى اختيار ذات الجمال الباهر والحسن الفائق، ويتغاضى عما عدا ذلك من الدين والخلق الفاضل، ومثل هذا الزوج الذى يبنى حياته الزوجية على الجمال وحده، أخطأ فى هذا البناء، ولم يوفق فى زواجه، وستكون حياته ذات هزات، ولن يجد فيها الخير، ولا يكتب لهذه الزيجة النجاح، والحياة الزوجية السليمة المستقرة لا تقوم على الجمال وحده، وإنما لابد أن يكون مع الجمال الدين والشرف، والعفة والطهارة، والأخلاق الإيمانية العالية، والجمال الخالى من هذا المقومات وتلك

السجايا، قد يغر صاحبته، وتخدع بحسنها الفائق، وجمالها الصارخ، فتتمرد على الزوج ولا تقيم له وزنا، وقد تنحرف وتسير فى طريق الرذيلة، غير آبهة بزوجها، ولا مكترثة بعواقب عملها، وبهذا يكون شرف زوجها فى الحضيض. والرجل الواعى الذكى الفاهم، العاقل الرشيد، هو ذلك الذى يتخير ذات الدين التى تكون شريكة حياته، ويتزوج صاحبة الأخلاق الكريمة، لأنها بأخلاقها ودينها تحسن عشرته، وتطيعه إذا أمرها، وتصون عرضها إذا غاب، وتحافظ على ماله ولا تعرضه للتلف، وتسره إذا نظر إليها ولا تزدريه، وتعينه على خيرى الدنيا والآخرة.

إن الدين هو الأساس السليم فى اختيار الزوجة، وإذا اجتمع المال والجمال والحسب مع الدين فذلك خير وبركة، لأن الدين سيكون أساسا لما سواه، ودعامة لغيره من مرغبات الزواج، فليكن الزواج مبنيا على الدين، وبهذا يكون زواجا سعيدا مباركا فيه، إن الجمال وحده أو الحسب وحده، أو المال وحده، كل أولئك دون الدين لا يؤدى إلى النتيجة المرجوة من الزواج، إذ إن الدين هو الميزان الحقيقى لنجاح الحياة الزوجية، والأساس القوى للسعادة الوارفة الظلال والرسول صلوات الله وسلامه عليه أخبرنا فى حديثه الوارد بشأن مرغبات الزواج بأن الدين هو الأساس، وأنه على رأس تلك البواعث، وفى المقام الأول من دواعى إقامة الحياة الزوجية الناجحة السعيدة، وذلك فى قوله المحمدى "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" (البخارى ومسلم) والتعبير بقوله: "تربت يداك" كناية عن الفقر والخسارة إذا لم يكن الباعث الأول على الزواج هو الدين، ومن المؤسف كل الأسف أن يتجه كثير من الشباب عند الزواج إلى غير الدين، وينحصر تفكيرهم فى غيره من البواعث الأخرى سواه، مع أن الدين هو صمام الأمن والضمان لحياة مستقرة سعيدة، وهذا عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - يعطينا درسا عمليا فى ذلك الميدان، حيث إنه فى ليلة من الليالى كان يتفقد أحوال رعيته، فسمع امرأة تأمر ابنتها بخلط اللبن بالماء، فقالت البنت لأمها: إن أمير المؤمنين نهى عن غش اللبن فقالت لها الأم: إن أمير المؤمنين نائم وهو لا يرانا، فقالت لها البنت: إذا كان أمير المؤمنين نائما ولا يرانا، فإن الله تعالى لا ينام وهو يرانا، وإن نجونا من عقاب الدنيا فلن ننجو من

عقاب الآخرة، فسرّ أمير المؤمنين بهذه البنت واختارها زوجا لأعز أولاده، وكان من ذريتها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، ويتضح لنا من ذلك أن الدين يجب أن يكون الباعث الأول فى اختيار الزوجة وذلك ليكون الزواج سعيدا وتكون الذرية مباركة، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**» (البخارى، ومسلم)

* * *

# (٤)
# ما المطلوب قبل الزواج؟

## ٤ - ما المطلوب قبل الزواج؟

الحمد لله خلقنا فى أحسن تقويم، وخلق كل ما فى الكون بقدرته التى لا نهاية لها، لأنها مرتبطة بذاته الكريمة جل شأنه، وذاته سبحانه لا بداية لها ولا نهاية، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا مثل ولا منازع له، ومن نازعه أخذه سبحانه أخذ عزيز مقتدر، وانتقم منه أشد الانتقام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، إمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وحبيبنا وحبيب رب العالمين، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الذين أسرعوا إلى اعتناق العقيدة الإيمانية، وقاموا بواجبهم نحو تلك العقيدة بصدق وإخلاص، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحبة: هناك خطوات تتخذ قبل الزواج، وأسس لابد منها والعمل بها قبل بناء الحياة الزوجية، ومنها توافر الدراسة والمعرفة بمن يراد الزواج بها، وبهذا الأسلوب الأمثل، يقام الزواج على دعائم الاستقرار والسعادة، أما إذا لم يسبق الزواج بالمعرفة، ولم يقم على الدراسة، فإنه يكون عرضة للهزات، سريع التداعى والانهيار، وديننا الإسلامى يهدف إلى سعادة كل من الزوجين، ولهذا يقرر تيسير الرؤية لطالب الزواج بمن يريد الاقتران بها، وتيسيرها كذلك للأنثى بمن سيكون شريك حياتها، ولكن الدين أحاط هذه الرؤية بالضمانات الكفيلة بتوفير الأدب والمروءة والأخلاق، ولم يسمح الدين بالنظر إلى المخطوبة إلا إلى وجهها وكفيها وبحضور أهلها، ودون أن تترك الفرصة للخاطب والمخطوبة للخلوة، لأنه ما اجتمع اثنان فى خلوة إلا كان الشيطان ثالثهما، وبحضور الشيطان معهما تحدث الفتنة، ويحدث ما لا يحمد عقباه، ولكى لا تصل الأمور إلى هذه المرحلة، كان لابد من الحيلولة بين الخاطبين من الخلوة، وكان من الضرورى أن تكون الرؤية أمام الأهل.. ولماذا كان النظر إلى الوجهين والكفين دون الأعضاء الأخرى؟ إن الحكمة من ذلك النظر الشرعى، الذى يتمثل فى الوجه والكفين، لأن الوجه هو الذى يمثل جمال المرأة فبرؤيته يكون الأمر واضحا لدى الخاطب، ويعرف ما إذا كانت التى تقدم لخطبتها جميلة أم دميمة، وأما بالنسبة للكفين

فهما يمثلان خصوبة البدن، فبرؤيتهما تتضح الصورة، وعندئذ توجد الرغبة فى الزواج إذا وجد الجمال والخصوبة، أو عدم الرغبة إذا لم يكن هناك جمال ولا خصوبة، وإذاً فبعد الاقتناع بما وراء تلك الرؤية المقررة شرعا، يتقدم الرجل للزواج بمن رأى فيها ما ينشده، والدين إذ يرغب فى تلك الرؤية الشرعية، ويجعلها من مستحبات الزواج، فانها السبيل إلى إيجاد الجو الذى يبرز مكنون الفؤاد ومستور النفس، ولأنها هى الوسيلة إلى تآلف الأرواح أو تنافرها قبل الإقدام على بناء الحياة الزوجية، وبتعارف الأرواح وتوافقها ما يؤدى إلى سعادة الزوجين، والأرواح كما يقول رسول الإسلام: جنود مجندة، فما يتعارف منها يكون الائتلاف بينها، وما لا يتعارف لا يكون بينها ائتلاف، «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» (البخارى ومسلم) وقد ثبت أن الرسول ﷺ قال للمغيرة بن شعبة عند خطبة امرأة: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» (الترمذى) ومعنى ذلك أن تحصل بينهما موافقة قلبية، وملائمة روحية، وألفة نفسية، ومودة زوجية، بناءً على الرؤية التى قررها الدين، وأمام الأهل وعدم الخلوة، وإذا كان الدين قد رسم لنا طريقة الرؤية وبين لنا كيفيتها، فلا مجال إذاً لترك الحبل على الغارب، وتعدى الحدود التى رسمها، وتجاوز التعليمات الإسلامية إلى ما هو أبعد من ذلك، وإلا كان الخطر الداهم، والشر المستطير، وقد يتساءل البعض من الناس ويقال: إن تقاليدنا وعاداتنا لا تسمح برؤية من يريد أن يخطب منا، ونقول لهؤلاء الناس: إن تقاليد الإسلام كلها لمصلحة الناس ونفعهم، وبتطبيقها التطبيق الأمين يكون الخير كله، وليس فى تعاليم الإسلام ما يخدش الكرامة أو يجرح المروءة، ويقرر الإسلام كذلك عند إرادة الزواج، رضا الطرفين دون إكراه، ورغبة كل منهما فى الآخر بلا ضغط، ولهذا يؤخذ رأى المخطوبة، ويتعرف على ما فى نفسها من قبول أو رفض، والمخطوبة إما أن تكون بكرا أو ثيبا فإذا كانت بكرا فتستأذن وإذا لم تعط رأيها صراحة وسكتت، فهذا السكوت يعتبر إذنا ولا تزوج إن نفرت أو منعت، ويستحب إعلامها بأن صمتها إذن منها، وإذا كانت ثيبا فلها الحق فى إبداء رأيها صراحة، والطريقة المثلى أن يكون الأمر شورى بين المخطوبة وولى أمرها وأمها، وألا يبنى الزواج على الضغط أو التهديد، لأن ذلك التصرف يؤدى إلى عكس النتيجة المرجوة من الزواج، ولا شك

أن الزواج إذا قام على الرضا والرغبة المتبادلة بين الطرفين، كان ذلك أدعى إلى النجاح والسعادة، وإنه لما يؤسف له أن يكون هناك خروج على الإطار الذى رسمه الدين، وذلك بالاختلاط الآثم، والخروج السافر، والصحبة الشيطانية، والخلوة الإبليسية، ونتيجة لهذا يحدث ما يخدش الكرامة الإنسانية، ويمزق ثوب العفاف، ويشوه وجه الحياء، وتشيع الفاحشة، وينتشر الوباء الخلقى، وما السبب فى وقوع هذا الوباء وذلك البلاء؟ إنه لترك كل من الخاطب والمخطوبة دون رقابة، واختلاطهما بعيدا عن الأعين، وما إلى ذلك مما يترتب عليه وقوع المآسى والشرور، مما يسر الشيطان ويجعله فى نشوة الفرح، والشيطان يحاول بشتى الوسائل أن يعبث بعقول أهل الخلوة، ويلعب بقلوب الشباب من الجنسين، وضحاياه كثيرون، وهو ناجح فى هذا الميدان، وإذا أردنا الحفاظ على الأخلاق، فيجب أن تكون هناك يقظة من جانب الآباء، وأن يكون للأم دورها فى هذا الميدان، ومن المسلم به والواضح، أن المخطوبة تعتبر أجنبية عن الخاطب مادام لم يعقد القران عليها، ولو أن الخطبة تكون محصورة فى إطار الدين والأخلاق، فإنه لا يحدث شىء من المصائب والفضائح.. ثم إنه مما يراعى قبل الزواج ليكون ناجحا، أن يكون الخاطب كفؤا للمخطوبة فى الفضائل التى يعتز بها الناس فى حياتهم الاجتماعية وبالأخص فى الناحية الدينية، وأن يكون أهلا للاقتران بها ومصاهرة أهلها، وأن تتوافر فيه كذلك الكفاءة فى الناحية العلمية، بهذا تكون الحياة الزوجية مبنية على أساس قوى متين، يوفر لها الاستمرار فى ظل الغبطة، ويؤهلها للقيام بوظيفتها الاجتماعية فى هدوء واستقرار أما إذا لم تتحقق الكفاءة بين الزوجين، أو أهمل شأنها، ولم تراع قبل الإقدام على الزواج فإنه - والحال هذه - تكون الحياة على غير ما يرام، وذلك لما تتعرض له من سحب وغيوم، وما يكتنفها من نفور، وعدم خضوع الزوجة لزوجها، وتمردها عليه وتحويل حياتهما إلى جحيم، إنها فى ظل ذلك، تكون حياة زوجية فاشلة، يسودها الاضراب والتخلخل، والجفاء والخصومة والتقاضى أمام المحاكم، وما يتبع ذلك من تبديد الأموال لدى المحامين، وبالإضافة إلى ذلك، فهناك القلق النفسى، وتوتر الأعصاب، وانهيار الروابط وامتلاء القلوب بالعداوة والبغضاء.

أيها الآباء: تخيروا لبناتكم الرجل المناسب وكونوا أمناء فى ميدان الزواج، ولا تكونوا سلبيين عند زواج بناتكم، وكونوا يقظين عند فترة الخطوبة، بحيث لا تتركوا البنات دون مراقبة ويقظة، لأننا الآن نعيش فى عصر كثرت فيه ذئاب الإنسانية وما أكثر المآسى التى تقع فى هذا الزمن، نتيجة لإهمال الرقابة الأبوية.. إن الزواج المبارك السعيد، هو ذلك الذى تراعى فيه الأخلاق الفاضلة أولا وقبل كل شىء فليكن هناك حسن اختيار وتحكيم للعقل، وعندئذ تكون الحياة الزوجية محفوفة بالخير، موفقة سعيدة، ذات أريج فواح، ومثل يحتذى، وصدق الرسول ﷺ فى قوله للمغيرة بن شعبة عندما خطب: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» (الترمذى)



## (٥)
# الزوجة المثالية

# ٥ـ الزوجة المثالية

الحمد لله جعل الزواج الموفق واحة أمن وسلام، وأفراح ومسرات وبهجة ومودة ورحمة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، يريد للزواج الاستمرار والاستقرار، ومن أجل هذا الهدف النبيل، قرر الدين حقوقا لكل من الزوجين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، وجه المسلمين إلى حسن اختيار الزوجة، وبين لهم أن الدين وحسن الأخلاق هما خير ضمان للاستقرار العائلى صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الذين حكموا الدين فى كل تصرفاتهم، وألزموا أنفسهم بما جاء به من توجيهات نافعة، ووصايا صادقة هادفة، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباء: الدين الإسلامى دين مثالى، فى مبادئه وتشريعاته وتوجيهاته وسائر أحكامه، وهو يهدف إلى المثالية فى كل شىء، فى العلاقة بين الإنسان وبين ربه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين أهله، وبينه وبين وطنه، وبينه وبين أبناء وطنه، وبينه وبين الإنسانية جمعاء، ولما كانت الزوجة لها أهميتها فى المجتمع الإنسانى، ولها أثرها وتأثيرها فى المجتمع، ولا سيما فى البيئة التى تعيش فيها بجوار زوجها، لما كان الأمر كذلك، فإن الدين طلب منها أن تكون مثالية فى خلقها وسائر تصرفاتها، وإن تبنى علاقتها بزوجها على أساس الاحترام المتبادل، لتكون حياتهما حياة وادعة هانئة، بعيدة عن المنغصات، خالية من الأكدار، صافية صفاء الماء وفى سبيل تحقيق ذلك الهدف السامى النبيل، والوصول إلى تلك الغاية الجميلة، أوجب الدين على كل من الزوجين حقوقا تجاه الآخر، وقرر واجبات على الزوج لزوجته وعلى الزوجة لزوجها، فإذا قامت الزوجة بأداء الحقوق نحو زوجها، وكانت أمينة صادقة فى أدائها فإنها ـ والحال هذه ـ تكون جديرة بالاحترام، وخليقة بأن تحتل المكانة السامية اللائقة بها وتنال التقدير العظيم وتحظى بالإعجاب الكبير من جانب زوجها ومجتمعها، وهذه الواجبات التى قررها الدين وأمر كل زوجة بأدائها وعدم إهمالها أو التهاون بها، تتمثل فى تلك الأمور الهامة التى توفر السلام الأسرى، وأول تلك الأمور طاعة الزوجة وامتثال أمر زوجها،

وفى طاعة المرأة لرجلها طاعة لربها، ويترتب على ذلك الأجر الكبير من الله، ومن ألوان الطاعة ألا تخرج الزوجة من بيت الزوجية إلا برضا الزوج وإذنه، وقد ثبت أن امرأة ذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت له: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عزّ وجلّ بعثك إلى الرجال والنساء كافة، آمنا بك وبإلهك، إنّا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم وإنكم معشر الرجال، فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز والحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أنشاركم فى هذا الأجر؟ فالتفت الرسول ﷺ إلى أصحابه بوجهه ثم قال: «هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا، فالتفت الرسول إلى المرأة، ثم قال: «افهمى أيتها المرأة، وأعلمى من خلفك من النساء أن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك، وعلى ضوء ما ذكر الرسول ﷺ يتبين لنا أن طاعة الزوجة لزوجها فيها الخير كل الخير لها، وأن امتثال أوامره وحسن معاملتها له، والحرص على رضاه، كل ذلك يؤدى إلى مثوبتها وجزائها الجزاء الأوفى من الله، وفضلا عن ذلك، فمن شأن الطاعة دوام الود بين الزوجين، وضمان حسن مسيرة الأسرة، ومن آثارها الطيبة إعطاء دفعة للرجل فى تحمل مسئوليته والقيام بواجبه نحو أسرته على الوجه الأكمل، ومما لا شك فيه فإن عصيان المرأة يؤدى إلى تقويض بنيان الأسرة، ويعرض الحياة الزوجية إلى الانهيار، ومن أجل المحافظة على الحياة الزوجية، اهتم الدين كل الاهتمام بأن تكون الصفة الأولى التى يجب على المرأة أن تتحلى بها الزوجة هى طاعتها لزوجها، على أن تكون تلك الطاعة فى دائرة طاعة الله، أما إذا تجاوزت هذه الدائرة الإيمانية بأن أمر الزوج بشىء لا يرضى الله عنه، فإن لها الحق فى عصيان زوجها وعدم طاعته، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وليس من الدين أن يرضى إنسان إنسانا آخر على حساب شريعة الإسلام والخروج على تعاليمها السمحة، ويجب كذلك على المرأة احترام زوجها وعدم إهانته، وإشعاره بكرامته وسمو منزلته، ولا يليق بالمرأة أن تحط من شأن زوجها أو شأن أسرته

بالقول أو الفعل ولا شك أن هذا الاحترام والتقدير للزوج، ينشأ عنه تماسك الأسرة، وانعكاس ذلك على الزوج والزوجة والذرية والوطن بالخير الأعم والسرور الأتم ومن مثالية الزوجة ومما يجب عليها، المحافظة على حرمة البيت، فلا تسمح لإنسان أن يمتهن حرمته، أو يسىء إليه بالدخول فيه فى غياب الزوج، وقد جاء عن الرسول ﷺ قوله: **«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه»** (البخارى) وبتطبيق تلك المبادىء المحمدية، يتحقق الصون الواجب لحرمة المنزل، كما يجب على الزوجة لتكون مثالية، أن تصون ثروة زوجها، وتحسن التصرف فى ماله، فلا تنفقه فى التبرج الفاحش أو الظهور الكاذب، أو الكماليات المرهقة، أو البذخ الضار، إنه ينبغى على المرأة أن توجه مال زوجها فيما يعود على الأسرة بالخير، وفى الحدود المقبولة شرعا وعقلا، إذ إن المال عصب الحياة، وذخيرة الأسرة، وهو لم يأت دون كد وعناء، وعلى الزوجة المثالية أن تتعاون مع زوجها فى تصريف الشئون المالية المتعلقة بالمنزل، وذلك بحسن التناول والاقتصاد المستطاع، ومما يجب عليها كذلك، لكى تتحقق مثاليتها، أن توفر السعادة والجو الملائم المريح لأعصاب زوجها، إذ إنه بحاجة ماسة إلى ذلك، حيث إنه يعمل فى الخارج لصالح الأسرة، ويكد فى حياته من أجلها، ولهذا وجب على الزوجة أن توفر له الراحة الكاملة لكى يواصل المسيرة بنجاح، وبهذا يشعر بأن المنزل مصدر سعادة، وأنه مكان سرور وراحة، وفى ظل هذا الشعور يجد الفرصة للاستجمام، استعدادا لمواصلة رسالته فى ميدان العمل المثمر الخلاق، أما إذا لم يجد الراحة فى المنزل، فإنه سينظر إليه نظرة قاتمة مقرونة بالقلق النفسى، والتوتر العصبى والكراهية والازدراء وفى ظل هذا الجو الخانق، فإن الزوج سيفر من المنزل ويذهب إلى المقاهى، ليضيع فيها وقته وماله ويرجع السبب فى ذلك إلى سوء تصرف المرأة، التى حولت بيت الزوجية إلى جحيم لا يطاق، والمفترض فيه أن يكون جنة الدنيا وبستان الحياة، ومن مثالية المرأة عنايتها بنظام المنزل ونظافته، والاهتمام بالأولاد وحسن تنشئتهم وتوجيههم، وتزويدهم بالنصح الغالى ونبل السجايا، ومن هنا وجب عليها أن تهتم الاهتمام الكامل بهم، وبتعاون الرجل والمرأة بتوجيه أولادهما وبناتهما، وحسن تربيتهم وإرشادهم، يتحقق الخير العظيم لهم، ويكونون قرة أعين للوالد والوالدة، تلك هى أهم مقومات الزوجة المثالية التى

تصنع الأبطال وتخرج القادة من مدرسة أمومتها الناجحة، والمرأة التى يكون هذا شأنها وتلك حالها، تعتبر كنزا نفيسا وثروة غالية، والرسول صلوات الله وسلامه عليه بين هذا المعنى الرائع بقوله: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله**» (النسائى وأحمد) إن المثالية من مستلزمات الزوجة، وهى عنوان جمالها، ودليل كمالها، فيجب لكى تكون بهذه الصورة المشرقة، أن تتوج رأسها بهذا الإكليل العظيم الذى يكسبها الجمال كله، ويجعلها فى القمة من التقدير، وعلى كل امرأة أن تفهم رسالتها فى الحياة، وتدرك مدى فعاليتها فى المجتمع، وتشعر بأن واجبها نحو زوجها وأولادها ووطنها واجب إنسانى، وأنها عنصر هام فى جسم الأمة، ومتى وعت ذلك، جعلت المثالية لها شعارا، وأخلصت كل الإخلاص فى أداء رسالتها، وكانت نموذجا طيبا لغيرها، وريحانة فى بيتها، ومصدر خير عظيم لأمتها، وأهلا لرضا الله عنها، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة» (مسلم والنسائى).



## (٦)
# الأم المثالية

## ٦- الأم المثالية

الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه، وأتقن صنعه وأبدعه وهو سبحانه على كل شىء قدير، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذى هو فى السماء إله، وفى الأرض إله، وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله وحبيبه ومجتباه، الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن بؤرة الكفر إلى ساحة التوحيد والرضا الإلهى، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الذين عرفوا طريق النور، واستجابوا لله والرسول، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباء: المجتمع الإسلامى فى حاجة ماسة إلى الأم المثالية، والوطن فى أشد الضرورة إلى هذا الصنف من الأمهات الفضليات والأمة لا تستطيع تحقيق آمالها، ولا تصل إلى أمانيها التى ترنو إليها ولن تتيسر لها النهضة الكاملة والمستقبل المشرق، إلا إذا وجد لديها هذا النوع من الأمهات المثاليات، اللاتى ينسجن بأناملهن الرقيقة على منوال قلوبهن الحانية راية مجدها وعلم عزتها، ويصنعن بمثاليتهن تاريخها الخالد العظيم، الذى يبقى على مرّ الأيام مثلا عاليا يحتذى، ونموذجا عظيما يقتفى، وللأم من هذا النوع الممتاز أثر كبير لا ينسى، ولها مكانتها المرموقة فى المجتمع الذى تعيش فيه، لأنها تقوم بدور إيجابى فعّال فى تأسيسه، وتساعد فى بنائه وتقدمه، وتؤدى رسالة جليلة من أجل إسعاده ورفاهيته، وتقدم له الذخيرة الحيّة من الأبناء الذين يشدون أزره، ويقوون ساعده، ويدفعونه إلى الأمام، ولا شك أن هذا مجهود ضخم وعمل عظيم، وواجب كل أسرة أن تصنع هذا الطراز المثالى من الأمهات، وذلك بتنشئة البنات على المبادئ الأخلاقية، والقيم الإنسانية، والمثل العليا، والسجايا الحميدة، والشيم الفاضلة، والأبوان هما مرآة أبنائهما وبناتهما، لأنهما القدوة والأسوة، فإذا كانا ذوى أسلوب طيب، وتأثر بتعاليم الدين، وتوجيهاته الرشيدة، ومبادئه السامية، وكانت تصرفاتهما مبنية على العقل الراجح والحكمة، وأعمالهما تحمل طابع الدين والفضيلة، وشعار الرزانة والسجايا الحميدة، فمما لا ريب فيه يتأصل كل ذلك فى

نفوس الذرية، وتمتد آثار ذلك السلوك المحمود إلى كل من فى البيت، لأن القدوة الحسنة لها الأثر العظيم والتأثير البالغ، ومما يساعد على إيجاد هذا الصنف من الأمهات المثاليات، صانعات المستقبل المشرق للأمة، أن تلقن البنت عند زواجها واجباتها ومسئولياتها، وأن تفهم جيدا الغرض الأساسى من الزواج، وتعرف الهدف الذى يرمى إليه عش الزوجية، وتدرك أن أمامها رسالة كبرى تتطلب منها الجلد والصبر والمثابرة، وأنها خلقت لتسهم مع الزوج فى صنع الحياة الفاضلة للوطن، وأن يكون لديها من الدراية والمعرفة بوظيفتها الاجتماعية ما يؤهلها لأن تكون ناجحة فى هذا الميدان الإنسانى الاجتماعى الكبير، وأن تؤمن كل الإيمان بما يجب عليها من التزامات نحو نفسها وزوجها ووطنها، وأن يكون لديها الاستعداد الكامل للقيام برسالتها على أكمل وجه يرضى الله تبارك وتعالى وينهض بالوطن، وألا تكون نظرتها للحياة نظرة سطحية خالية من الهدف، ويجب عليها أن تعلم علم اليقين بأن حياتها تختلف كل الاختلاف عن الحياة فى ظل الأبوين، وأنها مرحلة شاقة وجميلة فى الوقت نفسه، ومتى وعت كل ذلك وآمنت به إيمانا عميقا أقبلت على حياتها الجديدة وهى مدركة أعباءها، وكثرة مسئولياتها، واضعة نصب عينيها مدى أهميتها، عاقدة العزم على النجاح فيها، وعندئذ تؤدى واجباتها المفروضة عليها، وتباشر عملها فى صدق وإخلاص، وهمة نشاط، وسمو هدف نحو الوطن الذى تتفيأ ظلاله، وتنعم بخيراته، وتقلها أرضه، وتظلها سماؤه، وفى ظل هذا الوعى، تبنى لوطنها القوة الذاتية من أبنائها، وتصنع له الأبطال من أولادها، وتمده بالكفايات فى جميع المجالات، وتزوده بمن يبعثون فيه روح الحياة، ويسيرون به فى دروب العظمة ومسالك الرقى، ويرفعون شأنه ويخلدون ذكره، ويجعلونه محط الأنظار ومحل التقدير والإعجاب، إن الأم المثالية مصدر الخير وأصل كل سعادة، وهى مدرسة كبرى تخرج الأبطال، وتربى البواسل، ومعهد عال يغرس فى طلابه أنبل الصفات وأكرم السجايا، ويؤهلهم للعمل فى ميدان الحياة بعزم قوى وهمة عالية وثابة، ويزودهم بعقيدة إيمانية قوية بالله والوطن، وبهم يكون الشعب طيب الأعراق كريم المحتد، أصيل النسب، عالى المنزلة، مرفوع الراية، قويا شجاعا، وما أحسن قول الشاعر إذ يقول:

**الأم مدرسة إذا أعددتها ** أعددت شعبا طيب الأعراق**

وما قاله الشاعر فهو حق فالأم إذا أعدت من قبل الوالدين إعدادا مبنيا على الدين والأخلاق السامية والفضائل والقيم، فإنها تكون بحق خير أم وأعظم امرأة، لأنها ستجسد ما غرس فيها فى أبنائها، وتعدهم الإعداد القوى السليم، وتبث فيهم روح الدين والشيم، وتجعلهم رهن إشارة الوطن، للذود عن حياضه، والدفاع عن أرضه، والاستهانة بأرواحهم فى سبيل رفعته، وإعلاء كلمته.

والتاريخ الإسلامى زاخر بالأمهات المثاليات الفضليات، اللائى خلد الزمن ذكرهن، وسجل فى كتاب الفضائل حياتهن، وأمهات المؤمنين زوجات الرسول الكريم هن الطليعة، ومن بين من يعتز بهن التاريخ «الخنساء» وأمثالها، والرسول صلوات الله وسلامه عليه حين يحث على طلب العلم، فإنه يهدف إلى خير المجتمعات، بما يسود من محامد الصفات التى يغرسها الدين فى نفوس أبناء وبنات الجنس البشرى، والعلم مفروض على النوع الإنسانى دون فرق بين ذكر وأنثى، وبوجوب طلب العلم على بنات حواء المسلمات، توجد المثاليات من الأمهات، إذ عن طريق الدين والتفقه فيه تفهم المرأة واجبها، وتسعى إلى الغاية النبيلة التى تراد منها، فلنزود البنات بالعلم كما نزود الأبناء، وليكن فى برامج الدراسة فى المدارس، ومناهج التعليم فى المعاهد والجامعات، ما يعطى الأنثى المعلومات الكافية عما يجب عليها، وما هو مطلوب منها بعد أن تصير زوجا وأما، والآن نسائل أنفسنا، هل الأبوان يعدان بناتهما لمستقبل حياتهن؟ وهل الوالدان يقومان بتوجيههن وإرشادهن؟ إن الواقع يؤكد ويقول: وقليل ما هم، فليكن هناك توجيه مكثف من قبل الآباء والأمهات للبنات، ولابد من توعية واسعة لهن، ومن الضرورى إرشادهن إلى ما فيه خيرهن وخير وطنهن، وبهذا التوجيه البناء تتحقق الحياة الفاضلة، ويتأصل الدين فى القلوب، وتكون مسيرة الحياة الزوجية مشرقة متألقة، وتؤتى ثمارها اليانعة المرجوة منها، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» (الجامع الصغير).



## (٧)
## الزوج المثالي

## ٧ـ الزوج المثالى

الحمد لله حمدا كثيرا نابعا من القلوب، منبعثا من الأعماق، على نعم الله المتوالية، وفضله المتواصل، وخيره العميم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الصادق الأمين الرءوف الرحيم، والمؤدب من قبل خالقه وهو الله العظيم، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الذين آمنوا عن اقتناع كامل بعظمة دين الإسلام، وأنه الدين الذى حوى كل الفضائل، وجاء بما فيه السعادة الكاملة لكل من انضوى تحت لوائه، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأعزاء: كما أن المجتمع الإسلامى بحاجة ماسة إلى أم مثالية، فهو أيضا فى أمس الحاجة إلى أب مثالى، إذ بمثاليتهما معا تتحقق مثالية ما ينتجانه من بنين وبنات، وبالتالى تنعكس آثار ذلك على المجتمع، فينهض فى جميع الميادين، ويقوى فى كل المجالات ويكون مثلا أعلى فى شتى النواحى، لأنه قام على أعمدة صلبة من تلك المثاليات، وأرض غير رخوة من القوة الذاتية، المتوجة بالأخلاق السامية، والسجايا الحميدة الفاضلة وكيف تتحقق مثالية الأب لنصل إلى تلك النتيجة الرائعة؟ إنها فى بساطة شديدة تتمثل فى عدة أمور، ومنها أن يكون سلوك الوالد فى حياته الخاصة والعامة سلوكا سويا غير معوج، فلا انحراف ولا شر يحدث منه، ولا ارتكاب لأعمال إجرامية تغضب الله وتتقزز منها الإنسانية، ولا اقتراف لمنكر من المنكرات التى تتنافى مع الدين والآداب الإسلامية، ولا اعتداء على أحد من خلق الله فى عرضه أو ماله، ولا ظلم من جانبه لإنسان أو حيوان، ولا خداع ولا حقد على أحد، وهو ينأى بنفسه عن كل عمل شائن، أو فعل مزر، وهو أيضا يراقب الله تعالى فى كل تصرفاته، ويخشى خالقه فى كل حال من أحواله، ويتحلى بألوان الفضائل ويتخلى عن كل الرذائل، ويعيش فى ظل الكمال الإنسانى، وعلى بساط الآداب الإسلامية، فحياته محكومة بما جاء به الدين، ومسيرة حياته مشرقة غير معتمة، وسلوكه فى المنزل نظيف خال من

الدنس، وأعماله كلها بعيدة عن كل ما نهى عنه الله، وهى دائما فى إطار الخير والرضا الربانى، ودائرة الطاعة المطلقة لله الذى خلقه ورعاه، وبنعمه أمده وأكرمه، إنه بهذه المسيرة العطرة الشذية، وبهذه الصورة الوضاءة المتألقة، يعطى النموذج الأمثل، والقدوة الحسنة، والمثل الأعلى، ثم هو بالإضافة إلى ذلك، يطبق على نفسه قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**» (ابن حبان) فهو بمقتضى التطبيق لهذا القول المحمدى، يحسن عشرة زوجته، ويعاملها معاملة طيبة، وهو لا يقدم لها إساءة، ولا يتعدى عليها بقول ناب مؤلم، ولا يفعل شيئا مكدرا وهو يوفر لها السعادة الكاملة، التى تمكنها من أداء واجبها حيال بيتها وأسرتها، وهو إذا دخل المنزل كان باش الوجه، باسم الثغر، متهلل الأسارير، ويتبع هذه الصورة الجميلة بقول سار جميل، وتحية إيمانية فيها الأمان، فهو يعطر لسانه بما أمر به الإسلام حين دخول المنزل «السلام عليكم» وإذا خرج من المنزل خرج والابتسامة تعانق شفتيه، ويقول كما قال عند الدخول «**السلام عليكم**» وهو يدرب أولاده الصغار على الصلاة تطبيقا لقول الرسول عليه السلام «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع**» (أبو داود) وهو يوجههم إلى عمل الخير والبعد عن الشر، ويغرس فى نفوسهم حب الدين، ويربيهم التربية الإسلامية المثمرة، ويهذب أخلاقهم، ويتعهدهم بالنصح والتوجيه، ويرغبهم فى قراءة القرآن الكريم، والاستماع إليه بإنصات تام، وإصغاء كامل، ويعودهم على أداء واجباتهم بلا تسويف، ويصقل نفوسهم، ويأخذ بأيديهم، إلى سلوك طريق الخير، إنه بهذا التأديب لأبنائه، يؤهلهم للحياة السعيدة، وبهذا التوجيه الأمين يجعل منهم نماذج ممتازة يسعد بها الوطن، وهو بمثاليته يهدى الإنسانية أبناءا هم مشاعل مضيئة على طريق الاستقامة، وبنات هن مثل عليا فى دنيا الحياة، ثم إن هذا الزوج المثالى إذا كان متزوجا بأكثر من واحدة، فإنه يتحرى العدل معهن فى المبيت والكسوة والنفقة وحسن العشرة، فلا تمييز لواحدة على الأخرى، وإنما هو العدل المطلق مع الجميع، امتثالا لأمر الله، وتطبيقا لما جاء فى كتاب الله تبارك وتعالى.. هذه هى المثالية العطرة التى تحلى بها هذا الزوج الإنسان، وتلك هى النموذجية الزوجية التى لها قدر ومنزلة لدى الله، وهذه هى الأسوة الحسنة التى يعتز بها الإسلام وأبناؤه، وتلك هى الحياة السارة للقلوب، الشارحة للصدور، والتى

بها يكون الاستقرار والسعادة فى أسمى المعانى وأنبلها، والتى تعطر بيت الزوجية بعطر السكن والمودة والرحمة وبرياحين الأنس والترابط والألفة، والتى يمتد ظلها وتشع أنوارها فى كل مكان.

أيها الإخوة: هذا هو الدين الإسلامى، وتلك هى تعاليمه وتوجيهاته، وهذا هو ما يهدف إليه، من بناء سليم قوى للحياة الزوجية حتى تكون آمنة، ولتكون بمنأى عن العواصف الهوجاء، وسموم الخلاف والنزاع والجفاء، وشرور الإحن والقطيعة، ومساوئ التدابر والتنابز، هذا هو ديننا الإسلامى الموجه للخير، والمرشد إلى طريق السعادة والفلاح، والدال على طريقة البناء الأسرى الأمثل، فلنكن دائما فى ظل ديننا، وفى إطار توجيهاته السامية، وتعاليمه الحكيمة، وعلينا أن نهتدى بهديه، وننفذ أوامره، ونجتنب نواهيه، ونعيش تحت قبته، وأن نكون فى حياتنا ننشد المثالية ونحققها، والنموذجية الحقيقية ونطبقها، وبهذا السلوك الخير، والتوجه الهادف، والعمل على تحقيق ما هو أفضل، تكون الحياة العائلية محفوفة بالهناء الكامل، والسعادة الحقيقية، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى**» (ابن حبان)



# (٨)
# حقوق الزوج على زوجته

## ٨- حقوق الزوج على زوجته

الحمد لله جعل الزواج وسيلة مشروعة لاستمرار الحياة الدنيوية وشرعه سبحانه ليكون سببا شريفا للتناسل والتكاثر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل للزوج على زوجته حقوقا وواجبات، وذلك لتسير سفينة الحياة فى هدوء وعدم اضطراب ولتكون بعيدة عن الأخطار التى تعصف بها وتبيد من فيها، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، جاءنا بالتوجيهات النافعة، والنصائح الغالية، والتشريعات الهادفة، التى بها تكون الحياة خيرا وبركة وطمأنينة، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الذين أدوا واجبهم بصدق وإخلاص، وطبقوا تعاليم دينهم تطبيقا كاملا يرضى عنه الله، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: المرأة الصالحة تسعد زوجها وأولادها والزوجة المطيعة أعظم كنز وأثمن جوهرة، وأغلى ثروة لدى الإنسان، ومن أجل أن تكون بهذه الصورة الوضاءة، وجهنا الدين إلى الاقتران بمن تَحَلَّت بأفضل الشيم، وإلى حسن اختيار شريكة الحياة، ودعانا إلى التزوج بمن نشأت فى بيئة دينية، وعاشت فى عائلة حسنت مسيرة حياتها، إذ إن زواج الإنسان بمَنْ تكون ذات دين وخلق، وخلال حميدة ومنبت طيب، يكون لديها الاستعداد الكامل للقيام بواجباتها الزوجية وتكون مهيأة لأداء حقوق زوجها وأولادها، ومعدة لتهيئة الجو الجميل السار لأسرتها، وبهذا تكون خيرا وبركة، وأعظم درة وديننا الإسلامى أمر الزوجة بأن تهتم بأداء حقوق زوجها، ونهاها عن التقصير فى واجب من واجباته ومما هو واجب على الزوجة نحو زوجها، أن تطيعه فى غير معصية، وألا تعطل له أمرا ولا تخالف له رأيا، ما دام ذلك فى حدود الدين والعقل، وألا تعصيه إذا دعاها إلى فراشه، وأن تكون طوع إرادته ورهن إشارته، لأن فى مخالفتها له إهدارا لكرامته، وامتهانا لشخصه، وإيغارا لصدره، وفى عصيانها إغضابا له ولربه، وعليها أن تُسْمِعَه من القول ما يسر قلبه، وتُريه من الفعل ما يشرح صدره، ومن الخطأ الجسيم أن تقول ما يعكر صفوه، ويتعب نفسه، وينغص حياته، أو أن تفعل شيئا

يغضبه ويثير شعوره، ويظلم الدنيا فى عينيه، ومن حق الزوج عليها أن تكون باشة الوجه غير عابسة، متهللة الأسارير غير مقطبة، لتحقق السعادة الزوجية، وترفرف راية الهناء المنزلية، ومما يجب على الزوجة لزوجها، ألا تكلفه ما لا يطيق، وألا تتعبه بكثرة الطلبات فى مطعم أو كسوة، وألا تضايقه بشراء الكماليات، أو ترهقه بإحضار أدوات الزينة والمساحيق، إذ إن فى ذلك إتلافا للمال، وإسرافا مذموما وتبذيرا ممقوتا، ويجب عليها ألا تبدد شيئا من مال زوجها، وألا تتصرف فى شىء من ثروته قليلا كان أو كثيرا إلا بإذنه، ثم إنها راعية فى بيت زوجها وعليها إذاً أن تحسن تلك الرعاية، وقد جاء عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الشأن قوله: «**والمرأة راعية فى بيت زوجها، وهى مسئولة عن رعيتها**» (متفق عليه) ومما هو واجب على الزوجة، أن تحافظ على شرفها وعرضها، وألا تعرض سمعتها أو سمعة زوجها إلى القيل والقال، وأن تكون حريصة على احترام الرجل وأهله، وألا تخرج من بيت الزوجية إلا بإذنه، أو تُدْخِلَ أحدا من الرجال إلى منزله فى غيبته، وأن تهتم بنظافة جسمها وملابسها، وبتنظيم بيتها ونظافته، وتعنى بأولادها وتتعاون مع زوجها فى تربيتهم، وتوجيههم إلى ما فيه سعادتهم وسعادة وطنهم وأن تكون مدبرة منظمة ذات عقل رشيد، وإذا كان لها مال وصار زوجها فى عسر، فعليها أن تواسيه بمالها، وألا تتنكر له إذا أصيب بمرض، ولا تخرج عن طاعته إذا افتقر.

أيها الإخوة: تلك هى بعض حقوق الزوج على زوجته، وكما أن عليها حقوقا له فهى كذلك لها عليه حقوق وإذا قامت كل امرأة بواجبها نحو زوجها، وقام الرجل كذلك بواجبه نحو زوجته، فإنه - والحال هذه - تكون الحياة الزوجية نعيما وسعادة، بعيدة عن النزاع والشقاق والكدر والطلاق، غير معرضة للهزات التى تقوض بنيان الأسرة وتعصف بها، ومن أجل ألا تصل الأمور إلى تلك النتائج السيئة، وجب على كل من الزوجين القيام بواجبات الزوجية، وعلى المرأة أن تعمل على إرضاء زوجها، إذ إن فى إرضائه إرضاء لله تعالى، أما إذا لم تعمل على رضاه، وكشرت عن أنيابها، وتمردت عليه وأغضبته، فإن الملائكة تلعنها، وتستحق غضب الله وسخطه، وهذا هو قول الرسول الكريم فى هذا الشأن: «**لو أمرت**

**أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه، ولا تجد المرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدى حق زوجها ولو سألها نفسها عن ظهر قلب»** (الحاكم) وإذاً فحلاوة الإيمان متوقفة على طاعة الزوجة لزوجها، وفى حديث آخر يقول عليه السلام: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى الفراش فلم تأته فبات وهو غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» (البخارى ومسلم)، وتلك وصية أم لابنتها ليلة عرسها، وهى وصية كلها توجيه ونصح، وإرشاد وخير، فماذا قالت تلك الأم لابنتها؟ إنها قالت ما يدل على رجاحة عقلها، وحرصها على سعادة بنتها وزوجها، قالت لها: «أى بنية: إنك فارقت الجو الذى منه خرجت، وخلّفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكونى له أمة يكن لك عبدا، يا بنية: احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بالسمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجو ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ولا تفشى له سرًا، ولا تعصى له أمرا، فإنك إن أفشيت سرَّه لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحا، والاكتئاب عنده إن كان فرحا فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكونى أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك موافقة، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثرى رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت، والله يخير لك.

إنها وصية غالية ثمينة وصادرة من أم مجربة، ومن قلب طاهر وعقل واع مستنير وقد قدمت هذه الأم إلى ابنتها التى هى جزء منها تلك الوصية، فتقبلتها بقلب راض ونفس مسرورة، ونفذتها بصدق، وطبقتها تطبيقا أمينا، فعاشت حياتها فى سرور ونعيم وعاش معها زوجها فى صفاء ووئام، وحياة باشة خالية من المكدرات.

أيها الآباء: اطلبوا من زوجاتكم تقديم النصح لبناتكم، وقدموا أنتم كذلك النصح لهن، بإحسان العشرة، وحسن المعاملة، والالتزام بطاعة الأزواج، وبذلك تتم السعادة الزوجية، وبالتالى تكونون مطمئنين على مستقبل بناتكم فى حياتهن الجديدة، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى الفراش فلم تأته فبات وهو غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**». (البخارى ومسلم)



(٩)

# حقوق الزوجة على زوجها

## ٩ـ حقوق الزوجة على زوجها المثالى

الحمد لله قرر للزوجة حقوقا على زوجها، وأمر سبحانه بحسن معاملتها وعشرتها، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الزواج ضرورة اجتماعية لا غنى عنها، وجعل السعادة المنزلية مرتبطة بحسن القيام بواجب الزوجة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، دعانا إلى إكرام الزوجة، وحثنا على العطف عليها ودفع الشر عنها صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين أدوا الحقوق الزوجية ولم يقصروا فيها، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: كانت المرأة فى العصر الجاهلى لا وزن لها، ولا شخصية ولا اعتبار وكانت الأنثى فى هذه الحقبة المظلمة ينظر الناس إليها نظرة ازدراء، وكانت عادة وأد البنات آنذاك منتشرة فى ذلك العصر، ودس الإناث فى التراب وإزهاق أرواحهن شيئا مألوفا وأمرا عاديا فى تلك الفترة من الزمن، وما السبب فى انتشار تلك العادة؟ وما الداعى إلى تفشيها بهذه الصورة المزعجة؟ إن السبب فى ذلك أن الآباء كانوا يتوهمون أن البنت ستجلب لهم العار إذا ظلت على قيد الحياة، أو أن الفقر سيصيبهم إذا هم أبقوها دون وأد، هذا هو تصورهم الخاطئ، ووهمهم البعيد عن الحقيقة، وقد سجل القرآن الكريم هذه الظاهرة السيئة البشعة التى تدل على الجهل وفظاعة التصرف، وهذا هو قول رب العزة فى هذا الشأن: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل ٥٨ ـ ٥٩) وهكذا كان الرجل يتصرف بهذه الصورة المستهجنة، وتلك كانت معاملته الفظة الخالية من الإنسانية، وكانت المرأة إذا أفلتت من الوأد تورث إذا كان لها مال، وتحرم من الإرث ولا تأخذ شيئا من التركة، وكانت مسلوبة الإرادة، ولا رأى لها ولا منزلة، ولا احترام ولا كرامة، تلك هى حال المرأة فى الأعم الغالب. فلما جاء الإسلام بتعاليمه السمحة، ومبادئه الإنسانية الحكيمة، حرم وأد البنات، ونهى عن قتل الإناث، وقرر للمرأة حقها فى الميراث، وأمر باحترام شخصيتها

وتقدير مشاعرها، وأوصى الناس بها خيرا، وأعطاها من الحقوق ما رفع شأنها، ومنحها حق التعبير فى اختيار شريكها فى الحياة الزوجية، وفرض لها الصداق عند إرادة التزوج بها، وأمر الزوج بمعاشرتها بالمعروف، وحقق لها رغباتها التى تتفق مع الدين، وفى حدود الطاقة والقدرة كما قرر لها النفقة إذا طلقها، وأوجب لها أجرة الرضاع والحضانة إذا كان معها ذرية من مطلقها وفى فترة الحضانة، وحذر الدين الزوج من التعدى عليها والإساءة إليها، ونهاه عن الاستيلاء على مالها وأخذه بالباطل، وقرر لها أن تعيش حياتها فى ظل الاحترام الكامل، هذا هو دين الإسلام، الذى أنقذ المرأة من شَرِّ البطش بها والوأد لها، والذى شرع لها حقوقا كانت محرومة منها، وقرر لها أمورا كانت فى أمس الحاجة إليها، وليس من هدف للدين فى كل ما يشرع ويقرر، إلا إسعاد النوع الإنسانى دون تفرقة، وعزة الجنس البشرى بلا تمييز، إنه الدين الكامل الذى قال فيه رب العزة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

أيها الأزواج: إن الواجب الدينى يفرض عليكم حقوقا نحو زوجاتكم، ومن هذه الحقوق حسن معاملتهن، واحترام إنسانيتهن ومعاشرتهن بالمعروف، ومنع الأذى والشر عنهن، ومعالجة ما يبدو منهن من أخطاء، بالحلم والسياسة والموعظة الحسنة، والمرأة فى حاجة إلى التوجيه الحكيم، لأنها أنقص عقلا ودينا من الرجل، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩) وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا**» (متفق عليه) ومن حق المرأة على زوجها، أن يحترم شخصيتها كما احترمها الدين، وأن يشعرها بكرامتها وإنسانيتها وأنه لا غنى له عنها، وأن كلا منهما يكمل الآخر، ومن حقها كذلك، أن يطعمها ويكسوها، وألا يقتر عليها أو يسرف، إذ إن التقتير ينفرها من الحياة، والإسراف يؤدى إلى خراب البيوت، ومن هنا كان خير الأمور الوسط، وإذا كان الرجل متزوجا بأكثر من واحدة، وجب عليه أن يكون عادلا بينهن، فلا يفضل واحدة على أخرى، فى مبيت أو كسوة أو نفقة أو مسكن، ولا يميز امرأة من

زوجاته فى شىء من هذا قل أو كثر، لأن فى هذا التصرف بعدا عن روح العدل، ولأن التمييز بينهن يؤدى إلى إشعال نار العداوة، ونشر القطيعة وبث الفرقة، وبالتالى تنعكس آثار تلك التصرفات على الذرية، وعندئذ تمتلىء القلوب بالبغضاء، وتنطوى النفوس على الأحقاد، ونتيجة لهذا تنقلب الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، والله تعالى لم يبح تعدد الزوجات إلا إذا توافر العدل الذى اشترطه، وعند خوف الوفاء به لا يجوز التعدد، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣) ومما يجب للزوجة أيضا أن يعطيها زوجها حقها من الأنس وعدم الوحشة، ولذا لا يليق بالزوج أن يهجر بيت الزوجية، ويجلس فى المقهى أو «إلى وقت متأخر من الليل، ويترك زوجته وأولاده دون مؤانسة وملاطفة، إذ إن هذا التصرف يولد النفور والشقاق، ومن حقها كذلك، أن يعيش معها بأمانة وصدق، فلا يخونها ويعشق عليها، أو يغازل غيرها ويداعبها، أو ينام مع أجنبية فى فراش حرام، إذ إن هذا السلوك مزر بصاحبه، وفى الوقت نفسه تكون له آثار سيئة على الحياة الزوجية، ثم إن هذا التصرف قد يجر الزوجة إلى خيانة زوجها أسوة به، وعندئذ تكون العواقب السيئة التى لا يعلم مدى شرها وخطورتها إلا الله، وقد تمتد هذه الآثار المترتبة على ذلك الانحراف إلى الذرية، فتكون الطامة الكبرى، والنتائج المخيفة بالنسبة للوطن، فعلى الزوج إذا كان يريد الحياة الزوجية السعيدة، أن يكون مثاليا مع زوجه، متفاهما معها محترما لها، غير مقصر فى حق من حقوقها، وبهذا السلوك الإيمانى العادل، يعيش الزوج مع قرينته فى ظل السعادة والحب المتبادل، ويكون عش الزوجية فى أمان بعيد عن الهزات التى تعصف به، وتحوله إلى جنة فى أرض الله، تحيط بها السعادة من كل جانب، وترفرف عليها ألوية السلام والأمن والاستقرار.

أيها الأزواج: هناك ظاهرة شائعة بين كثير من الأزواج، وهى ظاهرة تتنافى مع الدين، وتتمثل فى نفور الرجال الذين ضعف إيمانهم، إذا ولدت المرأة بنتا ولم تلد ولدا، أو كانت المرأة عقيما لا تلد، وهم يتأففون ويتضايقون عند ذلك، وما دخل المرأة فى إنجاب الإناث أو العقم؟ إن هذه إرادة الله وتلك مشيئته، وما شاء

الله كان وما لم يشأ لم يكن، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠) وما دامت هذه إرادة الله، فمن الواجب أن يكون هناك رضا بما قدر الله، والرضا بالقدر عنصر من عناصر الإيمان، وتلك قصة حدثت لرجل وامرأته، وتتلخص فى أن رجلا اسمه أبو طلحة، هجر بيت الزوجية وذهب إلى بيت آخر قريب منه، ونفر من امرأته لأنها تنجب له إناثا ولا تلد له ذكورا، وصبرت المرأة الصبر الجميل، وسلمت أمرها إلى خالقها، وأخذت تقول فى صبر وإيمان ورضا

مـــا لأبى طلحـــة لا يأتينا ** يظل فى البـيت الذى يلينا

غـضـبـان ألا نلد البنينا ** تالله مـــا ذلك فى أيدينا

إنا بما قسم الله قد رضينا

إن هذا القول الذى نطق به لسان تلك المرأة، يؤكد صدق إيمانها، وعمق عقيدتها، ورضاها الصادق بما قدر الله، وظلت المرأة تردد هذا القول الراضى بقدر الله، ووصل صوتها إلى سمع زوجها، وعند ذاك استيقظ قلبه، وأدرك أن تصرفه لا يتفق مع الدين ولا مع المروءة الإنسانية، وأن مسلكه معها يدل على ضعف إيمانه، وأدرك كذلك أن تلك المرأة أفضل منه دينا وعقلا، وبعد هذه اليقظة الإيمانية، ذهب الرجل إلى زوجته، واعتذر لها عمّا حدث منه، وصالحها وأحسن إليها. وماذا كانت النتيجة بعد ذلك؟ لقد كانت أعظم نتيجة حيث إن الله تعالى أكرمهما كل الإكرام، وذلك بإنجاب المرأة عددا كبيرا من الذكور، الذين كان لهم شأن عظيم فى الحياة، ومركز مرموق بين الناس.. إنها المكافأة الكبرى من الله، والجائزة العظمى من الرب العظيم، بعد تلك الصحوة من جانب الرجل، ومراجعة نفسه، وتسليم أمره لربه، ولصبر تلك المرأة ورضاها بقدر الله، وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم» (الترمذى وابن جبان).

* * *

# (١٠)
# أبغض الحلال عند الله الطلاق

## ١٠ ـ أبغض الحلال إلى الله الطلاق

الحمد لله أمر ونهى، وهو سبحانه لا يأمر إلا بما فيه خير، ولا ينهى عن شىء إلا إذا كانت فيه مضرة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الطلاق مبغضًا لديه، لأن الحياة الزوجية بناء وإيجابية، أما الطلاق فهو هدم وسلبية، وهو ـ جلّ شأنه ـ يحب استمرار الحياة الزوجية لا هدمها، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، عالج مشاكل الزواج بالعقل والحكمة، وأقام العدل مع زوجاته كما أمر الله، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين أشرقت قلوبهم بحب الإيمان، وساروا فى حياتهم على نهج الرسول ﷺ، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأزواج: رابطة الزواج أقدس رابطة، وعشّ الحياة الزوجية أعظم عشّ، والحياة تحت ظلال شجرة الزواج أفضل حياة، متى كان كل من الزوجين يقوم بواجبه نحو الآخر، ويؤدى التزاماته بصدق وإخلاص وأمانة، إنه إذا كان الالتزام من الجانبين فيه جدية وإيجابية، فذلك هو النعيم الدنيوى، وتلك هى السعادة الوارفة الظلال، أما إذا لم يكن هناك التزام ولا إحساس بالمسئولية الزوجية، فإن حياة الزوجين تكون خالية من السعادة، مليئة بالمنغصات، زاخرة بالمشاكل، معرضة للانهيار، قريبة من الانفصام والتمزق، وبما أن الرجل أحصف عقلا من المرأة، وأكثر خبرة من الزوجة، وأوسع أفقا وحيلة منها، فقد طلب منه الدين أن يتغاضى بعض الشىء عن هفواتها الصغيرة التى لا تخل بالشرف، وألا يحاسبها بقسوة وغلظة، لأنها ضعيفة التكوين فى ذاتها، وعليه أن يعالج أمور زوجته بالحسنى، ويقومها بالتى هى أحسن، وألا يهيج كالأسد حين تقصر مرة فى إعداد طعامه، وألا تنتفخ أوداجه وتحمر عيناه ويثور إذا غفلت فى بعض الأحيان عن واجب من واجباتها، وألا يسير فى طريق الغضب إلى نهاية الشوط، ويلجأ إلى تطليق زوجته دون تحكيم للعقل، وعندئذ يجنى على زوجته وعلى نفسه وأولاده، ويتسبب بهذا التصرف الأرعن فى تشتيت الأسرة، وتقويض حصن الزوجية، وإحداث اضطراب فى حياته وحياة شريكة حياته وحياة ما بينهما من ذرية، وإذا

كان الطلاق حلالا فهو أبغض الحلال إلى الله، لما يؤدى إليه من شر ومشاكل، والله لم يشرع الطلاق لمجرد هفوة تقع، ولم يبحه إلا عند الضرورة الملحة، وعند تعسر صلاح الحياة الزوجية، واضطراب مسيرتها ووصولها إلى طريق مسدود، إنه عندئذ يكون الطلاق، وهو مع هذا أبغض الحلال إلى الله تبارك وتعالى.

أيها الإخوة: لقد رسم لنا القرآن الكريم الطريق وأنار السبيل، وقرر العلاج اللازم حين تشذ المرأة وتشق عصا الطاعة، وهذا العلاج الربانى لا يستعمل إلا مرتبا، ليأتى بالنتيجة المرجوة لصلاح حال الزوجية، فإذا استعمل غير مرتب ففى هذا التصرف خروج على التوجيه الربانى، وبعد عن الوضع السليم الذى يجب أن يتبع، وصدق رب العزة حيث قال:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٤، ٣٥) هذا هو التوجيه الربانى، وذلك هو الدستور الإلهى، وتلك هى المراحل التى جاء بها القرآن الكريم، وهى مراحل مرتبة منظمة، والله تبارك وتعالى هو الذى قررها وجعلها بهذا الترتيب العظيم، وعلى هذا النسق البديع، ولهذا لا يجوز للإنسان أن ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى إلا بعد استعمال ما قبلها، وأول تلك المراحل استعمال الزوج أسلوب الوعظ النافع، والقول اللين الهادئ، فقد تتأثر الزوجة بما تسمع من وعظ، وتراجع نفسها وتثوب إلى رشدها، وإذا لم تتأثر بهذه المرحلة الوعظية، ولم يثمر معها نصح، فليستعمل الرجل المرحلة الثانية، التى تتمثل فى الهجر، وذلك بأن ينام فى حجرة أخرى غير حجرتها، أو ينام بجوارها مع إدارة ظهره لها، وهذا علاج له خطره وأثره فى قلب المرأة، وإذا لم يلن قلبها، ولم تتأثر نفسها، ولم تغير طريقتها، ولم يأت الهجر بنتيجة معها، فلتكن المرحلة الثالثة من العلاج، وذلك بضربها شريطة أن يكون الضرب غير مبرح، وأن يكون بعيدا عن الوجه وعمّا يؤدى إلى الضرر، فهو علاج مقيد، وله حدود يقف عندها ولا يتعداها، وإذا أجدى هذا العلاج وأفادت تلك الوسيلة فبها ونعمت، وإذا لم تكن هناك فائدة منه ولم يأت بنتيجة، فلتكن المرحلة

الرابعة والأخيرة، وذلك بندب حكم من أهل الرجل وحكم من أهل المرأة، والنظر بموضوعية وتجرد فى أسباب الخلاف بين الزوجين، وبحث النزاع الناشىء بينهما، والعمل على إزالة الجفاء بين الطرفين، والقيام بالإصلاح بينهما وبدء حياة جديدة، تؤدى فيها الحقوق، ويسودها الوفاق والوئام. إنه إذا وفق الحكمان فى تحقيق هذا الهدف النبيل، ففى ذلك الخير العظيم، وإذا لم يستطيعا الوصول إلى التوفيق بينهما، فليكن الطلاق والفراق، حسما للنزاع، ولتكن الفرقة بالمعروف كما أمر الله، والله تبارك وتعالى جعل الطلاق ثلاث مرات متفرقات، حتى لا يوصد الباب ولا تغلق السبل، ولتكن هناك فرصة كافية للتفكير، فقد تهدأ النفوس، وتتقشع سحب الثورة التى أفسدت جو الزوجية، وفى تشريع الطلاق بهذه الصورة وتلك الكيفية، فرص لتدارك ما استوجب الطلاق، فإذا لم تفد هذه الفرصة فى إصلاح الأحوال وتنقية النفوس، فلتكن الطلقة الثالثة هى الحد الفاصل وآخر المطاف، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ (البقرة: ٢٣٠) فإذا طلقت من الثانى تجددت الفرصة مرة أخرى، بنكاح جديد وحياة جديدة، والدين يبغى من وراء ذلك كله، الحرص على استمرار الحياة الزوجية، وإيجاد الحلول للمشاكل التى تحدث بين الزوجين، فما أعظم هذا التشريع الربانى العظيم، الذى يستهدف الخير للزوجين والذرية والوطن.

أيها الإخوة: إن الطلاق لم يشرع إلا بعد استنفاد جميع وسائل الإصلاح، وعند عدم ظهور بارقة أمل فى استمرار الحياة الزوجية، إنه عندئذ يكون الطلاق لأن بقاء الحياة الزوجية على أرض النزاع وفوق أديم الشقاق، يؤدى إلى عواقب وخيمة ونتائج ضارة، وهناك أسباب غير ما ذكر، يترتب عليها إنهاء الحياة الزوجية، ومنها أن تكون المرأة مصابة بمرض منفر أو يؤدى إلى العدوى والضرر الشديد، ولم يفد العلاج فى مكافحة هذا المرض، ففى مثل هذه الحالة يجوز للرجل أن يطلق زوجته، كما يجوز له اللجوء إلى الطلاق إذا كانت الزوجة عقيما وعولجت ولم يفد العلاج، وللزوج رغبة ملحة فى الذرية ولا يستطيع الصبر على حرمانه من الأولاد، وليست لديه القدرة على التزوج بأخرى والإنفاق عليهما معا، فعندئذ يجوز للزوج الطلاق دون حرج وله الحق كذلك إذا كانت له رغبة فى الذرية

ولديه القدرة على التزوج ولكن الزوجة التى لا تلد لا تقبل أن تعيش مع أخرى، أو أن يكون فى حياتها الزوجية امرأة غيرها.

تلك حالات تعطى للزوج الحق فى الطلاق، ومما تقدم يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك، أن الدين الإسلامى يحرص كل الحرص على الحفاظ على الحياة الزوجية، ولذا جعل الطلاق مقيدا بقيود، ومتوقفا على دواع يقرها الشرع، ومرتبطا بأسباب ضرورية، وإذاً يجب على الأزواج الابتعاد عن الطلاق إلا فيما يقره الدين، وعليهم أن يعالجوا المشاكل التى تطرأ بالعقل والحكمة، وبما أرشد إليه دين الإسلام، وصدق رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» (أبو داود وابن ماجه).



# (١١)
# تعدد زوجات
# غير الرسول

## ١١ـ تعدد زوجات غير الرسول

الحمد لله الموصوف بصفات الألوهية التى لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وهو سبحانه منزه عن المشاركة والمشاكلة، فلا شريك له ولا مثل، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، ليس كمثله شىء لا فى ذاته ـ جلّ شأنه ـ، ولا فى صفاته تعالى، ولا فى أفعاله ولا فى أقواله، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الذى ربّاه ربُّه، وأدبه خالقه، وأرسله رحمة ونعمة، فهو الرحمة المهداة، وهو النعمة المسداة صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين امتلأت قلوبهم بنور الإيمان، وطبقوا ما تستلزمه عقيدتهم بصدق وإخلاص، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: تناول بعض أعداء الإسلام من المستشرقين فى كتبهم ما يسىء إلى ديننا، من منطلق الحقد الأسود الذى ملأ قلوبهم، وتطاولت ألسنتهم وأقلامهم بالطعن والتجريح، وأثاروا شبهات ضد تعدد الزوجات فى الإسلام، وهم بهذا التطاول الممجوج، والعداء السافر، والأقلام الحاقدة، لن يحققوا أهدافهم، ولن يصلوا إلى مآربهم، من تشويه صورة الإسلام، وسيظل هذا الدين شامخ البنيان، وسيردّ الله كيد المتآمرين عليه فى نحورهم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)

إن تعدد الزوجات تشريع ربانى، وحاشا لله أن تكون تشريعاته خالية من الحكمة، مجردة من النفع، والإسلام ـ وهو الدين القيم ـ صالح لكل زمان ومكان، لأنه تشريع من خلق، وهو قانون الربِّ العظيم، وربّ العزّة ـ جلّ شأنه ـ حين أباح تعدد الزوجات، راعى مصلحة الإنسانية، والضرورة الداعية إلى الإباحة، وجعل سبحانه هذه الرخصة مقيدة بقيود لابد من وجودها، ولا يضير الدين إساءة البعض استعمال هذا المبدأ، وهم ليسوا حجة عليه حتى يقال، إن التعدد لا يتلائم مع الطبيعة، وأنه يتنافى مع العقل، إنهم قالوا هذه المقولة، وقد جانبهم الصواب فيما قالوا، وأخطأوا فى هذا الرأى، وهم لم يوفقوا فيما تحدثوا به، إذ أن رخصة

التعدد مؤيدة بالدليل القرآنى وبغيره من مصادر التشريع، وبجوار الدليل هناك الحكمة من التعدد، وما يشترط لاستعمال تلك الرخصة الإلهية، وبيان السر فى قصر التعدد على أربع زوجات، أما عن الدليل: فالقرآن الكريم قال فى سورة النساء: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء: ٣) فالآية نصت على عدد معين وهو الأربع فتمتنع الزيادة عليه، والمعنى المستفاد من هذا الدليل القرآنى، يتمثل فيما يلى، فانكحوا مثنى، وانكحوا ثلاث، وانكحوا رباع، فالتعدد محصور بين اثنتين من النساء، أو ثلاث أو أربع فقط، والدليل من السنة النبوية قول الرسول صلى الله عليه وسلم لغيلان الثقفى حين أسلم وله عشر نسوة أسلمن معه: «**أمسك أربعا وفارق سواهن**» (أحمد والترمذى وابن ماجة).

وثالث الأدلة فى التعدد إجماع الصحابة على ذلك قولا وعملا فى حياة الرسول عليه السلام وبعد وفاته، فقد جمع كبار الصحابة بين أكثر من واحدة فى عصمته، ولم ينقل عن أحد فى حياة الرسول ولا بعده من جمع بين أكثر من أربع زوجات، ثم إن التعدد يشترط فيه العدل بين الزوجات، فى المبيت والنفقة والمعاملة والكسوة وغير ذلك من الأمور الظاهرة، أخذا من قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: ٣).

وأما العدل الذى أخبر عنه ربنا جلّ شأنه بأنه لا يستطاع فى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء: ١٢٩) فالمراد به العدل فى المحبة والميل القلبى، وهذا العدل ليس شرطا لأنه غير مقدور عليه، ولو كان العدل واحدا فى الآيتين لكان قول الله: «فَانكِحُوا» إلى آخره عبثا، لكونه إباحة لأمر مستحيل الوقوع وغير مستطاع وهو التعدد مع العدل، ومثل هذا التشريع لا يصدر من عاقل، فضلا عن صدوره من الله تعالى، لأن معنى هذا أن الله يبيح للرجل تعدد الزوجات مع اشتراط العدالة بينهن، ثم يقول: إن هذه العدالة غير مستطاعة، ومما يدل على أن العدل نوعان: مستطاع يكون شرطا فى الإباحة، وغير مستطاع ليس شرطا فيها، ما روى عن عائشة - رضى الله عنها -. قالت: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم بين زوجاته فيعدل، ثم يقول «**اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك**» (أصحاب السنن) وهو عليه

السلام يعنى بقوله: **«ولا أملك»** المحبة والميل القلبى، وهذا الحديث يفيد أن هناك نوعين من العدل، والحكمة من التعدد، أنه كان مألوفا بين العرب وبين غيرهم من الشعوب الأخرى، وكان غير مقيدا بأربع، فللرجل أن يتزوج كما يشاء، دون نظر إلى عدد معين، فلما جاء الإسلام توسط فى الأمر، فلم يمنعه ولم يطلقه، وإنما أبقى عليه وجعله فى دائرة وسطى، حيث قيده بأربع فى عصمة الرجل دون زيادة على ذلك، وإذاً لا يجوز أن يكون فى عصمته أكثر من هذا العدد، ثم لابد من أن يكون هذا التعدد فى إطار العدل،

ويرجع السرّ فى التعدد إلى وجود خصائص طبيعية لكل من الرجل والمرأة، ولوجود عوامل أخرى اجتماعية، أما عن الخصائص الطبيعية، فالمرأة غير صالحة للاختلاط الجنسى وقت الحيض والنفاس، وحياة المرأة التناسلية تنتهى فى الغالب بعد الخمسين من عمرها، وأما الرجل فلا حَدٌّ لحياته التناسلية، واختلاف الخصائص بين الرجل والمرأة يقضى فى بعض الحالات بضرورة التعدد، وبالنسبة للعوامل الاجتماعية، فقد أثبتت الإحصائيات أن عدد النساء فى أغلب الشعوب أكثر من عدد الرجال، وقد تكون نسبة عددهن كبيرة عقب الحروب، وينتج عن كثرة النساء وقلة الرجال مشاكل اجتماعية خطيرة، ولكى يكون هناك علاج لهذه الحالة أبيح التعدد فى الشريعة الإسلامية،

كما أن الغرض الأساسى من الزواج هو التناسل، وقد تكون الزوجة عقيما ولا تلد، ولا يرغب الزوج فى مفارقتها لحسن عشرتها معه ولكنه يرغب فى الذرية، وحينئذ فمن المصلحة إباحة التعدد لمثل هذا الرجل، وقد تكون الزوجة مريضة بمرض يجعلها غير صالحة للاختلاط الجنسى، ولتلك المرأة منزلة لدى زوجها، ولهذا فهو حريص على عدم مفارقتها، وفى الوقت نفسه فهو تواق إلى التزوج بأخرى معها، تلبية لنداء الغريزة لديه، فلا أقل - والحال هذه - من أن يمكن من التزوج بأخرى استجابة لنداء غريزته،

وإذاً فالتعدد مبنى على اعتبارات وجيهة، ودواع معقولة، ولم يكن مبنيا على فراغ ودون أسباب مقبولة، وهذا هو شأن الدين الإسلامى، فهو لا يُقِرُّ شيئا إلا لمصلحة، ولا يشرع أمرا من الأمور إلا لحكمة.. أما الحكمة فى جعل التعدد مقيدا

بأربع فى عصمة الرجل، فلأن هذا العدد أكبر عدد يستطيع معه الزوج العدل بين الزوجات فى الحقوق الزوجية دون ظلم للمرأة، لأنه إذا دار عليهن بالقسم فى المبيت، فإنه يغيب عن كل واحدة منهن ثلاث ليال، وهى مدة قريبة محتملة، وليس التعدد متاحا لكل إنسان، بل السفيه والمجنون لا تعدد فى حقهما، وإذاً فالتعدد كان لظروف معينة، وقد شرع لأمور مبنية على الحكمة وليس اعتباطا. وما ذكر مما تقدم إنما هو فى حق غير الرسول عليه الصلاة والسلام، أما هو صلوات الله وسلامه عليه فالتعدد فى حقه ليس مشروطا بأربع، لأن حكمة التعدد فى حقه ترجع إلى أسباب سياسية، وأمور تتعلق بنشر رسالة الإسلام، وقد استغل بعض الحاقدين على الإسلام تجاوز الرسول دائرة التعدد، وقالوا عنه: إنه شغوف بالنساء، ولكن هذا الزعم الشيطانى باطل كل البطلان، بدليل أن الرسول تزوج بالسيدة خديجة وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاما، وكان عمر خديجة أربعين، وقد ظلّ معها نحو ستة وعشرين عاما، ولم يتزوج الرسول طيلة حياته معها غيرها، وعندما تزوج أول سيدة بعدها كانت سنه جاوزت الخمسين، فلو كان زعم أعداء الإسلام صحيحا لتزوج الرسول فى شبابه الكثير من النساء، وما بقى مع تلك المرأة التى تكبره بخمسة عشر عاما، ثم إنه تزوج نساءه الأخريات فى السنوات العشر الأخيرة من عمره، وهى سنوات كفاح وعمل، لنشر العقيدة الإيمانية وترسيخ دعائمها، فالتعدد بالنسبة للرسول يختلف عن التعدد بالنسبة لغيره، وقد تزوج الرسول بعض نسائه لدواع إنسانية واجتماعية ولأهداف سامية، وهو تشريع خاص برسول الإسلام، وصدق صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**اللهم إن هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك**» (أصحاب السنن).



(١٢)

# تعدد زوجات الرسول (١)

## ١٢ـ تعدد زوجات الرسول ﷺ (١)

الحمد لله له ملك السموات والأرض، وهو القادر الذى لا حدودَ لقدرته، وهو سبحانه على كل شىء قدير، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال فى كتابه الكريم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١) وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الفعال لما يريد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الذى أرسله ربه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن مستنقع الكفر إلى رياض الإيمان، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك الذين هُدُوا إلى صراط الله المستقيم، وعرفوا ربهم حق المعرفة وأدوا واجبهم بإخلاص، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: تعدد زوجات الرسول صلوات الله وسلامه عليه يختلف عن تعدد زوجات غيره، إذ إن الأسباب الداعية إلى التعدد فى حقه ليست هى الأسباب بالنسبة لغيره، ولهذا لم يتقيد الرسول بالعدد المقرر لرجال أمته، وإنما تجاوزه وخرج عن إطاره لأن الأسباب مختلفة وقبل ذكر الدواعى لتعدد زوجات الرسول، فإن التعدد فى حقه عليه السلام خصوصية له، ولم يكن هذا التعدد بالنسبة له داخلا فى نطاق الشهوة أو حُبِّ الولد، وإنما كان لأغراض أسمى من ذلك، ولأهداف لصالح الدعوة الإسلامية، وتأمين مسيرتها، والانطلاق بها فى آفاق رحبة وطرق ممهدة، ثم إن الرسول لم يتجه إلى التعدد إلا بعد أن تجاوز الخمسين من عمره، وبعد أن انتقلت السيدة خديجة إلى جوار ربها ورحاب رحماته، وإذاً فهذا التعدد فى حقه عليه السلام لم يكن الباعث عليه الاستجابة لنداء الغريزة الجنسية، أو السعى وراء إشباع شهوة، أو الرغبة فى إنجاب الذكور، وما إلى ذلك مما يكون سببا بالنسبة لغيره من المسلمين أو غيرهم من الناس، ومن المعلوم أن الرسول كانت تحيط به عوامل التعدد من كل جانب، حيث كان يعيش فى بيئة انتشرت فيها ظاهرة التعدد دون تحديد، وفى الوقت نفسه لم يعش له من خديجة ذكر فى زمن كانت توأد فيه البنات، وإذاً فعوامل التعدد موجودة، ولكنه عليه السلام لم يقدم عليه إلا بعد موت خديجة، ودخوله فى العقد الخامس من عمره.

أيها الإخوة: إن تعدد زوجات الرسول منها ما هو عام ومنها ما هو خاص، ومن الأسباب العامة ما يلى:

**أولا**: ليس الرسول مرسلا إلى الرجال فحسب، وإنما هو مرسل إلى الإنسانية جمعاء، ذكورها وإناثها، وأحكام الشريعة الإسلامية التى جاء بها الرسول من قبل ربه، منها ما هو مشترك بين الرجل والمرأة، ومنها ما هو خاص بالنساء كالحيض والنفاس وغير ذلك من أحكام، وقد تستحى النساء من سؤال الرسول عن بعض أحكام الشريعة التى تخصهن ويجب عليهن معرفتها، ولهذا كن يسألن زوجات الرسول، وهن بالتالى يسألن رسول الله، ثم ينقلن حكم الدين إلى السائلات، والمرأة تستطيع أن تخاطب غيرها من النساء أكثر من الرجل، لأن الرجل، قد يستحى أن يخاطب المرأة بحرية تامة، ولا سيما إذا كان من أهل المروءات والحياء وتلك هى أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت للرسول عليه السلام: يا رسول الله كيف اغتسل من الحيض؟ فقال لها رسول الله: «**خذى فرصة ممسكة ـ أى قطعة قطن ـ وتوضئى**» فأعادت أسماء السؤال ثلاث مرات والرسول يجيبها بما سبق، وهو فى كل هذا يقول: سبحان الله عند إعادتها السؤال، ثم إن النبى استحيا وأعرض بوجهه وعندئذ جذبتها السيدة عائشة وأخذت تعلمها.

من أجل ذلك كان لزاما على الرسول أن يتلقى منه عدد كبير من النساء الأحكام الخاصة بهن، وهن يبلغن تلك الأحكام إلى غيرهن من النساء ولا يصلح للتلقى عن الرسول إلا زوجاته، حيث إن لهن خصائص تؤهلهن وتمكنهن من معرفة غرض الرسول دون تأفف أو استحياء، يشير إلى ذلك ما قيل: «**خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء**» يعنى السيدة عائشة ـ رضى الله عنها.

**ثانيا**: الدعوة الإسلامية فى بداية مسيرتها كانت فى حاجة إلى من يقوى شوكتها، ويزيل العقبات من طريقها، وللمصاهرة دور كبير فى تعضيد الدعوة، وتقوية جانبها، ودفع المعوقات عنها، ولذا كان من الحكمة أن يصاهر الرسول كثيرا من القبائل، حتى تكون سندا له بعد ربه، ولتذود عنه أذى الأشرار وتحد من تحديهم لدعوته، ثم إن مصاهرة الرسول لغيره بالإضافة إلى ما سبق، كانت سببا فى إسلام كثير من الناس، فهؤلاء هم بنو المصطلق قد أسلموا بعد أن تزوج

الرسول من ابنة سيدهم، ومما يؤيد أن من أسباب تعدد الزوجات للرسول الانتفاع بنتيجة تلك المصاهرة، أن اكثر زوجاته من قريش التى هى سيدة العرب، كما أن المسلمين كانوا يرون أن أعظم شرف لهم هو الانتساب للرسول عن طريق المصاهرة، ولذلك فَعَلِىٌّ - كرم الله وجهه - مع وجود رابطة القرابة بينه وبين الرسول، واقترانه بابنته السيدة فاطمة - رضى الله عنها - مع تلك القرابة والمصاهرة، كان يرغب من أعماق قلبه أن يزوج أخته أم هانىء من رسول الله ليتضاعف شرفه ويزيد، ولولا خوف عَلِىٍّ من التقصير فى القيام بحقوق رسول الله من جانب أم هانىء بسبب انشغالها بخدمة أبنائها، لولا ذلك لزوجّ علىّ أخته من رسول الله ﷺ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تألم اشد الألم حين فارق الرسول ابنته حفصة، عندما تصدعت تلك الرابطة التى كان يعتز بها كل الاعتزاز، ولتعرّض صلته القوية بالرسول للاهتزاز، وعندما راجع رسول الله حفصة، وتنفّس عمر الصعداء، وامتلأ قلبه فرحا وسرورا لعودة المياه إلى مجاريها، وزال عنه الهمّ الذى كان قد ألم به وأرّقه..

هذان سببان رئيسيان لتعدد زوجات الرسول ﷺ، وكل منهما يهدف إلى خدمة الدعوة الإسلامية ونشرها، والسير بها إلى الأمام دون معوقات.. أما عن الأسباب الخاصة فهى كثيرة، وجُلّها يستهدف النواحى الإنسانية، ومنها ما هو خاص بناحية تشريعة أو سياسية.. ولنلق نظرة على سبب زواج الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بالسيدة جويرية - رضى الله عنها -، وسنجد أن الباعث على التزوج بها كان إنسانيا، وقد ترتب على هذه الزيجة الخير الكثير، وتتلخص قصة هذا الزواج فى أن الحارث بن ضرار والد جويرية وسيد بنى المصطلق، حشد الجموع الكثيرة لمحاربة رسول الله - ﷺ -، وقد رأى الرسول أن يعرض عليهم الإسلام، ويجنّبوا أنفسهم شرّ الحرب، وما يترتب عليها من أضرار، ولكن هذا العرض النبوى الكريم قوبل بالإباء والرفض من جانب بنى المصطلق، فكان لابد إذاً من مواجهة تلك الجموع، وتلقين هؤلاء الرافضين ما عرضه الرسول عليهم الدرس القاسى، وقامت الحرب بين الجانبين، وانتصر المسلمون وانهزم الأعداء، ووقعوا أسرى فى أيدى المسلمين ووقعت جويرية فى سهم ثابت بن قيس، وقد كاتبها على

سبع أَوَاق من الذهب، ولكنها ذهبت إلى رسول الله - ﷺ - وهى تتوسم فيه الخير، وذكرت نسبها وشرفها فى قومها، ورجته أن ينعم عليها بنعمة الحرية التى هى أغلى شىء فى الحياة، وأن يكرمها ويبعد عنها ذُلّ الأسر، وهنا تذكر الرسول ما كان لقومها من عزّ ومجد وقوة، وما آلت إليه حال رجالهم من استرقاق بسبب عنادهم وسوء تدبيرهم، وعندئذ تحركت عوامل الشفقة والرحمة فى قلب الرسول الكريم، فأحسن إليها وإلى قومها بأداء ما عليها، وأخرجها من ذُلّ الأسر إلى عزّ الحرية، ثم أضاف إلى هذا الفضل فضلا آخر، وذلك بأن تزوجها بإلهام من ربه، فما كان من المسلمين حينئذ إلا أن أعتقوا جميع من بأيديهم، قائلين: إن أصهار رسول الله لا يسترقون، وعلى أثر ذلك أعلن بنو المصطلق إسلامهم شكرا لله على نعمة الحرية بعد ذُلّ الكفر والأسر، إنه لزواج مبارك ميمون، بنى على ركيزة إنسانية، وأسس على هدف سام وغاية نبيلة، ولذا كان ثمرة هذا الزواج إسلام قوم جويرية، وانضمام أولئك الذين كانوا يعادون الرسول ودعوته إلى حظيرة هذا الدين العظيم والسبب فى ذلك الأثر الكبير وتلك النتيجة الطيبة، هو هذا الزواج المحمدى، وذلك النبل الإنسانى، الذى تحلى به حبيب ربّ العالمين، ورسول الإسلام محمد ﷺ والذى انعكس أثره الرائع على المسلمين، أتباع الرسول العظيم، وأما زواج الرسول ﷺ بالسيدة عائشة - رضى الله عنها -، فقد كان الباعث عليه الترجمة العملية لما فى قلب رسول الله من حب عميق لأبى بكر الصديق رضي الله عنه، الذى كان له شرف السبق فى اعتناق دين الإسلام، والتقدير الكامل لرفيق النبى فى رحلة الهجرة المباركة، والذى بلغ الذروة فى التصديق بكل ما أخبر به، وتوثيق الرابطة بين الرسول وصاحبه بالتزوج من ابنته، فكان هذا الزواج المبارك قُرّة عين لأبى بكر وابنته وتدعيم تلك الصلة التى بين الرسول ﷺ ووزيره الأول إنه زواج قائم على اعتبارات إنسانية، وهو يمثل أجل المعانى ويجسد أنبل الوفاء والتقدير من جانب الرسول صلوات الله وسلامه عليه لخليفته أبى بكر الصديق رضي الله عنه، وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «**إنما بعثت لأتمّمَ مكارم الأخلاق**» (مالك).



# (١٣)
# تعدد زوجات الرسول (٢)

## ١٣ـ تعدد زوجات الرسول ﷺ (٢)

الحمد لله آناء الليل وأطراف النهار، على ما حبانا به من فضل، وما أكرمنا به من رعاية، رما أسداه إلينا من نعم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، فضله عظيم على المؤمن والكافر، ونعمه متواصلة على البرّ والفاجر، لأنه رءوف رحيم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الذى لا رسول بعده ولا رسالة بعد رسالته، فهو الرسول الخاتم، وهى الرسالة الخاتمة، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الذين عاشوا فى رحاب الإيمان، وعطّروا ألسنتهم بآيات القرآن، وأطاعوا الله وأطاعوا الرسول، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأعزاء: أعداء الإسلام يلصقون العيوب بالإسلام، ويقولون: إن رسول الإسلام تزوج كثيرا من النساء، وتجاوز العدد المحدد بأربع، ونسى هؤلاء أن تجاوز الرسول لهذا العدد خصوصية له، وأن هناك أسبابا لهذا التعدد، وتلك الأسباب منها: ما هو إنسانى. ومنها: ما هو تشريعى. ومنها: ما هو سياسى، وأن الهدف الأساسى لذلك التعدد، يتمثل فى دفع دعوة الإسلام إلى الأمام، وإخراجها من المحيط الضيق إلى محيط أوسع ودائرة أكبر، وجذب أعداد ضخمة إلى اعتناق الدين الإسلامى، ولن يتيسر هذا الهدف ولن تتحقق تلك الغاية، إلا بمصاهرة كثير من القبائل العربية، وهذه نماذج يتجلى فيها ما كان يهدف إليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه من تزوجه والتعدد فى حقه، فتلك هى السيدة حفصة ابنة الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تزوجها الرسول بعد أن توفى زوجها بسبب جراحه فى غزوة بدر الكبرى، والتى أراد أبوها أن يعوضها عن زوجها بعرض زواجها من عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذى كانت زوجته رقية ابنة الرسول قد توفيت آنذاك، غير أن عثمان أعرض عن هذا الزواج لأنه كان يرغب فى الزواج من أم كلثوم، كريمة رسول الله وشقيقة زوجه المتوفاة، وحرصا منه على أن تظل مصاهرته برسول الله قائمة، وبهذا يستديم شرفه عن طريق تلك المصاهرة الكريمة، ولقد تأثر عمر - رضي الله عنه - لإعراض عثمان - رضي الله عنه - عن التزوج

بابنته حفصة، وكانت نتيجة هذا الموقف أَنْ شَكَا عمر - رضي الله عنه - إلى رسول الله وأبدى له تألمه من تصرف عثمان، فما كان من رسول الله - وهو الذى بلغ القمة فى إنسانيته إلا أن خفف عن عمر ما بنفسه، وأدخل السرور على قلبه، وذلك بتزوجه من حفصة ابنته، وبهذا عوض الله ابنة عمر خيرا من عثمان، وهكذا كان زواج الرسول من حفصة مبنيا على تلك النظرة الإنسانية، وقائما على أساس هذه اللفتة النبوية تجاه عمر - رضي الله عنه -.

وأما زواج رسول الله من السيدة صفية - رضى الله عنها - فيرجع سببه إلى أنها كانت وقعت مع عشيرتها فى السبى، وهى بنت سيد بنى النضير حُيَىّ بن أخطب، وقد أجاز الرسول لِدِحْيَةَ الكلبى أن يأخذ جارية من السبى، فوقع اختياره على صفية، غير أنه قيل للرسول - صلوات الله وسلامه عليه: إنها ابنة حُيَىّ بن أخطب وهى سيدة قومها، وإنه لا ينبغى أن تكون صفية لغير رسول الله، ولما كان الرسول عظيم الرأفة شديد الشفقة، ولاسيما بالنسبة لمن ذُلّ بعد عزّ، فإنه - والحال هذه - وبناء على تلك الرغبة من جانب بعض المؤمنين، فقد طلب من دِحْيَةَ الكلبى أن يترك صفية ويأخذ غيرها، فلبّى دِحْيَةُ طلب الرسول وأخذ غيرها، وعندئذ أكرمها رسول الله وتزوجها رأفة بها، وإشعارًا لها بأنها ستكون أعزّ مما كانت عليه فى قومها، تلك هى قصة زواج الرسول بصفية، وهى إن دَلّت على شىء فإنما تَدُلُّ على إنسانية رسول الله ﷺ.

وتزوجه صلوات الله وسلامه عليه من سودة بنت زمعة، أرملة السكران بن عمرو، كان لحمايتها ومعاونتها، ووفاء لزوجها الذى لاقى من الإرهاق والتعب فى سبيل عقيدته ودينه، ما جعله يهاجر إلى الحبشة، فذاق ألم الغربة والتشريد مع زوجته، حتى فارق الحياة، وتركها دون عائل ولا معين، حيث إن أهلها كانوا قد نبذوها وحنقوا عليها بسبب اعتناقها دين الإسلام، فكان لابد إذاً أن يتزوجها الرسول، حماية لها وعطفا عليها، وتفاديا من اضطراب حياتها، وإنقاذا لها مما تعانى، بعد أن فقدت زوجها وتنكر أهلها لها، وهذا التصرف الإنسانى من جانب الرسول يبرهن على ما كان يتحلى به من عطف كبير، وَبِرّ عظيم.

وفى تزوج الرسول عليه السلام بميمونة بنت الحارث التى كانت سنها وقتئذ

خمسين عاما أطيب الثمار، حيث كانت تلك المصاهرة سببا فى إسلام قومها، وعلى رأسهم القائد المظفر، والبطل الفذّ خالد بن الوليد ﵁، الذى ارتبط اسمه بالانتصارات، وخلد التاريخ ذكره، وله مواقف جديرة بالتقدير، أما أم سلمة فقد جرح زوجها فى غزوة أحد، ثم مات من جرحه وهو على رأس جيش المسلمين، الذى وجهه الرسول إلى بنى أسد، وترك أولادا صغارا يحتاجون إلى من يعنى بهم ويعولهم، ولما أراد الرسول التزوج بها وفاء لزوجها، وعناية بشأن أولادها، اعتذرت بسبب كبر سنها وكثرة عيالها، غير أن الرسول أخبرها بأن أولادها هم سبب اتجاهه إلى زواجه منها، وأنه يريد أن يكون وفيا لزوجها الذى فقدته، وأن كبر سنها لا يقف عقبة فى طريق التزوج منها، فوافقت عندئذ أم سلمة شاكرة ربها على هذا الفضل العظيم والزواج من الرسول الكريم،

وأما زينب بنت جحش فزواج الرسول ﷺ بها، كان سببه التشريع والتأسى به، ولتقرير مبدأ عملى من مبادئ الإسلام، وهو مبدأ المساواة بين المؤمنين، وألا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، ولكى يبطل عادة من العادات الجاهلية، وهى تحريم زوجة الدعى على من ادعاه، ولما كان كلا الأمرين متأصلا لدى العرب ولم يكن من السهل تغيير تلك العادة مع عامة الناس، فقد اختار الله لتنفيذ هذه المهمة الشاقة على النفوس حبيبه محمدا ﷺ وشريفة من آل بيته وهى السيدة زينب بنت جحش، فخطب الرسول ابنة عمته زينب لزيد بن حارثة عتيقه ومتبناه، ولكن زينب رفضت هذا الزواج، وشاركها أخوها عبد الله فى هذا الرفض، وذلك لما بين زيد وزينب من فوارق يعتز بها العرب، ولكن الرسول أصر على أن يتم زواج زيد من زينب، حتى يقرر مبدأ المساواة بين المؤمنين ويعمِّقه بينهم، ونزل القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦) وعندئذ رضيت زينب ووافق أخوها على هذا الزواج الذى قررته السماء وتم زواج زينب بزيد واستقر مبدأ المساواة، غير أن زينب لم تنس أنها شريفة قرشية وأن زوجها كان بالأمس عبدا، وهى أن كانت أسلمت لزيد جسدها لكنها لم تسلم له روحها، ولولا أن الله ورسوله قضيا بزواجها من زيد لما قبلت أبدا، ولأن زينب

إنسانة وهى غير معصومة، فقد كانت كارهة لزوجها ومتعالية عليه، وكانت بين الحين والآخر تفخر بنسبها، ونتيجة لتصرفاتها مع زيد، كانت الحياة الزوجية بينهما غير مستقرة، وكان زيد يشكو إلى رسول الله سلوكها معه، ويستأذنه فى تطليقها، ولكن الرسول كان يطلب منه التريث، ويقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٣٧) وتحمل زيد وتريث، ولكن لم يدم تحمله طويلا، لتعرضه كثيرا لما يكدر حياته الزوجية، وهنا كان لابد من الانفصال فكان الطلاق الذى أنهى تلك الحياة بينهما، ولما انقضت عدة زينب، تزوجها الرسول بأمر الله، وهذا الزواج كان لحكمة كبرى، وهى تحطيم مبدأ كان معمولا به ومشهورا لدى العرب، وهو تحريم زواج امرأة الابن من التبنى كتحريم زوجة الابن من النسب، ولتغلغل تلك العادة فى النفوس وتأصلها، جاء هدمها على يد رسول الله وعلى يد زيد بن حارثة مولاه، وزواج زيد بزينب كان امتحانا لزينب وأخيها، حيث أكرهها على قبول زيد، وزواج رسول الله من زينب كان هو الآخر امتحانا للرسول، وفى الوقت نفسه كان تشريعا، وإذاً فزواج الرسول من زينب بعد زيد تشريع ربانى، وكان تنفيذا لأمر الله تعالى، حتى يتخلص الناس من أسر عادة ألفوها وتمسكوا بها، وقد نزل القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب: ٣٧) وهكذا كان زواج رسول الله لأسباب شريفة وغايات نبيلة، وكان النبى يستهدف فى زواجه بمن تزوجهن نصرة الدين، ونشر الدعوة، وأن يجعل من نفسه أبا لكل محروم وبائس، وعائلا ومعينا لمن فقدن أزواجهن، ولو كان الرسول يقصد من تعدد الزوجات إرضاء شهوة لاختار أجمل الفتيات، وأى فتاة مهما سمت منزلتها، وعلت مكانتها، تتمنى من قرارة نفسها أن تنال الشرف الأعظم بالزواج من رسول الله، وتحظى بأن تكون أما للمؤمنين، ولكنه ﷺ تزوج من أجل أغراض إنسانية أو سياسية أو تشريعية، ثم إنه لم يعدد إلا فى السنوات الأخيرة من حياته، وكانت تلك الفترة ذات كفاح دائب، ولما استقرت الأمور، وتوطدت أركان الدعوة الإسلامية، وانتصر دين الله، وبعد أن استنفد تعدد زوجات الرسول أغراضه الشريفة، جاءت التعليمات من السماء لرسول الله بالتوقف عن التعدد،

وعدم مفارقة من معه من الزوجات، ومما تقدم يتضح لنا أن تعدد زوجات الرسول كان بأمر من الله ولحكم سامية، وهؤلاء الذين يشوهون السيرة المحمدية، لن ينالوا من شرف الرسول، ولن يحققوا أهدافهم الخبيثة، ومهما تطاول أولئك الأعداء بألسنتهم الملوثة على رسول الإسلام، فإنهم لن يستطيعوا تشويه سمعته الطيبة، وستظل سيرة رسول الله عطرة فوّاحة رغم أنوفهم، ولن يقدروا على النيل من تلك الشخصية الكبيرة، التى استمدت عظمتها من نبل السجايا وجميل الخلال، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**أدبنى ربى فأحسن تأديبى**». (رواه العسكرى)



(١٤)
# المرأة فى ظل الإسلام

## ١٤ - المرأة فى ظل الإسلام

الحمد لله القائل فى كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١) وهو سبحانه بهذا التصرف الإلهى، يلفت أنظارنا إلى ما اتصف به من قدرة وإلى أن أفعاله مبنية على الحكمة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلقنا ورعانا، ولم يتركنا فى دنيانا حيارى، فسبحانه من رب قادر رءوف رحيم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، سفير الله إلى خلقه، والمؤيد من ربه بالمعجزات الخارقة للعادة، والتى هى فوق مستوى قدرات البشر، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين تربوا فى المدرسة النبوية الإيمانية، فكانوا نماذج إيمانية رائعة، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباب: كانت المرأة فى الغالب الأعم قبل الإسلام ممتهنة، وليس لها وزن ولا تقدير، ولم يكن لها نصيب من الاحترام الذى للرجل، إذ الرجل آنذاك هو الحاكم بأمره، وهو الذى يتصرف برأيه، ويخطط ويقرر، وكلمته مسموعة، ورأيه محترم، وقراره لا يناقش، أما المرأة فعليها أن تنفذ أوامر الرجل، وهى تابعة له ومطيعة، وعملها محصور فى دائرة مغلقة لا تتعداها، وتتمثل تلك الدائرة فى المنزل، تلك كانت حال المرأة قبل الإسلام، وعملها كان بهذه الصورة الضيقة، وبهذا الطابع المحدود الذى لا تخرج عن حدوده، ولما جاء الإسلام نظر إلى المرأة نظرة تقدير، وكرمها أيما تكريم، ونقلها من حياة الضعة والامتهان إلى حياة العزة والكرامة، وأعطاها حقوقا كانت ضائعة، ورفع شأنها وسما بها، وقد جاء القرآن الكريم بآية كريمة تبين المساواة بين الرجل والمرأة فى حسن الجزاء من الله، والكرم الإلهى لهما دون تفرقة ما داما فى ظل الإيمان والعمل الصالح، وتتمثل هذه النتيجة الرائعة فى قول الله تعالى فى سورة غافر وفى الآية الأربعين منها: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

إنه التكريم الربَّانى العادل للذكر وللأنثى على السواء، وإنه الخير الغامر من صاحب النعم لهما بلا تفرقة، وربنا - بهذا الجزاء الأوفى لهما - يبرز لنا العدل الذى يتصف به سبحانه فى أسمى معانيه وأروع صوره، والله تبارك وتعالى عادل كل العدل، وهو يأمر المسلمين به، وقد حرم جَلّ شأنه الظلم على ذاته الكريمة، ونهى عباده عن الظلم، لأن الظلم يؤدى إلى ظلمات يوم القيامة، والله لا يحب الظالمين.

إن للمرأة فى المجتمع الإسلامى منزلة سامية، ومكانة مرموقة عالية، ولها تقديرها واحترامها على مَرّ الأيام وتتابع الحقب، لما قامت به من جهود موفقة وأعمال إنسانية رائعة، ووظيفة اجتماعية كبرى، ومشاركة فعلية مع الرجل فى ميدان الجهاد، ولم ينس التاريخ أن يسجل لها دورها الكبير وأثرها الفعال وجهادها الإيجابى وخدماتها الجليلة فى سجل الفضائل والخلود بمداد الفخر والإعجاب، وكيف لا يذكر التاريخ للمرأة فضلها، ويرويه ويضفى عليه هالة من التقدير؟ أليست هى التى لم يقتصر عملها داخل مجتمعها الصغير الذى يضمها ويضم زوجها وأولادهما؟ إنها تجاوزت هذا الإطار الضيق المحدود فى مساحته الواسع الكبير فى كثرة مسئولياته وعظم تبعاته، تجاوزته إلى ميدان أكبر وأوسع، ميدان العمل الإنسانى الخلاق والنشاط المثمر البناء، ودخلت هذا الميدان الكبير من أوسع أبوابه، ونجحت فيه أيّما نجاح، وأثبتت جدارتها ولم تفشل، وقامت بمجهود رائع فى النواحى الاجتماعية على اختلاف صورها وتعدد ألوانها، ولم تقف المرأة عند هذا الحد، وإنما خاضت غمار الحروب، وأسهمت بنصيب كبير وقت الشدائد، ونزول المحن ومنازلة الأعداء، وكانت مع الرجل جنبا إلى جنب عند النوازل، ولم تتخلف عن أداء واجبها عند الأخطار، ولم تكن سلبية أو كمًّا مهملا، وإنما كانت إيجابية متفاعلة، متعاونة مشاركة بصور مختلفة، فتارة تحمل السلاح كالرجل سواء بسواء، وتارة تداوى الجرحى أو تشد أزر المقاتلين، والتاريخ الحديث دوّن فى سجل الشرف ما قامت به المرأة فى الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسى، وأثبت أنها ضحّت بشجاعة فائقة، وجاهدت من أجل وطنها ببسالة رائعة، وعلى رأس الجزائريات اللائى قمن بتسديد الضربات الموجعة للعدو «جميلة بوحريد» تلك المرأة التى دوّخت الأعداء، وذادت عن وطنها بصورة مشرقة، وألحقت

بالمستعمرين خسائر فادحة، وقد تحدث العالم آنذاك عن تلك المرأة وغيرها من الجزائريات حديثا مشرّفا، وأبرزت الصحف ما قامت به «جميلة» من أعمال وطنية بطولية، وبفضل تضحيتها وتضحية الشعب الجزائرى رحل الاستعمار عن أرض الجزائر، وهرب من ميدان المعركة وهو يَجُرُّ أذيال الهزيمة النكراء التى مُنِىَ بها، وخرج حزينا كئيبا حاملا معه عار استعماره، وتلك هى المرأة الفلسطينية هى الأخرى قامت ببطولات فَذّة، وشاركت الرجل مشاركة فعّالة، وما قامت به «سناء محيدلى» من عمل أودى بحياتها لخير دليل على الشجاعة والتضحية، وقد أوقعت بالعدو الجاثم على أرض فلسطين خسائر كبيرة، وهناك نماذج أخرى مشرّفة.

وهذه الشجاعة النسائية فى العصر الحديث إنما هى مستمدة من العصر الإسلامى الأول، فهى لم تأت من فراغ، ولم تكن وليدة هذا العصر، وإنما لها جذور ضاربة فى أعماق التاريخ، ويدل على ذلك مشاركة المرأة فى الحروب بين المسلمين والكفار، وإيجابيتها وبطولتها، ولقد ذادت عن الرسول ﷺ، وقامت بدور عظيم جعلها محلاً لتقدير المسلمين لها، وتلك هى الخنساء قدمت أولادها للمشاركة فى ميدان الجهاد، ودفعت بهم إلى ساحته متطلعة إلى شرف استشهادهم فيه، وقد حقق الله أمنيتها حيث استشهد أبناؤها، ونالوا إحدى الحسنيين، ونالت هى الأخرى أعظم وسام، لأنها هى التى أهّلَتْ هؤلاء الأبناء، وبثّت فيهم روح الشجاعة، وهى التى قالت بعد استشهادهم: «الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم» وهاتان سيدتان من سيدات الرعيل الأول فى صدر الإسلام، تتحدثان عما قامت به المرأة المسلمة من أعمال جليلة وعاها الزمن، فهذه هى الربيّع بنت معوذ تقول: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، نسقى القوم ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة» (البخارى)

وتلك هى أم عطية الأنصارية نسيبة بنت الحرث تقول: «غزوت مع رسول الله - ﷺ - سبع غزوات، أخلفهم فى رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوى الجرحى، وأقوم على الزمنى» (البخارى) وهذا أنس - رضي الله عنه - يقرر لنا: أنه رأى السيدتين عائشة بنت أبى بكر، وأم سليم - رضى الله عنهما - فى موقعة أحد، وهما تنقلان قِرَبَ الماء على ظهرهما وتفرغان الماء فى أفواه القوم، وأنهما كررتا ذلك عدة

مرات، ولقد كان النساء يقمن بحراسة رحال القوم، لتأمين ظهورهم، وإراحتهم من عناء التفكير فيها والقلق عليها، حتى يتفرغوا لأعمالهم الحربية، ويقوموا بواجبهم فى ميدان القتال على أكمل وجه.

وتلك هى أم عمارة، حملت السيف فى غزوة أحد ودافعت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه دفاعا مُشَرِّفا، وذادت عنه ببسالة نادرة، وكانت فى ذودها عنه كأنها الأسد فى الشجاعة، وأخذت تجول وتصول فى الميدان كأعظم مقاتل، ولهذا قال عنها الرسول ﷺ: **«ما التفتُ يوم أُحُدٍ يمينا ولا شمالا إلا وأراها تقاتل دونى»** (البخارى).

إنها الإشادة المحمدية بتلك الصحابية الجليلة أم عمارة التى حمت الرسول من أخطار الأعداء، وحافظت على حياته كل المحافظة، ولهذا كان الإعجاب من الرسول بتلك المسلمة الشجاعة، إن المرأة قامت وتقوم بدور مشرف وأعمال عظيمة، ثم إن كل عظيم وراءه امرأة عظيمة، والنساء شقائق الرجال، وهن فى كل زمان ومكان على مستوى المسئولية والإحساس بها، ولذا يقفن مع الرجال جنبا إلى جنب عندما يتعرض الوطن لهجمة شرسة من جانب الأعداء.

وفى عصرنا الحاضر دخلت المرأة ميدان الجيش والشرطة، وهى تؤدى واجبها أحسن ما يكون الأداء، وتقوم بأداء رسالتها على أكمل وجه، إن الإسلام يقدر المرأة حق التقدير، وهو يرحب بكل جهد مخلص من كلا الجنسين من أجل المجموع، وها هى ذى أمتنا الإسلامية تمر الآن بمرحلة دقيقة قاسية، والأعداء يتربصون بها من كل جانب، ويخططون لوقف الزحف الإسلامى ومحاربته، ويتكتلون للقضاء عليه وعلى أتباعه، بعد أن قضوا على الشيوعية وانتصروا عليها، وهذا الموقف يقضى من المسلمين رجالا ونساءا أن يتعاونوا على ما فيه خير الإسلام والمسلمين، ويواجهوا بكل حزم وشجاعة ما يهدد حياتهم، ويكونوا على قلب رجل واحد للقضاء على مؤامرات أعدائهم، وإذا تحقق ذلك فيهم، تحققت آمالهم، واندحرت قوى البغى والظلم، ورحلت جحافل العدوان واختبأت فى جحورها، وتخلص المسجد الأقصى من براثن الاحتلال، وتطهرت الأرض العربية من دنس مصاصى الدماء وأعداء الإنسانية.

إن الأمة الإسلامية غنية برجالها ونسائها، ثريّة بما فيها من عقول حصيفة: وبطولات نادرة، وهي خير أمة أخرجت للناس بشهادة القرآن الكريم، الذى هو كلام رب العالمين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) وستظل تلك الأمة بهذه الخيرية إلى أن ينتهى عمر الدنيا، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» (ابن حبان)

* * *

# (١٥)
# الزواج العرفى
# سلوك شيطانى

## ١٥ - الزواج العرفى سلوك شيطاني

الحمد لله الذى أرسل رسله لهداية خلقه، وتبصيرهم بالخيْر ليتبعوه، وبالشر ليجتنبوه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يترك خلقه دون رعاية، ولم يدعهم يعيشون فى جو الجهالة، وقد استخلفهم فى الأرض، وفى هذا تكريم لهم وتقدير، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، جاءنا بدستور السماء، وقوانين رب العالمين، التى تقرر أن الحلال بين، وأن الحرام بين، وأن على الخلق أن يحسنوا مسيرتهم فى الحياة، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين عطروا دنياهم بالتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، والذين سمت أرواحهم، وامتلأت قلوبهم بحب ربهم وحب رسولهم، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: نحن فى زمن كثرت فيه الانحرافات، وشاعت الموبقات بصورة رهيبة تنذر بشر كبير، ولقد ذاع الشر وفشا السوء فى هذا الزمان، ولا ندرى ماذا سيحدث فى المستقبل؟. وها نحن أولاء نسمع ونبصر أمورا غريبة على مجتمع الإسلام، وهى دخيلة علينا ووافدة من جهات أخرى معادية لنا، والهدف منها هدم القيم الإسلامية، وإبعادنا عن هويتنا الإيمانية، ومسخ الصورة المشرقة لعقيدتنا. هذا هو الهدف وتلك هى الغاية، وما أقبح هذا الهدف، وما أسوأ تلك الغاية. ومن هذه الظواهر السلبية التى شاعت، والأمور الدخيلة التى ذاعت، ذلك الاتصال الجنسى من خلال ما يسمى بالزواج العرفى، وهذه التسمية ونسبتها إلى العرف خطأ واضح، ونسبة غير صحيحة، إذ إن العرف الإنسانى يرفض هذا السلوك، ويمقت ذلك التصرف، ولا يعترف ولا يقبل هذا الاتصال المحرم، وذلك السلوك الحيوانى، والعرف برىء من أن ينسب إليه ما يرفضه ويمجه ولا يرضى عنه، وأولى بأن يطلق على هذا الزواج بأنه الزواج الخفى، أو أنه الزواج السرى، أو أنه الزواج الشيطانى، أو أنه الزواج الحيوانى، أو أنه الزواج السلبى، أو أنه الزواج الانحرافى، وليس من الصواب أن يسمى بالزواج العرفى.. وإنه لمما يذيب النفس حسرة، ويمزق القلب أسى، إقدام من يتعلمون فى محاريب الجامعات التى لها

قداستها على هذا التصرف الماجن، وذلك السلوك الشائن، مع أنهم نالوا قسطا كبيرا من الثقافة، واتسعت مداركهم ونضجت عقولهم، ولكن للأسف الشديد وظّفوا ثقافتهم ونضج عقولهم فى ميدان السقوط الأخلاقى، والشهوة الحيوانية، وقد صاروا دمى فى يد الشيطان، يوجهها إلى ما يريد، من مستنقعات الرذيلة، ووحل الملذات البهيمية، ثم إنهم أصبحوا قدوة سيئة لغيرهم ممن هم فى المرحلة الثانوية من التعليم، ولهذا امتدت عدوى هذا الوباء الخطير إلى بعض الطلاب والطالبات فى تلك المرحلة، ولذلك ينطبق على من شوّهوا سلوكهم، وأساءوا إلى دينهم، وأغضبوا ربهم، وكانوا قدوة سيئة لغيرهم، ينطبق عليهم ما قاله الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ضمن حديث شريف: «**ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» وهكذا نجد العقاب مضاعفا لمن يكون قدوة سيئة لغيره، لأنه نشر الوباء، وكان سببا مباشرا فى انحراف الغير وذيوع الفساد فى المجتمع.. إن هذا الاتجاه الشيطانى إلى قضاء شهوة غير مشروعة، سيؤدى إلى أضرار جسيمة، وسيكون سببا فى مسخ صورة مجتمعنا، والقضاء على قيم ديننا، وعندئذ يحدث ما لا تحمد عقباه من انحلال وكوارث، وسقوط ومهانة، ولهذا يجب توظيف كل وسائل الإعلام على اختلاف ألوانها فى ميدان محاربة هذه الظاهرة الخطيرة قبل فوات الأوان، ومحاصرة هذا الشذوذ الأخلاقى قبل اتساع دائرته واستفحال خطره، ولتكن هناك توعية شاملة لكى نطهر المجتمع من هذا الدنس، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بين لنا أن هذا الزواج فقد أهليته الشرعية، وأنه فاسد وباطل، حيث قال بجلاء ووضوح: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل باطل باطل**» (الترمذى) فالرسول أكد بطلان هذا الزواج، ولهذا ذكر كلمة باطل ثلاث مرات، ليبين لنا فساد هذا السلوك بطريق التأكيد، وليقرر أنه لابد من وجود الولى لمن تتزوج، وبخاصة فى هذا الزمن الذى انقلبت فيه الموازين رأسا على عقب، والذى كثر فيه الطيش والانحراف بصورة مزعجة، ثم إن البنت التى تتزوج خفية وفى الظلام والسرية، وبدون ولى يباشر عقد زواجها، أساءت كل الإساءة إلى أبيها وأمها وأهلها، وتصرفها بهذه الصورة المزرية فيه عقوق وتجاهل. وإنه لمن العجب العجاب ألا تتذكر هذه البنت العاقة ما لأبيها وأمها من فضل ورعاية لها، إنه - والحال هذه -

ليس لديها وفاء ولا احترام لمن كانا سببا فى وجودها ورعايتها، والله - تبارك وتعالى - أمر بالإحسان إلى الوالدين فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، ولكن للأسف الشديد تجاهلت تلك البنت كل التجاهل ما أمر به الله، وفوجىء الوالدان بحدوث الكارثة، وبهذا العمل الطائش الذى أساء إليهما كل الإساءة. ثم إن الرسول - ﷺ - قرر بما لا يدع مجالا للشك، فساد هذا اللون من الاتصال الجنسى، وبين أنه لابد - لكى يكون الزواج صحيحا - أن يتواجد الولى ويباشر عقد الزواج، وأن يتواجد كذلك شاهدان عدلان يشهدان على هذا العقد، حيث قال - عليه السلام -: **«لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل»** (البخارى)

فالنكاح لا يكون صحيحا معترفا به إلا بوجود الولى والشاهدين العدلين، فإذا لم يكن الولى حاضرا فالزواج باطل، وحضور الشاهدين دون الولى لا يبرر صحة هذا الزواج، ثم إن هذين الشاهدين قد لا تتوفر فيهما العدالة، حيث إنهما على شاكلة من شهدا لهما، وهما من الطلاب الذين وقعوا فى بؤرة الزواج الذى يسمونه عرفيا وهو بعيد كل البعد عن العرف، وإذاً فهذا الزواج فاسد كل الفساد، باطل كل البطلان، وهناك شىء آخر قبل هذا الارتباط الشيطانى، وهو يتمثل فى اللقاءات المشبوهة بين الفتى والفتاة، والخلوة غير الشرعية بينهما، وما اختلى اثنان إلا كان الشيطان ثالثهما كما قرر الرسول - ﷺ - إنهما يلتقيان فى خلوة ولا ثالث معهما إلا الشيطان، وهما يتفقان على وضع البرنامج لهذا الارتباط الفاسد، ويفكران ويخططان بدون وعى دينى وبلا خوف من الله، وهما يختليان بعيدا عن الأعين وفى حضرة الشيطان، وفى ظل هذا اللقاء الشيطانى وتلك الخلوة الإبليسية وذلك الطيش المراهق، ترتكب الخطيئة، وتنتهك الحرمات، ويتمزق ثوب العفاف، ويحدث اللقاء الجنسى المحرّم بلا وازع من دين أو ضمير، وعندئذ ترتفع مظلة الإيمان عنهما، وتنتحب الفضيلة، وهذا شىء وارد وأمر طبيعى، حيث إن الفتى والفتاة فى عنفوان الشباب، وجموح الغريزة الجنسية، والشيطان معهما بوساوسه وإغرائه، والظروف مهيأة لهما لفعل ما يغضب الله، وتلقائيا يرتفع برقع الحياء، وتقع المعصية، وتحدث جريمة الزنا، إنه لشىء طبيعى وبديهى، إذ إنهما ليسا معصومين، وليس لديهما أسلحة تبعدهما عن ارتكاب تلك الجريمة النكراء،

والخلوة الشيطانية هى السبب فى حدوث تلك المأساة، والظروف التى نتجت عن تلك الخلوة هى التى أدت بهما إلى هذا الفعل المزرى، ومن هنا كانت النكبة الكبرى والمعصية العظمى دنيا وأخرى، وإذاً فالفساد قائم قبل الزواج الفاسد، والانحراف موجود قبل هذا الزواج السرى المرفوض دينا وعرفا، والدين ينظر إلى من يرتكبون هذا الجرم نظرة استنكار، والله الذى يعلم السر وأخفى غضب عليهم كل الغضب، لأنهم لم يخشوا ربهم، وتعدوّا حدوده، وارتكبوا جريمة الزنا ولم يفكروا إلا فى إشباع رغبتهم الجنسية، وهم يعرفون أن هذا التصرف حرام، ولكن المعرفة اختفت لديهم فى ظل متعة وقتية محرمة، ولذة جنسية منحرفة، ولو كان لديهم وعى دينى، وخوف من الله المطلع عليهم لما أقدموا على ارتكاب هذا المنكر الذى قال الله فيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢) إن هذا الزواج الخفى زنا، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قال فى هذا الشأن: «**لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها، فإن الزانية هى التى تزوج نفسها**» (الدارقطنى)

ثم إن من السنة إشهار الزواج، وإقامة حفل ولو مبسطا ليتحقق به إعلانه بين الناس، وقد ورد عن الرسول - ﷺ - قوله: «**أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه فى المساجد، واضربوا عليه بالدفوف**» (أحمد والترمذى)

إن هذا الزواج الشيطانى لن يستمر، ولن يتحقق فيه ما جاء فى القرآن الكريم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) فالزواج الشرعى هو الذى تتوفر فيه تلك العناصر، وهى السكن والمودة والرحمة، أما غير الشرعى فهو بعيد عن ذلك، لأنه قام على أرض هشة، أرض الشيطان والشهوة المحرمة، ثم إن الفتاة تتحمل المسئولية الكبرى فيما حدث، إذ إنها لم تدافع عن شرفها وعفافها، وهى التى استسلمت لهذا الذئب البشرى الذى لعب بعواطفها، بكلام معسول وأحلام خيالية، وهى التى انساقت وراء الشهوة الجامحة، ولم تفكر فيما ينتظرها من مصير مشئوم دنيا وأخرى، ثم إن حقوقها ضائعة، ولا تستطيع المحكمة أن تساعدها لأنها ليس فى حوزتها وثيقة رسمية، فهى - والحال هذه - خسرت الدنيا

والآخرة، وكان من الواجب عليها أن تقف من هذا الذنب موقفا مشرفا لدينها وأهلها ومجتمعها، ولكنها لم تفعل، ومن هنا كان هذا المصير القاتم، وتلك العاقبة الوخيمة، وصدق الرسول - ﷺ - حيث قال: «لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل» (البخارى).



# (١٦)
# التحذير من الانسياق وراء الشيطان

## ١٦ - التحذير من الانسياق وراء الشيطان

الحمد لله حذرنا من الوقوع فى شراك الشيطان، وأخبرنا سبحانه بأن الشيطان عدو لنا حيث قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر: ٦) وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر رسوله الكريم بالتعوذ من شر الوسواس الخناس، ذلك الذى يوسوس فى صدور الناس، وهذا العدو الذى بهذه الصورة الممقوتة، ليس قاصرا على الجنى فقط، وإنما هناك أيضا عدو من الناس، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الذى ليس لإبليس سلطان عليه، ولم يكن للشيطان طريق للوصول إليه صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك، الذين حاربوا الشياطين، ولم ينساقوا وراء الوساوس الشيطانية والنزعات الإبليسية، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: ليس كل الناس فى مستوى واحد، فهم ليسوا جميعا أغنياء، وليسوا جميعا فقراء، وهم ليسوا جميعا علماء، وهم ليسوا جميعا جهلاء، وهم ليسوا جميعا أصحاء، وليسوا جميعا مرضى، وهم ليسوا جميعا فى مرتبة واحدة فى القوة العقلية أو الجسمية، وإنما المستويات مختلفة، فهناك تفاوت بينهم فى كل شىء، فى الأرزاق، فى الأعمال، فى السلوك، فى المعاملات، فى الحظوظ والعادات، فى حسن التصرف وفى سوئه، وهكذا يتفاوت الناس ويتباينون، وتلك سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، والناس كذلك متفاوتون فى مواقفهم من وساوس الشيطان، فمنهم الذين يقفون من هذا اللعين موقف الشجاع القوى، والخصم العنيد الذى لا يلقى السلاح، ولهذا لا يتأثرون بالوساوس الشيطانية، ولا ينقادون للنزعات الإبليسية، ولا يسيرون فى ميدان الشهوات الحيوانية، وهم يفوتون على الشيطان الفرصة، ويضيعون عليه عمله، لأن قلوبهم مشرقة بنور الإيمان، ونفوسهم لا تتأثر بوساوس هذا العدو جنيا كان أم إنسيا، وعقولهم واعية، وهم يستعينون على قهر ذلك العدو بذكر الله وتذكر عقابه، ويدركون سوء العاقبة إن هم ساروا فى ركابه، وإبليس مع هذا النوع الحازم العاقل الواعى، يعيش فى هم وغم ويقضى حياته معهم فى تعب وشقاء، وألم وحزن

وعناء، وهذا الفريق من الناس الذين لا يستطيع الشيطان أن يحقق آماله معهم، هم أولئك الذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه، وهم المتقون الذين يعملون بما فى القرآن، والذين يرضون بكل ما قدره الله ويستعدون ليوم الرحيل بالعمل الصالح الذى يرضى عنه الله، وهم أولئك الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ربهم، فإذا هم على عدوهم منتصرون ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١) وما أحسن عاقبة هؤلاء الناس عند الله، وما أعظم النعيم المدخر لهم عند خالقهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ۝ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٣٠: ٣١).

تلك أيها المؤمنون نتيجة أقوياء الإيمان، الذين حاربوا الشيطان بشجاعة، وتغلبوا عليه وأفسدوا خططه، وصدرت عنهم الأعمال الصالحة التى أمر بها الله، فهنيئا لهم على جزيل الأجر من ربهم وغزير الثواب من خالقهم.

أيها الإخوة: هناك أناس آخرون ضعفاء، وعندهم خور فى عزائمهم، وليست لديهم القوة لمحاربة شياطينهم، ولذا يستسلمون له فى ذلة، وينقادون لأوامره بسرعة، ويسيرون فى فلكه بالإشارة، فينصرفون عن عبادة الله، ويتركون الصلاة، ويمنعون الزكاة، ويتهاونون فى حقوق الله، ويسيئون إلى خلق الله، ويحاربون ربهم بارتكاب المعاصى، ويجلسون حيث نهاهم الله، ويقترفون الجرائم والموبقات، ويعيثون فى الأرض الفساد، وهم فى غفلة عن إدراك مصيرهم، وسوء العاقبة المترتبة على فساد أعمالهم، وهم قد سلموا زمام أمرهم لعدوهم، ولذا سيطر على قلوبهم، واستولى على نفوسهم، وتمكن منهم كل التمكن، واستحوذ عليهم إبليس فأنساهم ذكر الله، وأعماهم عن طريق الهدى والنور، فصاروا لا يبصرون سوى طريق الرذيلة، ولا يرون سبيل الفضائل إنهم حزب الشيطان، وحزب الشيطان فى خسران، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩) إنهم البعيدون عن رحمة الله، المطرودون من ساحة كرمه وفضله، لأنهم تأثروا بوساوس الشيطان، ووقفوا سلبيين أمامه، ولم يقاوموا وساوسه،

وعاشوا فى ظلام المعاصى، واستهانوا بالقيم الأخلاقية والتعاليم الربانية، واستجابوا لنداء الشيطان، إنهم فى سكرة يعمهون، وهم فى غفلة ساهون، وقد ظلموا أنفسهم كل الظلم، حيث عرضوها لغضب الله، ويوم القيامة سيلقون مصيرهم الأسود القاتم السواد، وسيجدون فى انتظارهم نارا حامية وعذابا أليما، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٢٩) ولو أن هؤلاء الذين أضلهم الشيطان، لديهم استعداد طيب، وعقول رشيدة، لما استطاع أن يلعب بهم، وما كان له سلطان عليهم، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٤٢، ٤٣).

ولقد حذر ربنا بنى آدم من إبليس، وبين لهم أنه عدو كبير، وأنه أضل أناسا قبلهم، فباءوا بغضب من الله، ولو أن أتباع الشيطان تأثروا بما قاله الله، واتعظوا بما أنزل فى كتابه، وحاربوا هذا العدو، لما وقعوا فى هذه الهاوية السحيقة، ولجنبوا أنفسهم مهاوى الضرر والهلاك، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٠ - ٦٢).

أيها المسلمون: إن وظيفة الشيطان فى الدنيا معروفة، وهى الغواية والإضلال، ولقد رجا إبليس ربه أن يطيل فى عمره، فأجابه إلى ما أراد، كى يتمكن من إضلال عدد كبير من الناس، ومع تنوع أسلحة كيده ومكره، لن يستطيع مع هذا أن يؤثر فى عباد الله الخلّص، وصدق رب العزة حيث قال فى كتابه الكريم حكاية عن زعيم الشر إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٣٦ - ٤٠) وإليكم أيها الإخوة ما يدل على عداوة الشيطان للإنسان وأنه يعمل بشتى الوسائل ومختلف الأسلحة على الإضرار به والسير به إلى الهاوية، قيل: إن راهبا من بنى إسرائيل

كان يعبد ربه فى صومعة بعيدة عن الناس، وتصادف أن مرضت فتاة فى وقته مرضا شديدا، ويئس أهلها من علاجها وشفائها، وعندئذ ألقى الشيطان فى قلوبهم أن علاجها عند هذا الراهب، فحملوها إليه طالبين منه علاجها، وتركوها لديه إلى أن تشفى، أتدرون ماذا حدث؟ لقد ظهر الشيطان على خشبة المسرح، ولعب دورا خطيرا كان له أسوأ الأثر، حيث زين الفتاة فى عين العابد، وحسنها فى نظره، فزنى بها وسلب عفافها وشرفها، وبعد أن أشبع رغبته منها قتلها ليتخلص من الفضيحة والعار، وحفر لها حفرة وواراها التراب، ولما علم أهلها بما حدث، جاءوا لقتل هذا الراهب، وهنا تمثل الشيطان له وقال: ألا أدلك على طريق النجاة؟. قال: نعم، قال: اسجد لى سجدتين وأنا أخلصك، فسجد له سجدتين، وبعد أن تم للشيطان ما أراد، قال له: إنى برئ منك، وهكذا جر الشيطان الرجل إلى ارتكاب ثلاث جرائم من أشد الموبقات، وهى الزنا والقتل والإشراك بالله، وبعد ذلك تبرأ منه، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (الحشر: ١٦، ١٧) وصدق رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق، فضيقوا مجاريه بالجوع**».



# (١٧)
# من هدى الإسلام

## ١٧ ـ من هدى الإسلام

الحمد لله جعل دين الإسلام دين قوة لا ضعف، قوة فى العقيدة، وقوة فى الإرادة، وقوة فى الأخلاق، وقوة فى العمل، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل العزة له ولرسوله وللمؤمنين، وصدق سبحانه حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، القوى فى عقيدته، القوى فى عزيمته، القوى فى أخلاقه، القوى فى دعوته، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك، الذين صفت عقيدتهم وقويت، وخلصت نياتهم وطهرت، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

وبعد: فيقول رسولنا الحبيب محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**» (مسلم وابن ماجة وأحمد).

أيها الأحباب: هذا حديث شريف، يبين لنا فيه رسول الإسلام **خمسة أمور**: ويحثنا على تحصيل **ثلاثة أمور منها لأنها** تعود علينا بالخير والسعادة، وينهانا عن اثنتين منها لأنهما تفتحان الباب أمام الشيطان، ليجول ويصول فى قلوبنا، ويعمل على إضعاف عقيدتنا، وانحراف مسيرة حياتنا، **فأما الثلاثة** التى يرغبنا فيها الرسول، والتى تنطوى على سعادتنا: فهى تقوية الإيمان، والحرص على تحصيل كل مفيد ونافع، والاعتماد على الله والاستعانة به دون سواه، ولنلق الضوء على **الأمر الأول** وهو تقوية الإيمان، الذى هو مناط السعادة، وعماد الحياة الطيبة الهانئة، وأساس الفلاح فى الدنيا والآخرة، ما دام الإيمان مصحوبا بثمرته، مقترنا بلازمته، وتتمثل ثمرة الإيمان فى العمل الصالح، والفعل الطيب، والبعد عن كل ما يشوه مسيرة الحياة، من اقتراف الخطايا، والوقوع فى وَحْل الذنوب، وهذا هو القرآن الكريم يبين نتيجة الإيمان القوى وارتباطه بالعمل الصالح، حيث يقول

الحق تبارك وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧) وليس كل الناس فى الإيمان سواء، ولكنهم يتفاوتون فيه قوة وضعفا، فمنهم من قوى إيمانه فى كل مظهر من مظاهره، وبدت آثار هذا الإيمان فى شئون الدين والدنيا، فلا تقصير فى حق الخالق، ولا فتور فى حق الإنسان والإنسانية، بل عمل صالح دائب، وفعل نافع متواصل، ومنهم من كان إيمانه دون ذلك، ولم تظهر آثاره جلية قوية، ولم يكن هذا المؤمن - الذى بهذه الصورة - حريصا على تنمية إيمانه بالعمل الصالح النافع، وإنما كان سلبيا فى هذا الميدان، ومقصرا متكاسلا فى هذا الجانب، ولم يبال بتغذية شجرة الإيمان، وإنما أعرض ونأى. فهذان المؤمنان قويهما وضعيفهما لا يستويان، بل هما متفاوتان مختلفان، وبالتالى فمنزلتهما عند الله ليستا فى درجة واحدة،

إذ إن منزلة الأول - وهو قوى الإيمان - منزلة عالية، ودرجته عند الخالق العظيم درجة سامية، وحب الله له جم، لأنه تعهد عقيدته الإيمانية بالتنمية، وغذى شجرتها بماء العمل الصالح، فأثمرت وآتت أكلها ولم تظلم منه شيئا، أما الثانى - وهو ضعيف الإيمان - الذى فتر وقصّر، ولم يربط العقيدة بالعمل الصالح، فهو - والحال هذه - محروم من تلك المنزلة العالية التى كانت من نصيب المؤمن القوى، ومع أنه لم ينل ما ناله قوى العقيدة، من حسن المثوبة وجزيل الأجر من الله، فإن هذا المؤمن الضعيف الإيمان، فيه بعض الخير كما جاء فى الحديث الشريف «**وفى كل خير**» والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يلفت عقولنا إلى أن نقوى إيماننا، ونعمق عقيدتنا، ونكون إيجابيين مع ديننا، ونمارس الأعمال الصالحة بصدق وإخلاص، ونبتعد عن الطالح من الأعمال حتى لا نضعف العقيدة فينا، وهو - ﷺ - يريد بهذا التوجيه استهداف الخير لنا.

**أما الأمر الثانى** الذى يوجهنا إليه الرسول: فهو الحرص الكامل على تحصيل كل ما يفيد المؤمن، مما هو متعلق بالدنيا أو الآخرة، فعلى المؤمن أن يفيد نفسه وغيره، وذلك بتحصيل العلم النافع، والنهضة فى كل الميادين الخيرة، وأن يمشى فى مناكب الأرض ابتغاء الرزق الحلال، وطلبا للمال من الوجوه المشروعة،

وأن يعمل بجد ونشاط ويبذل ما فى وسعه لاكتساب الأخلاق الطيبة والتحلى بها، وفعل كل ما يرضى الله - تبارك وتعالى - .

**والأمر الثالث** مما يوجهنا إليه الرسول - ﷺ - فهو الاستعانة الكاملة بالله، والاعتماد على الرب العظيم فى كل أمر دينى أو دنيوى، والإنسان دائما مهما كان لديه من حصافة عقلية، وآراء سديدة وسعة أفق، فإنه لن يتيسر له الوصول إلى مأربه، إلا بتوفيق من الله وعون منه، وصدق الشاعر حيث قال: -

إذا لم يكن عون من الله للفتى ** فأول ما يجنى عليه اجتهاده

أجل: فالتوفيق موكول إلى الله، وتحقيق الآمال مرتبط بتقديره جلّ شأنه، وقدرة الإنسان محدودة، أما قدرة الله فلا حدود لها، ولهذا كان من الضرورى أن يستعين الإنسان بربه، ويعتمد كل الاعتماد عليه مع الآخذ بالأسباب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ونحن فى صلاتنا نقول لربنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) فهو سبحانه المعبود بحق، ولا معبود بحق سواه، وهو جلّ شأنه المستعان به، وبعبادتنا لربنا والاستعانة بخالقنا، يكون النجاح فى حياتنا الدنيوية والأخروية، ويكون التيسير والتوفيق وتحطيم العقبات التى تعترض الطريق،

تلك هى الأمور الثلاثة التى حثنا عليها رسول الله، وهو إذ يحثنا عليها فإنه يبغى لنا الخير، ويريد لنا السعادة الدائمة فى الحياتين، ثم هو بعد ذلك ينهانا عن أمرين:

**أما أحدهما**: فهو العجز الذى كان الرسول يستعيذ بالله منه، وإذاً يجب على المؤمن ألا يتواكل، وألا ييأس لأنه لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس، وعليه ألا يكون خاملا ضعيفا، بل الواجب عليه أن يطرح رداء الكسل، ويرتدى دائما لباس العمل، لأن الدين الإسلامى دين عمل وليس دين كسل، والله سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين بالعمل، لأن به الوصول إلى تحقيق الأمنيات، ولأنه طريق النجاح، ولأنه به تتحقق النهضة، وتسعد الأمة، ولقد كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يعمل ولا يكسل، فقد عمل مع أبى طالب فى التجارة، وتاجر فى

مال السيدة خديجة زوجه، وكان يستعيذ بالله من العجز والكسل، حيث كان يقول فى دعائه: «**اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل**» (أبو داود)

ثم إن العمل شرف، وهو يرفع من شأن صاحبه، ولقد كان ﷺ يقدر العمل ويكرّم من يعمل، وهذا هو معاذ بن جبل، ذلك الرجل الذى كانت يده مصابة بالجروح من أثر العمل، قال له الرسول: «**هذه يد يحبها الله ورسوله**»

**وأما الثانى** من الأمرين مما نهى عنه رسول الله ـ ﷺ ـ، فهو ألا يقول الإنسان عند شىء لم يحققه، أو عند شىء يكره حدوثه: لو أنى فعلت كذا ما فاتنى كذا أو يقول: لو أنى فعلت كذا ما حدث كذا، فكلمة **لو** هذه تبرهن على اهتزاز العقيدة وضعفها، وتدل على عدم الرضا بما قدر الله، وعلى أن نفسه غير مطمئنة إلى النتيجة التى أرادها ربه، ولو كان قوى الإيمان لرضى بما قدر الله له، وهو لن يستطيع تغيير ما سجل فى علم الله، ولا يمكن أن يعطل شيئا أراده الخالق القادر العظيم، وما دام الأمر كذلك، فليسلم بما قدره له ربه، ولا يقل لو كان كذا كان كذا، لأن كلمة **لو** تفتح للشيطان الباب الذى يلج منه، وعندئذ يقع الإنسان فى شراكه، وبهذا يستولى على قلبه، ويسيطر على عقله، ويكون كالدمية فى يده، يلعب بها ويعبث، ويوجهها هنا وهناك، ونتيجة لهذا يسبح الإنسان فى بحار الأوهام، وتلعب به أمواجها، بقوة وشدة، وتقذفه فى كل اتجاه دون رحمة، ويكون فريسة سهلة فى يد الشيطان، وضحية تلك الكلمة التى تفوه بها فمه وهى **لو**، التى تشير إلى ضعف الإيمان، وتعارضها مع تلك العقيدة الصافية صفاء الماء.

أيها الإخوة: على المؤمن أن يكون على يقين وثقة، من أن القدر لا يعتريه تغيير لو أنه فعل غير ما حدث منه، فمريضه الذى مات مثلاً، لم يكن ليشفى ويظل على قيد الحياة إذا كان قد عالجه طبيب معين، إذ إن العمر ما دام قد انتهى حسب تقدير الله فلا يستطيع طبيب ما أن يطيل عمره، وهذا هو القرآن الكريم يقول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨) والشاعر قد أصاب كبد الحقيقة حين قال:

قل للطبيب وإن تعاظم طِبُّه **: يَدُ الموت أقوى منك وأبرع

وإذاً فمن الإيمان أن يترك الإنسان التفكير فيما جرى به القدر، ومن الحكمة أن يدع الأمانى الكاذبة، وأن يعيش لغده لا للأمس، وألا يفكر فيما حدث أو يحدث، إذ إن التفكير لن يجدى، وأنه لن يجنى من ورائه إلا الأسف الضائع، وشغل الذهن فيما لا يفيد، وعلى المؤمن أن يستقبل ما يحدث بمشيئة الله بروح إيمانية شجاعة، وليعلم أن مشيئة الله لا يمكن أن تتخلف «**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**» (مسلم وابن ماجة وأحمد)

إن هذه الوصايا المحمدية فيها كل الخير لنا، وتلك النصائح النبوية تستهدف سعادتنا، فلننفذ وصايا رسول الإسلام، ولنعمل بنصائحه الخيّرة، وصدق - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**» (مسلم وابن ماجة وأحمد).



# (١٨)
# نظرة إلى الدنيا والآخرة

## ١٨ - نظرة إلى الدنيا والآخرة

الحمد لله يعلم كل شيء، ويحيط علمه بكل شيء، وصدق سبحانه حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران: ٥)، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يظلم مثقال ذرة لأنه منزه عن الظلم، وهو الذى اتصف بالعدل وأمرنا به، ولا يظلم ربك أحداً، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، أدى الرسالة على أكمل وجه، وقاد الإنسانية إلى أقوم طريق، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك، الذين كانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباب: ها نحن أولاء فى دنيانا، نرى نظاما دقيقا للكشف عن الجرائم، وتعقب المجرمين وملاحقتهم وعقابهم، وها نحن أولاء نجد إدارة المباحث تقوم بعمل فنى ناجح، للقبض على المجرمين، وتسليمهم إلى يد العدالة كى تتولى عقابهم الرادع، ليكونوا عبرة لغيرهم، وللقضاء على الجرائم، وهكذا يحاكم المجرم فى الدنيا على جريمته، ويعاقب العقاب المناسب لما اقترف من إثم، ويلقى جزاءه العادل، إما إعداما وإما سجناً مؤبداً، وإما سجنا مؤقتا وإما غرما، وقد يكون العقاب سجنا وأشغالا شاقة، وقد يكون سجنا وغرما، فالعقاب أنواع وهو يختلف باختلاف نوع الجريمة، والدين قرر معاقبة المجرمين، وبين أنهم خطر على الإنسانية، ولهذا يجب استئصال شأفة الشاذين من النوع الإنسانى، وتطهير المجتمع من فسادهم وشرهم، وبهذا القصاص العادل يسود الأمن فى المجتمع، وتستقر الأحوال، ويعيش الناس آمنين مطمئنين.

هذا هو الشأن فى دنيانا بالنسبة للمجرمين، قبض عليهم ثم محاكمتهم ثم عقابهم، لكى يكون المجتمع طاهراً نظيفا، بعيداً عما يروع الناس، ويعكر عليهم صفو حياتهم، ولنتصور حال المجرم وهو ماثل أمام المحكمة الدنيوية، إنه حينئذ يكون فى حال يرثى لها، إذ إنه مصحوب بحراس مسلحين، وهو مقيد بقيد حديدى فى يديه، ثم إنه حين يقف أمام المحكمة، يكون مكتئب النفس، حزين الفؤاد، شاحب الوجه، مصفر اللون، زائغ العينين، نحيل الجسم، وحاله وهو فى

قفص الاتهام، لا تقل سوءا عن ذلك، فهو فى حيرة ما بعدها حيرة، وفى أسى لا يماثله أسى آخر، وهو فى قلق واضطراب ووجوم، وإنه حينذاك يتمنى من أعماق قلبه أن يفرج عنه ولو ذهب فى سبيل ذلك ما لديه من مال، ويود من قرارة نفسه أن تبرِّئه المحكمة مما نسب إليه ويعيش فقيرا، تلك هى حاله، وهى حال سيئة، وذاك هو رد الفعل لديه، وما أسوأ ما هو فيه، إنه يعيش فى ظل الأتراح، ويلعن الظروف التى جعلته فى هذا المأزق وتلك المعاناة.. إن هذا المجرم يفكر تفكيرا عميقا فى طريقة تخلصه مما هو فيه من شقاء، ولذلك يحاول الوصول إلى تنسم الحرية، والخروج من تلك الوهدة التى وقع فيها، ولا سبيل أمامه لكى يحقق ذلك الهدف، إلا أن يوكل عنه أشهر المحامين وأبرزهم، ليدفع عنه ما هو فيه من غم، وليدافع عنه أمام ساحة القضاء، ويعمل بشتى الوسائل القانونية، ويلتمس أى ثغرة فى قضيته، وصولا إلى إطلاق سراحه، وتبرئته مما نسب إليه، وهو فى سبيل تحقيق تلك الغاية، يغدق الأموال بلا حساب، حتى لا يقف هذا الموقف الذى يتعب أعصابه، وحتى لا يجد نفسه مكبلا بالقيود، محاطا بالحراس، موجها إليه الاتهام، تلك هى حال المتهم قبل النطق بالحكم عليه، وماذا تكون حاله وقت صدور الحكم؟ وكيف يكون شعوره حين يدان؟ وكيف تكون سرعة دقات قلبه حين يساق إلى المقصلة لتنفيذ حكم الإعدام فيه؟ أعتقد أنه عندئذ يفقد إحساسه وشعوره، ويكون آنذاك ميتا فى صورة الأحياء..

أيها الإخوة: هذه هى الصورة التى نشاهدها فى دنيانا، وهذا هو ما يحدث ونسمع عنه ونقرأ، وتلك هى الحال فى محاكم الدنيا التى يحكم فيها الإنسان على الإنسان، وإذا كانت تلك هى الصورة فى الدنيا، فكيف تكون حين يمثل المذنب أمام محكمة أخرى ليست من نوع محاكم الإنسان؟ وماذا تكون حال العاصى حين يقف أمام محكمة من طراز آخر؟ تلك المحكمة التى يقضى فيها مالك الملك، وعالم السر والنجوى، وخالق الأرض والسماء، الذى هو معنا أينما كُنَّا، والذى تسجل ملائكته كل شىء يحدث منا.. لنتصور تلك المحكمة الربانية الأخروية، ولنتصور أنفسنا حين نقرأ صحائف أعمالنا، ونجد فيها كل ما صدر عنا من خير أو شر، ولا نجد هناك ما لا نستخدمه لمصلحتنا، ولا محاميا يتولى الدفاع عنا، إذ إنه

ليس فى الآخرة مال ولا محامون، وكل إنسان فى هذا اليوم الرهيب مشغول بنفسه، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٤ - ٣٧)

إنه يوم عصيب رهيب، شديد مخيف، فماذا أعد مرتكبو المعاصى لهذا اليوم؟ وبأى شىء استعد مقترفو المحرمات ليوم القيامة؟ أينكر المتهمون فى الآخرة جرائمهم التى فعلوها، أم هم سيغالطون فى هذا اليوم الشديد الأهوال؟ إنهم إن أنكروا ما نسب إليهم من تهم، فإن الله تعالى يصدر أمره الكريم إلى أعضائهم التى هى من أجسامهم لتشهد عليهم، ويأمر الأرض التى كانت مسرحا لانحرافاتهم لتؤدى هى الأخرى الشهادة ضدهم، وعندئذ تنطق الألسنة شاهدة على ما فعلوا، وتشهد الأيدى ناطقة بما عملوا، وتشهد الأرجل مؤيدة لما ارتكبوا، وتشهد الأرض مؤكدة ما صنعوا، وهكذا يجد الإنسانُ نفسَه مُحاصَرَةً فى هذا الموقف، ويرى شهود أعماله وقد نفذوا أمر ربهم إليهم، وصدق الحق - تبارك وتعالى - حيث قال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٢٤، ٢٥) وحيث قال سبحانه فى شأن الأرض وهى تؤدى شهادتها بأمر ربها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة: ٤، ٥) وماذا يقول الإنسان لأعضائه بعد أداء الشهادة الصادقة الحقيقية ضده؟ إنه حينذاك يقول لها: ألم تعلمى أنك بهذه الشهادة علىّ تعذبين؟ فتقول له الأعضاء: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت: ٢١) وإذا ألقى المجرم يوم القيامة المسئولية على الشيطان، وتعلل بأنه هو الذى حمله على ارتكاب المعاصى، فإن الشيطان يتبرأ منه ويقول له: أنا لم أقدك إلى المعاصى قهراً عنك، وكل ما حدث منى أنى دعوتك إلى الخطايا بطريق الوسوسة، فما كان منك إلا أن استجبت بسرعة طائعا مختارا، ودخلت ميدان المعصية وأنت مبتهج القلب، مسرور النفس، ولم تفكر بعقلك لحظة فى عاقبة أمرك، ونتيجة تصرفك، ولم تقف منى موقف الخصم العنيد، وإنما كنت مسرع الْخُطَى إلى ساحة الشهوات، ولهذا لا تلمنى ولا تلق التبعة علىّ، ووجه اللوم إلى نفسك الأمارة بالسوء، وألق المسئولية عليك وتحمل نتيجة عملك، وهكذا تكون

نتيجة المحاورة بين الإنسان المذنب وبين الشيطان، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢) إن القرآن الكريم بين لنا كل شىء، وسجل ما يحدث بين المذنب وبين الشيطان، وجاء بالحقائق، دون خفاء، وما أكثر ما قدم من نصائح للناس، وما جاء به من توجيهات ووصايا، ولكن كان هناك تهاون بها من جانب بعض الناس، ولذا كان الانحراف المزرى والإجرام الشنيع، والسلوك الشائن، وكانت العاقبة السيئة، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وعمل صالح، ومسيرة عطرة فى الحياة الدنيوية.

أيها الإخوة: هذا هو الوضع فى الآخرة، وتلك هى حال يوم القيامة، فماذا يعمل المذنب فى هذا اليوم؟ وماذا يكون شعوره حين تسد فى وجهه سبل الخلاص؟ وماذا يكون موقفه حين يصدر حكم الله بإدانته؟ وحكم الآخرة قاس شديد ولكنه حكم عادل بعيد عن الظلم، لأنه حكم الله وليس حكم الإنسان، إنه حكم مؤدٍ إلى جهنم، وما أدراكم ما هى جهنم؟! لقد أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، وأوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، وأوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة، ونار الآخرة تزيد على نار الدنيا تسعة وستين جزءا، إنها النار التى تحدث عنها القرآن الكريم، وبين شدتها وقسوتها، وغلظة حراسها وعدم عصيانهم ربهم، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

أيها الإنسان: ليس فى محكمة الآخرة استئناف، وليس فى يوم القيامة دفاع، وليس فى أحكام الله ظلم لأحد، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧) وحيث قال سبحانه: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩) فلتؤد أيها الإنسان ما أمرك به ربك من واجبات بأمانة وإخلاص وصدق، ولتفر

من المعاصي فرارك من الأسد، ولتعمل للآخرة كأنك تموت غدا، وللدنيا كأنك تعيش أبدا، ولتكن في دنياك خائفا من ربك، متذكرا آخرتك، واستمع معي إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ١، ٢) واستمع معي أيضا إلى قول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى ليقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**» (رواه مسلم).



(١٩)

# اهتمام الإسلام بالنظافة

## ١٩ ـ اهتمام الإسلام بالنظافة

الحمد لله أمرنا بنظافة الباطن والظاهر، وحثنا على التخلص من الأدناس والأوزار، وأمرنا بما فيه خيرنا دنيا وأخرى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل النظافة من الإيمان، وبين لنا أنها مظهر عظيم من مظاهر الإسلام، وسمة بارزة من سمات عباده الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، كان يهتم بنظافة باطنه وظاهره، وكان لا يخرج إلى أصحابه إلا فى أحسن مظهر وأجمل حال، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك، الذين عنوا بالنظافة كما أمر الله، واقتدوا برسول الإسلام محمد ـ ﷺ ـ، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الموحدون: النظافة ذات أهمية كبرى فى الدين، ولها مكانتها السامية ومنزلتها العالية فى الإسلام، وبها تسمو منزلة الإنسان ويكون ذا تقدير واحترام بين الناس، يسرون برؤيته، وتمتلىء قلوبهم فرحا بلقائه، والنظافة جزء من الدين، ومن أجل ذلك عنى بها الإسلام أشد العناية، واهتم بالحث عليها كل الاهتمام، ودعا أكثر من أى دين آخر إلى التحلى بها، وذلك لما يترتب عليها من نتائج سامية، وما ينتج عنها من آثار طيبة للأفراد والجماعات، ولسمو منزلة النظافة وعلو مكانتها، بنى الإسلام أمورا كثيرة على النظافة، بل إنه جعلها ركنا من أركانه، وعلامة بارزة من علاماته، ولهذا كان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يراقب بنفسه نظافة أصحابه ويرشدهم إلى أصولها، وكان يتخذ من نفسه قدوة طيبة وأسوة حسنة لهم، فكان لا يخرج إلى أصحابه إلا فى أنضر حال وأحسن هيئة، وإذا رأى من بعض أصحابه تقصيرا فى ميدان النظافة وبعدا عن روحها، فإنه يسرع إلى تنبيههم وإرشادهم، ويلفت أنظارهم إلى ذلك بطريقة جماعية، وذلك لتكون الفائدة أعم وأشمل، وليكون الاهتمام بها أكثر، والعناية أشد، وفى الوقت ذاته لا يجرح مشاعر من أهمل، ولا يخدش كرامة فرد من الصحابة قصر، وهذا السلوك نابع من أدب النبوة، والرسول ـ ﷺ ـ أدبه ربه، ورباه خالقه، ولذا كان فى القمة أدبا وسلوكا.

إن ديننا الحنيف يوجهنا إلى الاهتمام بالنظافة، لأن لها أثراً عظيماً فى قوة الأبدان وحمايتها من الأمراض، ولها تأثيرها الكبير فى تكريم النفس، ونضارة الجسم، وقد جعلها الدين أساسا للطاعة، ودعامة للعبادة، حيث فرض الوضوء للصلاة، وأوجب الاغتسال من الجنابة على الرجل والمرأة، وأوجب كذلك على المرأة الغسل بعد انتهاء العادة الشهرية، وبعد توقف دم النفاس الناشىء عن الولادة، وسن الإسلام الغسل يوم الجمعة وفى العيدين وكلما تغير البدن بسبب عرق أو غيره، ودعا إلى التعطر والتضمخ، وذلك ليكون المسلم فى أحسن صورة، ولكى لا ينبعث من جسمه إلا أطيب رائحة، كما أمر الدين بتطهير الملابس ونظافتها، وباستعمال السواك لإزالة الرائحة الكريهة من الفم، وبغسل اليدين قبل الأكل وبعد الأكل، كل هذا الاهتمام وتلك التوجيهات الإيمانية، من أجل الحفاظ على صحة المسلم، وتحصين كرامة المسلمين، وليكونوا جميعا فى نظر غيرهم من الأمم الأخرى أنضر الناس وجوها، وأنظفهم جسما، وأطيبهم رائحة.

أيها الإخوة: إن النظافة من الإيمان، وهى مصدر الوضاءة، ومبعث الصحة والطهارة، وهى المظهر الأول من مظاهر الحضارة، وعنوان بهاء الإنسان وجماله، ورب العزة - جلّ شأنه - جميل يحب الجمال، ونظيف يحب النظافة كما أخبرنا رسول الإسلام، وليس المراد بالنظافة نظافة الظاهر فحسب، وإنما المقصود النظافة العامة الشاملة، فهى نظافة الظاهر والباطن، نظافة الظاهر وهو الجسم الخارجى، ونظافة باطنه وهو القلب، وذلك بأن يكون طاهراً بعيدا عن الدنس، فلا حقد ولا حسد ولا عداوة ولا كراهية، ونظافة النفس، فلا تفكير فى إيذاء الناس، ولا إضمار لسوء وشر، ولا بغضاء لأحد، ونظافة العقل، فلا تدبير لأمور فيها إضرار بالناس، ولا مكر ولا خداع، وإنما توظيف للعقل والقلب والنفس فى المجالات التى فيها صلة بالله وحب للناس، وعمل صالح يرضى عنه الله، ثم من ألوان النظافة، العناية بنظافة المسكن والمأكل والمشرب، ونظافة الملبس والطرقات وسائر الأدوات التى يستعملها الإنسان، لتتحقق بذلك وقايته من الأمراض، وليتحقق كذلك المظهر الجمالى الذى يكسب أهله الاحترام والتقدير، وفى القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة تتحدث عن النظافة، وتأمر بها وتبين فضلها،

وحسب الذين يتحلون بالنظافة أن ينالوا محبة الله تبارك وتعالى، وصدق الحق - تبارك وتعالى - حيث قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) وحيث قال: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨) وحيث قال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦) وحيث قال للرسول - ﷺ -: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤) وهناك آيات أخرى فى هذا الشأن، وهذا رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يقول: **«النظافة من الإيمان، والنظافة فى الجنة»** (الطبرانى)؛ ويقول: **«اتقوا الملاعن الثلاث: التبرز فى موارد المياه، وعلى قارعة الطريق، وتحت ظلال الأشجار»** (أبو داود)؛ ويقول: **«من ألقى بسخيمته - أى بقذراته ونجاسته - فى طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»** (البيهقى)؛ ويقول: **«لا يبولن أحدكم فى الماء»** (مسلم)

إنه يتبين لنا من خلال تلك النصوص القرآنية والنبوية، أن الدين يهتم كل الأهتمام بالنظافة بجميع صورهاوفى مواقعها المختلفة، وندرك مدى عنايته بنظافة البيئة، وحرصه الشديد على أن تكون النظافة متواجدة فى كل موقع، فالمسكن والطريق والماء والهواء وجسم الإنسان وأعضاؤه الداخلية وأدواته وكل ما يتصل به بالبيئة، كل أولئك تجب نظافته، ومتى كان الأمر كذلك، كان الخير وكانت الصحة التى تخفق أعلامها فى كل مكان،

وهكذا نجد تعاليم الإسلام فى أمور النظافة أقوى التعاليم، وإرشاده إلى الطهارة أبلغ الإرشاد، ولقد كان أصحاب رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يهتمون كل الاهتمام بالنظافة فى جميع صورها، ويبالغون فى نظافة منازلهم وطرقاتهم وملابسهم وأبدانهم، حتى صارت النظافة شعارا لهم، والطهارة لازمة من لوازمهم. هذا هو ديننا العظيم، دين الدنيا والآخرة، دين النظافة والوقاية، دين الخير والحضارة، وحرىّ بنا - نحن المسلمين - أن نهتم بتعليمات ديننا وتوجيهاته الرشيدة، ونعنى بالنظافة كل العناية، فلا نلقى بالأوساخ فى الطرق، ولا نضع القاذورات أمام المنازل، والتقصير فى هذا الميدان وهو المحافظة على البيئة، يؤدى

بنا إلى أوخم العواقب، وتكون له مضاعفات خطيرة، وآثار سيئة كل السوء، فلنرتفع بأنفسنا إلى مستوى المسئولية، وليكن لدينا الإحساس الكامل بمصلحتنا، ولنعش فى إطار ما جاء به الإسلام من توجيه نافع، وإرشادمفيد.

أيها الإخوة: عَوِّدُوا نساءكم وأولادكم على الاهتمام بالنظافة، واحرصوا دائماً على بثّ هذه الروح فيهم، حتى تجنبوهم الإصابة بالأمراض الفتاكة التى تنشأ عن عدم النظافة، والوقاية أيها الإخوة خير من العلاج، ومتى تعود الأطفال على النظافة والاهتمام بها فى صغرهم، فإنهم يشبون وقد أصبحت لازمة من لوازمهم، وسجية فاضلة من سجاياهم، ويعيشون بعيدين عن الأمراض وأخطارها، ويصونون أجسامهم من العلل وسوء نتائجها، ومن شب على شىء شاب عليه. فاحرصوا على نشر النظافة فى بيئتكم، واعملوا بجد واهتمام على تثبيت دعائم دينكم، وبهذا تسعدون فى حياتكم، ويسمو الوطن ويرتفع شأنكم، وتعيشون كما يريد لكم الإسلام أعزاء أقوياء، وسادة كرماء أصحاء، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: **«النظافة من الإيمان، والنظافة فى الجنة»** (الطبرانى).



## (٢٠)
## الموت أكبر واعظ

## ٢٠ـ الموت أكبر واعظ

الحمد لله يبقى ويفنى من سواه، ويدوم ويموت جميع من عداه، سبحانك ربى سبحانك، الكل فى قبضتك، والجميع تحت تصرفك، وأمرك نافذ فى عبادك، ولا راد لقضائك، ولا معقب لحكمك، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القوى ونحن الضعفاء كل الضعف، الغنى ونحن الفقراء إليه، وهو الحى الدائم الباقى الذى لا يموت أبدا، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، حكم عليه ربه بالموت كما حكم على غيره، وأنبأه عن طريق وحيه أنه سيموت وسيموت غيره، وأنزل عليه قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك، الذين أحبوا لقاء الله فأحبهم، وعاشوا فى ظل عبادة الله فأكرمهم، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: فى القرآن الكريم آيات كثيرة، تبين لنا بوضوح تام، أن كل مخلوق سيموت، وتقرر فى جلاء كامل، أن كل ما سوى الله إلى فناء، وأن كل من فى السموات وما على الأرض وما فى بطنها إلى زوال، وأنه لا بقاء إلا لله تعالى، ولا يختص بالدوام إلا الخالق، وأنه سبحانه سيبدل الأرض والسموات، وسيحيى بقدرته الموتى ويجمعهم للحساب، وسيجازى كل إنسان على عمله، فإن كان عمله فى دنياه خيرا كان الجزاء خيرا، إذ الجزاء من جنس العمل، وإن كان العمل شرا كان الجزاء كذلك شرا، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) إن الله تبارك وتعالى هو الباقى بعد فناء خلقه، وهو الأول والآخر ولا منازع له فى مملكته، وهو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو المنزه عن مشابهة الخلق، وإذا أراد سبحانه شيئا فإنما يقول له كن فيكون، وهكذا كتب الله الفناء على جميع خلقه، وحكم سبحانه بالموت على كل عباده، واستأثر وحده بالدوام والبقاء، وهو عزَّ وجلَّ حين أصدر هذا الحكم العادل، جعله عاما وشاملا، ولم يستثن منه أحدا من خلقه، ولم يجامل فيه عبدا من عباده، ولم يطبقه على فئة دون فئة، ولكنه مطبق على الجميع، من يوم أن خلق الله الدنيا إلى أن يرث الأرض ومن وما عليها، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ورب العزة حين قدر

هذا القانون الحكيم، جعله غير قابل للتعديل والتغيير، وحماه من التحريف والتبديل، وقوانين رب العالمين كلها مبنية على الحكمة، وجميع قراراته مرتكزة على العدل، وهذا هو أشرف الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه، أحب الناس إلى الله، وأعظمهم منزلة عند خالقه، مات كما مات غيره من قبل، وكما سيموت من يوجد بعده إلى يوم القيامة، وسرى عليه هذا القانون الربانى كما سرى ويسرى على غيره، ولم يكن حب الله له عاصما من الموت، ولم يكن تفضيل الله على خلقه حائلا بينه وبين المنية، بل إن الله تعالى نعاه إلى نفسه وهو لا يزال على قيد الحياة، حيث خاطبه بقوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) ومن هنا نعلم أن الموت لا محيص عنه، وندرك أن الفناء لابد لاحق بنا، وأننا سنغادر هذه الدنيا حين تنتهى آجالنا، ونرحل عنها إلى قبور فى جوف الأرض، حيث لا هواء فيها ولا ماء، ولا جليس فيها ولا ضياء، ولا حركة فيها ولا غذاء، ولا أنيس فيها ولا سمير، بل فيها حشرات وديدان، وظلمة ووحشة، وضيق وغربة، وسكون ورهبة، اللهم إلا إذا كان عمل الإنسان عملا صالحا طيبا، ومسيرة حياته نظيفة، فإن القبر الضيق يكون حينئذ واسعا، ويمتلئ بهجة ونورا وسرورا، ويكون صورة من صور الجنة ونعيمها، أما إذا كان العمل سيئا والعياذ بالله، فإن القبر يكون صورة من صور النار وعذابها، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار**» (الترمذى).

أيها الأحياء: لكل أجل كتاب، ولكل مخلوق عمر مقدر، ولكل إنسان مدة معينة من الحياة لا يتعداها، فإذا حان الأجل، وانتهى العمر، وانقضت أيام الحياة، قبضت الروح وذهبت إلى ربها بلا تأخر، وانتزعت من الجسد دون تخلف ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس: ٤٩) وبعد قبض الروح وانتزاعها، يصبح الإنسان الذى كان يسعى ويتحرك، جثة هامدة لا حركة فيها ولا إحساس، ويسكت اللسان الفصيح الذى طالما تكلم، ويتوقف القلب الذى كان يدق ليل نهار، وتتعطل وظيفة العقل الذى كان يفكر ويدبر، وهكذا تتوقف جميع أجهزة الجسم عن وظائفها، وتمسك جميع الأعضاء عن أعمالها، لأن مصدر الحركة قد

زال، وسرُّ الحياة قد غادر الجسم.. إن الموت حتم ولا مهرب منه، ولا يستطيع مخلوق مهما تحصن أن يفر من هذا المصير، إنه يصل إلينا ولو كنا فوق الهواء، ويدركنا ولو كنا تحت الماء، ويلحقنا ولو كنا فى الحصون، وينزل بنا ولو كنا على رءوس الجبال، ويتخطفنا ولو كنا فى بطون الأودية، وينتزع أرواحنا ولو كنا فى بروج مشيدة، ويطلبنا أينما كنا وحيثما وجدنا، وصدق رب العزة القائل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨) وصدق سبحانه حيث قال: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ (الجمعة: ٨) وحيث قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨) وهناك آيات أُخَر تتحدث عن الموت، وتؤكد أن ما سوى الله إلى تلك النهاية المحتومة، وذلك المصير الذى لا مناص منه، لأن القرار من الله الذى خلق كل شىء، وما دام من الله فلا بد من التنفيذ دون عوائق، وقدرة الله لا حدود لها ولا عقبات تقف فى طريقها أو تعطل مسيرتها، وليست هناك وساطة توقف قدرات الله، ولا استثناء لأحد من خلق الله، وصدق رَبُّ العزة حيث قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٧) وحيث قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦: ٢٧) وحيث قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨).

وإليكم أيها الإخوة: ما يدل على أن الله قدر لكل نفس أجلها، وأن الروح تقبض فى مكان حدده الله، وفى زمان معين طبقا لمشيئة الله، قيل: إن ملك الموت - وكان يظهر حين يقبض الروح - أراد أن يقبض روح رجل كان يجلس مع سليمان - ﷺ - ومع آخرين، وأخذ ملك الموت يتبع نظراته إلى هذا الرجل، ويصوب بصره إليه، ففطن الرجل إلى أنه يريد قبض روحه، وعندئذ طلب من سليمان ﷺ بساط الريح الذى سخر من الله له ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (ص: ٣٦) فأعطى نبى الله البساط لهذا الرجل، والهدف من أخذه أن يركبه ويذهب بعيدا به عن ملك الموت الذى يدقق النظر إليه، وسار به بساط الريح إلى أن وصل أقصى بلاد الهند وعندما نزل من فوقه وجد ملك الموت أمامه فقبض روحه هناك وظهر ملك الموت بعد ذلك لدى سليمان - ﷺ -، وهنا قال له

نبى الله: لماذا كنت تدقق النظر فى الرجل الذى كان بمجلسى؟، فقال له: لأنى كنت متحيرا فى أمره، إذ إن الله أمرنى بقبض روحه فى بلاد الهند، وكان بينه وبين تلك البلاد مسافات كبيرة، ولكن الله - تعالى - ألهمه أن يأخذ منك البساط ليهرب بعيدا عنى، ولكنه حين وصل إلى تلك البلاد التى أمر الله بقبض روحه فيها وجدنى هناك فقبضت روحه، فهو فرّ من قدر الله إلى قدر الله، والقرآن الكريم قرر أن الإنسان لا يدرى أين تقبض روحه؟، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤) وهذا هو الشاعر يقول

ومن كانت منيته بأرض ** فليس يموت فى أرض سواها

أيها الإخوة: أين آدم ﷺ؟، وأين حواء؟ وأين رسل الله وأنبياؤه عليهم السلام؟ وأين الآباء والأجداد؟ لقد ماتوا جميعا وضمتهم القبور، وذاقوا كئوس المنايا وصاروا فى عالم الفناء فلنفكر جميعا فيمن سبقوا، ولنتعظ بنهاية من سلفوا، ولنفكر كذلك فى نهايتنا ومستقبلنا، ولنكن غير غافلين عن الموت، لأن نسيانه ضلال مبين، ولنضع دائما فى أذهاننا أننا محاسبون على أعمالنا، وليكن لنا فى الموت عظة وعبرة، وكفى بالموت واعظا، وكفى به موقظا، وكفى به زاجرا.

أيها الأحباب: تلك هى الدنيا التى نعيش فيها ليست بدار قرار، ولكنها دار تحول وانتقال، وأولها عناء وآخرها فناء، وما الدنيا إلا كمزرعة للآخرة، وكقنطرة عبور إليها، وما هى إلا كسوق انتصب ثم انفض وربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، ربح فيه المؤمنون الصادقون فى إيمانهم، وفاز فيه العاملون بما جاء فى القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين، وخسر فيه العاصون المتمردون على تعاليم خالقهم، وخاب فيه المقصرون فى أداء واجبهم،

فاعمل أيها المسلم للآخرة كما تعمل للدنيا، واعلم أن الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف، وأن الأعمار تشبه الأزهار فى تفتحها وذبولها، وأن الآجال لابد أن تنتهى، وأن الإنسان مهما امتدت به الحياة فهو إلى القبر مشيع وكما امتدت يد الموت إلى من سبقونا إلى مثواهم الأخير، فنحن كذلك سنكون

مثلهم، وإذا كانت تلك هى الحقيقة، فمن الواجب أن نتزود بزاد التقوى، وربنا قد أمرنا بالتزود بهذا الزاد ليوم القيامة، لأنه خير زاد وأعظم ثروة، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧) وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**لو تعلم الحيوانات ما تعلمون عن الموت لما أكلتم منها سمينا**» (البيهقى).



# (٢١)
# الشباب أغلى ثروة

## ٢١ - الشباب أغلى ثروة

الحمد لله خلقنا من ضعف، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة، يخلق ما يشاء، وهو العليم القدير، والفعال لما يريد، ولا يقع فى ملكه سبحانه إلا ما يريد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الشباب مقرونا بالقوة، ومرحلة الشيخوخة مقرونة بالحكمة، وبالقوة والحكمة تنهض المجتمعات وتتطور الأوطان، وتخطو خطوات واسعة إلى الأمام، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، كان قويا فى عقيدته، قويا فى بدنه، قويا فى تبليغ رسالة ربه، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين وضعوا نصب أعينهم قول الرسول الخاتم: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**» (مسلم وابن ماجة وأحمد)

ولذا كانوا يغذون عقيدتهم بالصلة بالله، وبأداء ما كلفهم به الله، وبدخول ميدان الجهاد من أوسع أبوابه، دفاعا عن الدين، وامتثالا لأمر الله رب العالمين، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المستمعون: الشباب فى كل زمان ومكان ثروة إنسانية ضخمة، لا توزن بمال وإن عظم، ولا تضارعها فى نفاستها ثروة أخرى مهما كانت نفيسة، ولا تنافسها فى وزنها وإن كانت ثقيلة، وهو الطاقة الحيوية المؤثرة، والقلب النابض للمجتمع، ومن هنا كان الشباب عدة الأوطان، وشريان الأمم، وموضع أملها ومناط رجائها، وكان ولا يزال وسيظل كذلك الملجأ عند الشدائد، والمنقذ فى الملمات، والحارس الأمين لأرضه التى تقله، والمدافع الوفى عن سمائه التى تظله، ومياهه التى هى جزء من الوطن الذى يعيش فيه ويتمتع بخيراته، والمضحى بالروح وبكل نفيس لديه وقت المحن ونزول الكوارث، وفترة الشباب أعظم فترة فى حياة الإنسان، إذ هو ربيع العمر وبستان الحياة، ولذا كان الأمل كل الأمل فى الشباب، والعبء كل العبء واقعا على الشباب، والمستقبل الوضاء الباسم للشباب وأعنى بالشباب كل من لديهم قوة ونشاط وحيوية، ويوجهون ما عندهم من طاقة لخدمة المجتمع، ويسخرونها فيما يعود على أمتهم بالخير والنهضة والرقى، ومن خلال

هذا المفهوم الواسع يدخل فى إطار الشباب من تجاوز السن التى حددها علماء النفس والتربية، فرجل جاوز الخمسين من عمره مثلا لكنه يتمتع بالحيوية والنشاط وينهض بالمجتمع، هو فى عداد الشباب، لأنه يحمل قلبا شابا وروحا شابة.

والشباب محل عناية الإسلام، ولقد كان الرسول ﷺ يحرص على توجيه الشباب، والعطف على الشبيبة وأوصى الآباء بهم خيرا، وذلك لأنهم العماد للصرح الإنسانى والمجتمع البشرى، ولأن على أكتافهم تقوم النهضة، وبهم يعلو شأن الأوطان، وقد سجل التاريخ نماذج عالية للشباب المؤمن، وسطر بمداد من الإعجاب والتقدير مواقف مشرفة للكثيرين منهم، وستظل هذه المواقف الرائعة مشاعل على الطريق وأمثلة تحتذى، ونورا يستضاء به، فهذا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -، أشرق قلبه بنور الإيمان منذ نعومة أظفاره، ونبذ عبادة الأصنام ولم يعفر وجهه بالتراب لها، ودخل فى دين الإسلام استجابة لعرض ابن عمه محمد صاحب الرسالة، واقتناعا بها وحبا لها، ويذكر التاريخ أن عليا وجد الرسول يصلى ويتعبد، فاستفسر منه عما يفعل، فأخبره صلوات الله وسلامه عليه أنه يصلى لله الذى خلقه، وأنبأه بأنه قد حمل مشعل التوحيد، وأرسل رسولا من قبل الله إلى الناس، ليخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وعرض الرسول عليه الدخول فى دين الإسلام وأخذ عَلِىٌّ يفكر فى الأمر، بروح واعية وقلب مستنير وعقل كبير، وكانت النتيجة اقتناعه بهذه الدعوة المحمدية، وسارع إلى الدخول فى هذا الدين العظيم، وأعلن أمام الرسول أنه يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد - ﷺ - نبيا ورسولا، وإنه لموقف عظيم من على - كرم الله وجهه -، وإن دل هذا الموقف على شىء فإنما يدل على أن عَلِيًا كان يحمل منذ صغره عقلا راجحا، وقلبا نيّرا، ورأيا سديدا، ولا ننسى فدائيته ليلة الهجرة، ونومه مكان الرسول، مع أن الخطر محدق به، والسيوف متأهبة للانقضاض، والشر متوقع فى ذلك المكان، ولكنّ عليّا البطل الشجاع الجسور، لم يأبه بهذا كله، ورقد فى فراش الرسول، وقدم نفسه رخيصة لتكون فداء لرسول الله، وحماية للدعوة الإسلامية التى يحمل محمد ﷺ لواءها وهذا أسامة بن زيد الشاب

الصغير، يعينه الرسول قائدا لجيش المسلمين فى حرب قضاعة، وتحت قيادته شيوخ أجلاء من الصحابة، ولم يلبث الرسول إلا قليلا حتى توفى قبل تحرك الجيش، وتولى أبو بكر بعد وفاة الرسول الخلافة، ولكنه لم يغير شيئا مما اتخذه الرسول، وما كان منه إلا أن أمضى قيادة أسامة وأبقاها، بل إنه كرمه عمليا حين خروج الجيش، وذلك بأن ودعه وهو راجل وأسامة راكب، وعندئذ قال له أسامة: يا خليفة رسول الله، لتركبن أو لأنزلن، فيقسم أبو بكر بأن يظل كما هو فى مكانه، وقال له: والله لا تنزل، ووالله لا أركب، وما علىّ إلا أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله،

وهذا هو أبو ذر الغفارى تصل إلى أذنيه دعوة الإسلام وهو شاب يسكن البادية، وعندئذ مست شغاف قلبه وأضاءت جوانب نفسه، فيترك البادية، ويذهب إلى رسول الله - ﷺ -، وأعلن أمامه إسلامه، ولم يكتف أبو ذر بهذا الإعلان، وإنما خرج مسرعا إلى المسجد، وقال بصوت مدو مجلجل:، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وتحدى أبو ذر بهذا الإعلان الكفار، ولم يأبه بما سيترتب على ذلك من مواجهة منهم له، وامتداد أيديهم بالاعتداء عليه والتحرش به وتقديم ألوان الأذى له، إن قوة الإيمان هى التى جعلته يواجه الكفار دون مبالاة بهم ولا خوف منهم، وبتلك العقيدة الإيمانية الخصبة القوية، كانت تلك الشجاعة، وكان ذلك الموقف الجسور، وهذا هو ابن عباس رضي الله عنه، كان محل تقدير من جانب رسول الله - ﷺ -، ومن جانب الخليفة عمر - رضي الله عنه -، وكان عمر يقدم ابن عباس فى مجلسه - وهو شاب - على شيوخ الصحابة، تكريما له وتقديرا وتعظيما، لأنه كان متفوقا فى تفسير القرآن الكريم، وعالما بأحكامه وأسراره، وهذا موقف يدل على ما لابن عباس من رؤية علمية، ودراية بما يحمله كتاب الله من أسرار، فقد سأل عمر رضي الله عنه جلساءه من الصحابة وفيهم ابن عباس عن معنى قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ١ - ٣) فقال شيوخ الصحابة: معنى ذلك، إذا أتم الله عليك يا محمد نعمة الفتح لمكة فاشكره، واستغفره وسبحه، فقال عمر: وماذا تقول يا ابن عباس؟. قال: ذلك أجل رسول الله ﷺ، يقول الله لنبيه: إذا تم

فـتح مكة ودخل النـاس فى دين الله أفـواجـا، فـقـد تمت رسـالتك، ودنا أجلك، فاستعد للآخرة بالاستغفار والتسبيح والحمد على هذه النعمة، فقال عمر: ما أرى إلا رأيك، وهنا عرف كبار الصحابة لماذا يقدم عمر ابن عباس عليهم فى مجلسة؟.

تلك بعض النمـاذج العـاليـة من شبـاب السلف الصـالـح فى النواحى الدينيـة والعلميـة والعسكرية، وهنـاك نماذج أخرى كثيـرة شهدهـا الـزمان وزخر بهـا التاريخ، ووضعها فى إطار التقدير والتكريم، ولا يزال الخير موجودا حتى اليوم وغدا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإذاً فالشبـاب أعظم ثروة تعتز بها الأوطان، وأنفس شىء، لديهـا فى كل مـراحل الحيـاة، ولـذا كان من واجب كل وطن نحـو الشبـاب، القيـام بما يستحقـونه من علم وتوجيه وتحصين، وتوفيـر الحيـاة الكريمة السعيدة، وبهذا تكون الاستـفـادة مـن الشبـاب أكثـر وأعظم، وليكون هنـاك وفـاء لهم، ولتقوم النهـضـة على أكتـافهم، ودرء الأخطار من جـانب الأعداء، الذين يريدون الاعـتـداء على الأوطان، ويضمرون لها الشر، والاستيلاء على ما فيها من خيرات.

والشباب بحاجة ماسة إلى التحصين المبكر من جانب الوطن، وبحاجة ملحة إلى «التطعيم» الإسـلامى، ويتمثل ذلك فى تأصيل العقيدة الإيمانية وترسيخها فى القلوب، وغرس الأخلاق العـاليـة منذ الصغـر فى النفـوس، وللدين الدور الأكبـر فى تهـذيب السلوك الإنسـانى، والأثر الأعظم فى خلق كـوادر ممـتـازة من الشـبـاب، والأخـلاق الفـاضلـة هى نتـاج الدين، ومظهـر عظيم مـن مظاهـره، وثمـرة حلوة من ثماره، وإليها يعود صلاح الأفراد والمجتمعات، وبها يسمو التفكير، ويرتفع الإنسان عن الدنايا والسفاسف، وبسببها تستقيم النفوس، وتتجه دائما نحو الكمال فى كل شىء

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ** فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ومـا من أمة يتحلى أبنـاؤها بالأخلاق الفـاضلة والشيم الكريمة إلا كانت لهـا هيبتهـا ومنزلتهـا بين الأمم، ومـا مـن شـعب يتجمل أفـراده بالاستـقـامـة والشـمـائل الإيمانيـة والحب والمودة والتعـاون، إلا كان ذلك من أهم عـوامل النهـضـة وأسـبـاب القـوة، وإذاً فـمن واجب الأوطان بـالدرجة الأولى نحـو أبنائهـا الشبـاب، العناية بهم دينيا وخلقيا، وبهذا تسود الفضائل، ويقوى جـانب السعادة وتنشـر ظلالهـا الوارفة، والشبـاب لا يسـتطيـعون أداء رسـالتهم كـاملة إلا إذا توفـر لديهم الجـو البـعيـد عن

التلوث، والمناخ الملائم المرتبط ارتباطا وثيقا بالدين والخلق الكريم، ومن خلال الممارسة الفعلية المبنية على دعائم الفضيلة، وليعلم الشباب أن مسئولياتهم ضخمة، وأن عليهم واجبا كبيرا نحو أوطانهم، ودينا عظيما لأممهم، والأوطان لها الفضل على أبنائها، ومن يعق وطنه فلا خير فيه، وفق الله شباب أمتنا، وألهم أبناء وطننا الصواب والسداد وصدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**» (الترمذى).



# (٢٢)
# العزة للأقوياء

## ٢٢ ـ العزة للأقوياء

الحمد لله أمر المؤمنين بالقوة لمواجهة الأعداء، ونهاهم عن الضعف حتى لا يكونوا فريسة لغيرهم ممن لا يدينون بدين الإسلام، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القوى الجبار، الذى يعزّ أحبابه المؤمنين، ويذل أعداءه أعداء الدين، وهو سبحانه القائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٢٦) وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، جاءنا بالقرآن الكريم من لدن الله، الذى فيه قول ربنا جلّ شأنه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨) صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك، الرحماء فيما بينهم، الأشداء على أعدائهم، والذين عرفوا الله بصدق فكانوا فى معية الله، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباء: نحن نعيش فى زمن لا يؤمن الناس فيه إلا بالقوة، ولا يحترم أهله إلا الأقوياء، وديننا الإسلامى يدعونا إلى الأخذ بأسباب القوة، ويأمرنا بأن نحقق لأنفسنا ولأوطاننا ما يحمل الغير على احترامنا، ويحثنا على تجسيد الوحدة الوطنية بين أفراد مجتمعنا والتآلف والانسجام بين جميع الطبقات، وبالتآلف والانسجام والوحدة الوطنية تتحقق القوة، وينهض المجتمع الإسلامى، وبالعمل الجاد المثمر الخلاق ترقى الأمة، وتعيش عزيزة الجانب موفورة الكرامة، ورب العزة جلّ شأنه قد جعل عزة أمتنا فى قوة إيمانها، وصلابة أبطالها، وشدة بأس رجالها، وكمال أخلاق أفرادها، ولهذا فمن الجدير بنا ـ نحن المسلمين ـ أن نعمل على استخدام الوسائل التى توصلنا إلى هذا الهدف النبيل، وهو العيش فى عزة، والحياة بكرامة، والقوة فى جميع الميادين وشتى المجالات، إذ إن الناس فى هذا العصر، بل وفيما سبق من عصور، لا يؤمنون بحق إلا إذا ظاهرته شجاعة الرجال، وحمته سواعد الأبطال.. ولقد فرض المسلمون الأولون سلطانهم على غيرهم حين كانوا أقوياء، وحملوا غيرهم على احترامهم عندما كانوا يدا واحدة ضد الأعداء، وما دام الناس لا يعرفون غير القوة، ولا يحترمون

إلا الأقوياء، ولا يرهبون إلا المتسلحين بسلاح الشجاعة، فيجب إذاً أن يكون المؤمن قويا فى كل شىء، فى عقيدته، فى إرادته، فى سلوكه، فى عقله، فى تفكيره، فى أخلاقه، فى فن الحرب وما يتصل بها، وأن يكون ذا نفس كبيرة تأبى الذلّ ولا تقبله، وترفض الهوان ولا ترضى به، وأن يجد فى عمله، ويكدح فى سبيل ما ينشده لنفسه ولأسرته ومجتمعه، من كفاية وقوة وعزة وتقدم ونهضة ورقى، والمسلم مطالب بالحرص على كل ما يفيده ويفيد أسرته والمجتمع الإسلامى فى تلك الحياة، والإسلام الذى نشرف بالانتساب إليه، دين عمل وتطور، وهو دين يمقت التواكل والسلبية، ولا يحب حياة العزلة والتأخر والضعف، وعقيدة المسلم تحتم عليه أن يستمد قدرة الله وهو يعمل، وألا يسمح لليأس أن يتسلل إلى نفسه، لأن اليأس إذا احتل نفسه أخل بتوازنه، وكدر عليه حياته، وجعله قلقا غير مستقر، مشتت الفكر مرهق الذهن، ومن المعلوم أنه لا حياة مع اليأس، فليكن الإنسان قويا غير ضعيف، شجاعا فى مسيرة حياته، والإسلام - وهو دين العزة والقوة - ينفر من العجز والكسل، ومن الاستكانة واليأس، ومن الذلة والضعف، إنه الدين العظيم، الذى ينشد الحياة الكريمة لأتباعه، ويوجههم إلى طريق العزة والقوة والكرامة، ويطلب منهم أن يتسلحوا بسلاح الإيمان، ويعيشوا فى ظل العزة، وفى إطار القوة، حتى يحسب لهم عدوهم ألف حساب إذا أراد مهاجمتهم، وحتى يعلم علم اليقين أنهم كالصخرة العاتية التى تحطمه إذا فكر فى الإغارة عليهم، وأنهم سيقفون سدا منيعا ضد من تسول له نفسه محاربتهم، إن دين الإسلام قد ربى المسلمين فى مدرسته، وهى مدرسة تعنى بطلابها كل العناية، وتربيهم تربية إيمانية، وتغرس فيهم العزة والقوة، والأخلاق الفاضلة والشيم العالية، وتربية هذه المدرسة ليست نظرية تلقينية، وإنما هى بالإضافة إلى ذلك تربيهم عمليا، حتى تكون العزة أحب شىء إليهم، يهتمون بها ويدافعون عنها، ويعيشون فى أحضانها، وهم حين يتلون كتاب الله وتقع أنظارهم على قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨) فإنهم يطبقون تلك الصفة الكريمة عليهم عمليا، ولكى يحافظوا على العزة التى من نصيبهم بعد الله تعالى وبعد رسوله الخاتم، فهم يضعون هذه العزة فى إطار القوة لأنه لا عزة إلا فى ظل القوة، أما الضعف فإنه حليف الذلة ولذلك أمر رب العزة - جلّ شأنه - المؤمنين بإعداد العدة من القوة الضاربة

بمختلف ألوانها ضد الأعداء، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠) وقد جاءت كلمة «قوة» فى الآية منكرة غير معرفة، لكى تكون شاملة كل ألوان القوة التى ترهب الأعداء، ولكى تكون هذه القوة حصنا حصينا للعزة التى قررها الله له جلّ شأنه، ولرسوله الخاتم، وللمؤمنين أحباب الله، فالعزة إذاً مرتبطة بالقوة، فلا عزة بدون قوة ضد الأعداء الذين يحادون الله ورسوله والمؤمنين، ولذا وجب على المسلمين أن يجمعوا بين الحسنيين، القوة والعزة، ويعيشوا فى ظل الاثنين معا، لتكون حياتهم غير مهددة، وليذودوا عن عقيدتهم وأموالهم وأعراضهم وبلادهم، وليلقنوا الدرس القاسى لكل من يريد الانقضاض عليهم، ونحن لو نظرنا إلى الوراء حين كانت أسبانيا تحت أيدى المسلمين، فإنها عندما كانوا قوة غير مبعثرة وجبهة واحدة متماسكة عاشوا هناك أقوياء أعزاء، وازدهرت الحضارة الإسلامية هناك بصورة تدعو إلى الإعجاب، وقد نهل غير المسلمين من معين تلك الحضارة، ولكن حين تقطعت أوصال أسبانيا نتيجة للتجزئة التى حدثت، ولاح شبح الضعف على المسلمين فى ظل المقاطعات والتقسيمات، وظهرت القطيعة وعدم التماسك بين الرؤساء، عندئذ انتهز العدو الفرصة السانحة أمامه، وانقض الغرب على تلك البلاد بقضه وقضيضه، وهاجم بشراسة تلك البلاد المجزأة المحتضرة، وكانت النتيجة انتصار أعداء الإسلام على المسلمين، وحولت المساجد هناك إلى كنائس، ونجحت المؤامرة ضد الإسلام فى غياب القوة، وتبع ذلك فقدان العزة، ولو أن المسلمين حافظوا على قوتهم وتماسكهم، لانهزم العدو بسهولة، ولما استطاع أن يدخل المنطقة المسورة بأسوار القوة الإيمانية، والعزة التى كانت متأصلة لدى المسلمين، إن ما حدث فى أسبانيا كان نكبة كبرى على أتباع الإسلام، ونكسة حادة فى تاريخهم، ووصمة عار فى جبين حياتهم، ولقد رثى الراثون ما حدث بمداد الحزن، وتألم المسلمون كُلّ الألم لضياع مجد إسلامى فى الأندلس وقرطبة وغرناطة وغير ذلك من أجزاء أخرى فى أسبانيا، ولغروب شمس الإسلام فى هذه البقعة من العالم، تلك التى كانت كعبة للعلم، ومقرا للحضارة الإسلامية، والتى شع منها النور الذى أزال ظلام

الجهل، وأزاح الغبار عن العقول، وقد تبارى العلماء فى عرض ما منّ الله عليهم به من علوم نافعة، وقدموا للظامئين من المعارف ما أذهب ظمأهم، وهكذا كانت أسبانيا قبلة المسلمين العلمية، إليها يفد من يريدون التعلم، وتشد الرحال إليها لكى ينهل الناس من المعين الفياض الذى كان هناك، ولكن بعد دخول الغرب إلى تلك البلاد جف هذا المعين، وأغلقت أماكن العلم، وكانت النكبة الكبرى.

أيها الإخوة: إن دين الإسلام ليس دينا دمويا، وليس من طبيعة المسلمين إشعال الحروب، ولكن هذا الدين دين دفاع، والمسلمون لا يهاجمون من يسالمهم، وإنما يدفعون الأخطار عن بلادهم، ويدافعون عن عقيدتهم، ودين الإسلام يرفض الخوف والجبن والذلة، ويدعو المسلمين إلى توفير الحياة العزيزة الحرة الكريمة، التى تعتمد على القوة الوقائية الدفاعية، والتاريخ حافل بالبطولات الإسلامية، والانتصار المؤزر على الأعداء، فى مواقع كثيرة فرضها العدو، وقد سجل التاريخ فى ذاكرته تلك المواقع، ووعاها الزمان بمداد الإعجاب بالمسلمين الذين كانوا قوة كبرى ترهب الأعداء، وعلينا نحن المسلمين أن نعى جيدا قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠) وقوله تعالى فى شأن المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤) وقوله جلّ شأنه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩) وبتنفيذ هذه النصوص القرآنية نعيش فى ظل العزة، ونحقق ما تصبوا إليه قلوبنا من حياة حرة كريمة، عزيزة بعيدة عن الذل والهوان، إن دين الإسلام دين قوة وحرية، وعزة وكرامة، وهو لا يحب لمن ينتمى إليه أن يكون ضعيفا، ولا أن يكون مستعبدا، ولا أن يكون ذليلا، ولا أن يكون مهانا، ونحن لو نظرنا إلى ماضينا المشرف لوجدنا أن المسلمين كانوا قادة العالم، وأساتذة الشعوب، وأهل حضارة عريقة، فلنكن كما كان أسلافنا، ولنعد إلى ماضينا المشرق، ولنعش تحت راية العزة والقوة والشجاعة دائما، وصدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**لازلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتى، فإن خرجتم عن سنتى سلط الله عليكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتى**» (الطبرانى).



# (٢٣)
# فى رحاب الوحدة

## ٢٣ - فى رحاب الوحدة

الحمد لله جعل أمة الإسلام أمة واحدة، وأمر المسلمين بالتضامن فيما بينهم، حتى يكونوا، قوة ترهب أعداءهم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، وصفوته من خلقه وحبيبه ومجتباه، والمرسل رحمة للعالمين، والأمين فى جميع مراحل حياته، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك الذين أنارت العقيدة الإيمانية قلوبهم، والذين نفذوا كل ما أمروا به، وابتعدوا عن كل ما نهوا عنه، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: ديننا الإسلامى دين وحدة لا دين تجزئه، وتجمع لا تمزق، وتآلف لا تفرق، ومحبة لا عداوة، وقوة لا ضعف والقرآن الكريم. - الذى هو كلام الله - أكد وحدة الأمة الإسلامية وقرر فى جلاء ووضوح أن أمة الإسلام أمة واحدة، وهذا هو قول رب العزة الذى يبين لنا هذه الحقيقية الناصعة: **﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾** (الأنبياء: ٩٢) وقد أمرنا ربنا بالاعتصام بحبله، ونهانا عن التفرق والتشرذم، حيث قال - جل شأنه: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** (آل عمران: ١٠٣) وقال سبحانه: **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** (الأنفال: ٤٦) والرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - أخبرنا بأن التحام المؤمنين وتعاونهم ووحدتهم يؤدى إلى القوة والنصر، حيث قال - صلوات الله وسلامه عليه -: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» (متفق عليه) ووجهنا - ﷺ - إلى السير فى ركب الجماعة، وحذرنا من الفرقة حيث قال: «**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة**» (الترمذى) وقال - صلوات الله وسلامه عليه -: «**من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**» (الحاكم). وقال:

**«لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» (البخارى)**

تلك هى النصوص القرآنية والنبوية تدلنا بصراحة وجلاء على أن الوحدة تقترن بالخير، وترتبط بالقوة، وأن التفرق مصدر الضعف، وسبب البلاء والشر، ودين الإسلام يحثنا دائما على الوحدة، وهو لا يعترف بتلك الحواجز التى صنعها الاستعمار، ولا يقر هذه السدود التى هى من وضع أعداء الإسلام، ولقد سلك الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق الوحدة، ورسم لنا صورتها المشرقة الوضاءة عمليا، وأرسى دعائمها قوية راسخة، فبعد أن سطع نور الإسلام فى المدينة المنورة، وارتفع فيها صوت الحق مجلجلا، هاجر ﷺ إلى المدينة، فوجد هناك صورة قاتمة، حيث رأى قبيلتى الأوس والخزرج فى خصام وفرقة وجفاء، وعداوة ونزاع وحروب، فقضى - ﷺ - على تلك الفرقة، ومحا الخصام الذى كان سائدا بين أفراد القبيلتين، والذى أدى إلى إشعال نار الحروب، وإزهاق الأرواح لفترة طويلة من الزمن، وبيّن - ﷺ - لهؤلاء الناس أن الإسلام يجمع ولا يفرق، ويؤلف بين القلوب، ويربط بين الناس برباط الحبّ والودّ، ويعمل على تثبيت الوحدة وتعميق جذورها، وتلا عليهم قول الله - تعالى - :﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: ١٣) وقال لهم: «**كلكم لآدم وآدم من تراب**» (حديث صحيح) وبين لهم أن الله واحد، وأن كتاب الله واحد وأن قبلة المسلمين واحدة، فيجب إذاً أن تكون كلمة المسلمين واحدة، بهذا استطاع رسول الإسلام أن يقضى على روح الفرقة ويزيل من النفوس الإحن والجفوة، ويوحد صفوف المسلمين، ويجمع كلمة المؤمنين، ويكوّن دولة قوية، موحدة العقيدة موحدة اللغة، موحدة الحكم، وقد فتح بها البلاد، ونشر فى ربوعها نور الإسلام، وأسس فيها حضارته الأصيلة، وفى أقل من ربع قرن ملك المسلمون من جبل طارق غربا، وبلاد الصين شرقا، والحبشة جنوبا، وبلاد اليونان شمالا، بفضل التوحد فى الرأى، واجتماع الكلمة، ووحدة القيادة، ولقد نعم المسلمون بهذا الاتحاد زمنا طويلا، فكانت الكلمة كلمتهم، والرأى رأيهم، والراية رايتهم، ولما شاعت الشهوات وانتشرت الخلافات، هتك الأجانب حرمتهم، وتمكن الأعداء من تبديد قوتهم، وسهل على أعداء دينهم أن يحولوهم من أمة

قوية مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة إلى دويلات هزيلة ضعيفة، ووضعوا لهم حدودا زائفة، وحواجز غير طبيعية، واستطاع الأعداء كذلك أن يستغلوا الثروات، ويسطوا على الموارد والخامات، ويعطلوا الطاقات، ويعملوا جاهدين على محاربة العلم والتقدم فى تلك الدويلات، وينشروا بين أهلها الجهل والتأخر، وذلك ليخلو الجو أمام الأعداء ويحلو، ولتطول مدة استغلالهم وامتصاص خيراتهم، ومن هنا ندرك تمام الإدراك أن التجزئة تجر وراءها النكبات، والفرقة تؤدى إلى الضعف والذلة والهوان والتخلف وأن الوحدة التى يهدف إليها الإسلام تحمل بين طياتها العزة والقوة والتقدم والرفعة، وتكفل الحياة السعيدة الوارفة الظلال، وتسير بالمسلمين فى طريق الحرية الحقيقية، وتحلق بهم فى أجواء الهناء والرفاهية، ونحن لو رجعنا إلى الماضى القريب، لوجدنا أن الوحدة كانت السبب الرئيسى فى انتصار العرب على جحافل الصليبيين فى معركة حطين، بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبى، وإلحاق الهزيمة الكبرى بهؤلاء الأعداء، الذين جاءوا من أوربا واستولوا على فلسطين، ولوثوا الأماكن المقدسة بجرائمهم وموبقاتهم. ونحن المصريين قد نكبنا ونكب العرب معنا بنكسة من أسوأ النكبات، وحلّ بنا العار إثر هزيمتنا فى الحرب الخاطفة الغادرة من قبل إسرائيل، وعشنا فترة عصيبة حزينة لما حدث، واحتلت إسرائيل أرضنا، وأقامت فيها المستعمرات الصهيونية، وعاثت فى أرضنا الحبيبة فساداً، وكان الصهيونيون يتعمدون استفزازنا، بما كانوا يتفوهون به من كلمات بذيئة وهم على ضفة قناة السويس، وتصدر منهم أمور شائنة بهدف السخرية بنا، ولكننا نحن المصريين لم نقف مكتوفى الأيدى، وإنما قمنا بحرب الاستنزاف، وقد أوقعنا بهم خسائر فادحة، وفى الوقت نفسه كان هناك تخطيط مصرى لخوض حرب ضد هذا العدو، وإخراجه بالقوة من أرضنا، وتلقينه الدرس القاسى لاسترداد كرامتنا، وجاء الوقت السرى المحدد للقيام بتحريرالأرض، وقام الجيش المصرى الباسل بعبورالقناة والاستيلاء على حصون العدو، وتحطيم الحاجز الترابى الضخم الذى أقامته إسرائيل، والذى كان اليهود يفخرون به ويقولون عنه: إنه المانع الحصين الضخم كل الضخامة، ولن تستطيع قوة فى العالم أن تؤثر فيه، قالت إسرائيل هذا الكلام وكانت تزهو وتفخر، وعاشت فى جو الغرور وقالت: نحن جيش لا يقهر، ولكنها فوجئت بخط بارليف

ينهار ويتآكل، وبجيش العبور يردد الله أكبر، ويقتل ويأسر، ويتعقب أولئك الأعداء هنا وهناك، ويستولى على معسكراتهم وثكناتهم ويحطم أسلحتهم ويشتت شملهم، وانتصرنا عليهم وعادت إلينا أرضنا، وطردنا هؤلاء المحتلين من بلادنا، وهذا النصر المؤزر بتوفيق الله وعونه، وبالسرية التى لم تتسرب إلى أعدائنا، وبالوحدة التى صنعت القوة، ونحن نجنى ثمار ما قام به الجيش المصرى من عمل جبار، وتلك هى سيناء التى كانت مستعمرة، أضحت محررة وصارت تحت إمرة أهلها، وأقيمت فيها المصانع والمزارع، وتحولت إلى أرض جديدة، ولبست ثوباً قشيبا من الجمال، بما أنشىء فيها من مساكن فخمة، ومستشفيات ومدارس ومعاهد وطرق وفنادق وغير ذلك مما جعلها مركزاً سياحياً جميلاً.. إن هذه النتيجة الرائعة بعد تحرير أرضنا، وعودة الحق إلى أصحابه، ما هى إلا ثمرة الوحدة، فالوحدة تصنع المعجزات، وهى قرينة القوة، وديننا دين القوة والوحدة والعزة والكرامة، فلنعش دائما تحت علم هذه المعانى السامية، ولنكن فى كل وقت على مستوى المسئولية، ولنمد دائما جسور الوحدة إلى كل العرب، لنعيد أمجادنا، ونعيش فى ظل الأمن والطمأنينة، والتعاون والتآزر والمسرات، وكما حررت سيناء بالقوة، ستحرر بمشيئة الله فلسطين والجولان، بنفس السلاح الإيمانى، والقوة المادية، ولن يضيع حق وراءه مطالب، وما ذلك على الله بعزيز، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة**» (الحاكم).



# (٢٤)
# الإنتاج القومي واجب

# ٢٤ـ الإنتاج القومى واجب

الحمد لله أمرنا بالعمل للدارين، للدنيا لنعيش أصحاء منتجين، والآخرة لنكون فيها ممن رضى عنهم رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، بين لنا فى القرآن الكريم المنهج الذى نسير عليه فى دنيانا، حيث قال ـ جل شأنه ـ فى سورة القصص: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، حثّ على العمل وقدر العاملين، ودين الإسلام الذى جاء به الرسول دين عمل لا دين كسل، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله.. وعلى آلك وأصحابك الذين عملوا للدنيا وللآخرة، وأسوتهم فى ذلك الرسول الأمين، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: ديننا الإسلامى العظيم ـ الذى نتشرف بالانتساب إليه ـ يحثنا على العمل الدائب المتقن المنظم، ويحضنا على الإنتاج القومى المثمر، ويدعونا إلى بذل أقصى ما يمكن بذله لوفرة الثروة الوطنية ورفعة شأن البلاد فى كل مجال من مجالات الحياة، ويأمرنا بالسعى الجاد والمشى فى مناكب الأرض، والانتفاع بما فيها من خامات مختلفة، وكنوز مطمورة، ومعادن نفيسة، وثروات نافعة، ويوجهنا إلى التحرك السريع لتوفير الاكتفاء الذاتى للبلاد، والتعاون الخالص الصادق للوصول إلى أسمى هدف وأنبل غاية، وهى عزة الوطن وازدهاره، وعدم استيراده من دول أخرى مما يمثل عبئاً عليه، ويجعل اقتصاده دون المستوى العالى، إذ إن الاستيراد بالعملات الأجنبية مما يشكل ضرراً علينا، وهذا هو القرآن الكريم قرر بأن الله تعالى جعل الأرض أمامنا مبسوطة ممهدة ذلولاً، وأمرنا بالعمل والمشى فى مناكبها، واستخراج كل ما فيه خير للوطن، والتعاون على جلب الرزق من مصادره المختلفة، وبلادنا والحمد لله غنية بأرضها، ثرية بأنهارها وبحارها وجبالها، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم

الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥) وحيث قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٣).

إنه لتوجيه حكيم من رب عظيم، إلى العمل الجاد المثمر المفيد، وإرشاد إلى استغلال ما فى باطن الأرض من خيرات، وتحويل خاماتها إلى صناعات، واليد العاملة المنتجة النافعة هى اليد العليا، وهى منبع الخير ومصدر النفع، ويد كهذه تستحق التقدير، وهى حَرِيَّة بالتبجيل، لأنها تسهم فى خدمة الوطن، وتتعاون مع غيرها من الأيدى على تطوير المجتمع وتقدمه، ولقد حدثتنا السنة النبوية المطهرة أن رسول الله - ﷺ - مر على معاذ بن جبل - رضي الله عنه - وهو يعمل فى الحقل، فوجد فى يده أثر العمل من الفأس، فما كان منه - ﷺ - إلا أن قبل يد معاذ بن جبل وقال له: «**تلك يد يحبها الله ورسوله**» فأى تكريم بعد هذا التكريم المحمدى؟ وأى تقدير يماثل ذلك التقدير؟ وممن كان ذلك التقدير والتكريم؟ إنه من أشرف الخلق محمد - ﷺ - وها هو ذا - عليه السلام - يقول فى حديث شريف: «**من أمسى كالا - أى متعبا - من عمله بات مغفوراً له**» (الطبرانى) ومن هذا الحديث النبوى يتبين لنا مقدار ما يترتب على العمل والتعب فيه من أجر كبير وتقدير عظيم وغفران من الله تعالى، والله - سبحانه وتعالى - قد زود الإنسان بما يحقق سعادته، ويرفع شأنه، ويعلى قدره، حيث وهبه العقل الذى يفكر به ويدبر، ومنحه القدرة على النجاح فى عمله، وسخر له الكون، وأنار له السبيل، وأباح له التنقيب، وسخّر ما فى الوجود من ماء وهواء، ونبات وحيوان ومعادن، كل ذلك لكى يكون فى أسعد حال، وأتم راحة، ولينعم هو والوطن بخيرات الله الوافرة ونعمه الغزيرة التى لا تعد ولا تحصى.

وما على الإنسان إلا أن يشمّر عن ساعد الجد، ويبحث وينقب ويعمل ويكدح، وبعمله الهادف يزيد الإنتاج، ويتحقق الاكتفاء الذاتى، وتصان الثروة الوطنية من أن تذهب إلى خزائن الدول الأخرى، ويصل الفرد والمجتمع إلى أحسن مستوى، ويتبوأ الوطن والمواطنون قمة المجد، وذروة العز والعظمة، إنه لمطلب عزيز، وإنها لغاية نبيلة، أن يزيد الإنتاج فى جميع المواقع، وأن تتكاتف الجهود للوصول إلى تلك الغاية، وليس ذلك على أبناء مصر بعزيز، ولا هو بالأمر

العسير.. إن البلاد العربية أرضها واسعة، وهى أرض خصبة، والأنهار موجودة بها، والآبار الجوفية منتشرة فيها، والمناجم مبثوثة فى كثير من مناطقها، وغير ذلك مما هو مبثوث هنا وهناك، إن بلادنا غنية غير فقيرة، وثرواتها واسعة، وتزخر بالخير والعطاء، إن فيها الذهب والبترول، وفيها الحديد والفوسفات والمنجنيز، وفيها الفحم والأخشاب، وفيها السماد وغير ذلك من نعم، كما أن الأرض تجود بأعظم الغلات، وأكبر المحاصيل، من النباتات المختلفة والثمار المتعددة والفواكه المتنوعة الشهية، وبحار البلاد العربية هى الأخرى مليئة بالنعم، ففيها اللؤلؤ والمرجان، والإسفنج والأسماك، وصدق رب العزة حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٢، ١٣) وكلما ذكرت كلمات الابتغاء من فضل الله، كان معنى ذلك كسب المال من طرقه المشروعة، واستغلال نعم الله بالاستفادة منها، وقد كرر الله - تبارك وتعالى - ذلك فى القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة، وفى التكرار تأكيد لنا بأن نشتغل ونعمل، ونكد ونكدح، مع تطوير أساليب البحث، ووسائل الكسب، والتجديد فى طرق العمل، والتركيز على خدمة الوطن، وزيادة الإنتاج من أجل قوّته وسعادته، ونحن نعلم جيداً أن الاستعمار قد ترك فى الدول العربية رواسب كثيرة، وبث فى أبنائها روح الكسل، وعمل على إشاعة السلبية والتواكل بينهم، وحاول بشتى الوسائل إضعاف روح الإنتاج، والسعى بالبلاد إلى طريق التأخر وانعدام الوطنية بين أبنائها، ولكن الاستعمار لم يحقق الهدف كاملاً كما أراد، وذلك لأن الوطن العربى يحتضن مواطنين صالحين، رضعوا من ألبان الوطنية، وكانوا أوفياء لبلادهم، وإن كان الضغط شديداً عليهم.

إن الاستعمار حاول وحاول، أن تكون روح الكسل سائدة، حتى تقعد البلاد عن استغلال مرافقها، وتستورد دائماً من الخارج، وتستجدى ممن لا يؤمن بدينها، ولا يريد لها إلا الضعف والإذلال، أما وقد رحل الاستعمار إلى غير رجعة، وانحسر ظله عن الأرض العربية، وحمل عصاه قافلاً إلى بلاده، كان - والحال هذه - من الضرورى أن يكون النشاط مكثفا فى شتى المرافق، والتحرك الجاد - دائبا

فى جميع ميادين العمل، والكفاح المتواصل فى كل المجالات، زراعية، وصناعية، وثقافية، وسياحية، وغير ذلك من المواقع المختلفة، لتتهيأ الفرص للسمو بالوطن، والسير به قدما إلى الأمام، ليعوض ما فاته، وليكتفى ذاتياً، وإنه من الواجب على كل مواطن، أن يسهم بكل ما أوتى من مواهب فى دفع الأمة إلى الأمام، ويتعاون تعاونا صادقا فى تدعيم اقتصاد البلاد ووفرة الإنتاج، إذ إن فى توافر الإنتاج قوة للوطن والمواطنين، وعزة البلاد ونهضة المجتمع، وغنى عن المستعمرين الطامعين والأعداء الماكرين، والزراعة بحاجة ماسة إلى زيادة الإنتاج، والصناعة هى الأخرى فى أمس الحاجة إلى النمو والتقدم، وميدان الزراعة والصناعة بجانب الميدان العلمى من أهم الميادين، التى يجب أن تجند لها قوى الشعب العاملة، وبالنشاط والعمل الجاد فى كل موقع نخطوا خطوات فسيحة إلى الأمام، والعمل شرف، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) وجمهوريتنا - والحمد لله - تقوم بدور رائد فى ميادين العمل، وقد توسعت فى الزراعة والصناعة وغير ذلك من مجالات أخرى بشكل ملحوظ، وما تلك المشروعات التى أقيمت والتى تقام إلا دليل واضح على تحقيق قفزة كبرى لصالح الوطن والمواطنين، وسيحقق الخير والسرور لأبناء وطننا، وسترفرف ألوية السعادة فى سماء بلادنا بمشيئة الله تعالى، وبجهود أولى الأمر وأيدى العاملين، ستتبوأ مصرنا العزيزة أسمى مكانة وأعلى منزلة، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**من أمسى كالاً من عمله - أى مُتْعَباً - بات مغفوراً له**» (الطبرانى).



# (٢٥)
# من قضايا القرآن الكريم
# المساواة

## ٢٥ـ من قضايا القرآن الكريم المساواة

الحـمـد لله أنار قلوبنا بنور الإيمان، وشـرفنا بالانتـمـاء إلى دين الإسـلام، وكرمنا بشهادة القرآن، فله الحمد على فضله العظيم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو الخالق المتصرف فيما خلق، وتصرفاته ـ سبحانه ـ كلها مبنية على الحكمة، ولا يقع فى ملك الله إلا ما يريد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، جاءنا بشريعة تستهدف صلاح أحوالنا دنيا وأخرى، وتنير الطريق أمامنا، وتقربنا إلى ربنا، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، العارفين بربهم، المؤدين واجبهم نحو خالقهم، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الموحدون: من القضايا التى على جانب كبير من الأهمية، والتى عنى بها القرآن الكريم أيما عناية، وأولاها الإسلام اهتمامه البالغ، قضية المساواة بين أفراد الإنسانية، ولذا تحدث القرآن الكريم إلى جميع الناس على اختلاف الألوان فيما بينهم، وتباين الطبقات والأجناس واللغات، تحدث إليهم مبيناً وحدة الأصل لهم جميعاً، وذكرهم بهذا الأصل الواحد الذى ينتمون إليه، وخاطبهم بقول الله تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) وبقوله ـ سبحانه ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١) وبهذا الخطاب الربانى اتضحت الرؤية، فجميع الناس من أصل واحد، إذ إن أباهم آدم وأمهم حواء، وبذلك البيان الإلهى عرفت الحقيقة ناصعة، وظهرت قضية المساواة جلية، ولذا كان من الواجب على الناس جميعاً أن يتذكروا أصلهم، وأن يتعاملوا فيما بينهم على أساس المساواة ودعائم العدل، وبروح الإنسانية التى هى الرباط فيما بينهم، بغض النظر عن اختلاف الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين، فلا اعتداء من جانب مسلم على غير مسلم، ولا على أسود لأنه أسود، ولا على من اختلفت لغته، لأن الاعتداء بدافع هذا الاختلاف جرم، إذ إن

الجميع ينتسبون إلى أصل واحد، ويجب احترام هذا الأصل، والدين الإسلامى كفل حقّ الإنسانية، وبين أنه حقّ إنسانى عام، وقد اهتم كل الاهتمام بتطبيق هذا المبدأ العظيم فى جميع المجالات، وفى ظلّ هذا الاهتمام وتلك العناية من جانب الدين الإسلامى، وبتطبيق الناس جميعا مبدأ المساواة وقانون وحدة أصلهم بأمانة وصدق واخلاص، وبابتعادهم عن العصبية وقانون الغابة، وبوضع أنفسهم جميعاً دون استثناء فى إطار المساواة بناءً على قانون وحدة الأصل، إنهم حينئذ يحيون حياة طيبة هانئة سعيدة جميلة، ويعيشون فى جو عطرى تسوده البهجة والأمن والسرور والطمأنينة، والحياة التى تكون بهذه الصورة تكون أعظم حياة، فلا كدر يكتنفها، ولا قلق يغلفها، ولا أمراض نفسية تحيط بها. وما أجمل قول الرسول محمد - صلوات الله وسلامه عليه - فى هذا الشأن: «الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى» (البخارى).

إن هذا النص النبوى يجسد المساواة الإنسانية ويمقت التفرقة، ويرفض كل الرفض الكيل بمكيالين، فالناس جميعا يشبهون أسنان المشط، وهم ينحدرون قاطبة من أصل واحد، فالأب آدم والأم حواء، ومن هذا المنطلق لابد أن تكون هناك مساواة حقيقية، وألا تكون هناك تفرقة لاختلاف اللون أو الجنس أو العقيدة، فالحق هو الحق مع الناس جميعا، فمن اعتدى على غيره فى نفس أو مال أو عرض، وجب القصاص من المعتدى، سواء كان مسلما أو غير مسلم، أبيض أو أسود، عربيا أو أعجميا، فالناس بناء على قانون المساواة لا يتفاضلون إلا فى شىء واحد هو تقوى الله، فالأفضلية لمن يتقى ربه، ويخشى خالقه، ولكن هذه الأفضلية لا تقف فى طريق المساواة الإنسانية، ولا تعارض بينها وبين القانون الإنسانى، الذى قرره القرآن الكريم والرسول العظيم، فالحق يطبق على كل البشر دون استثناء، ويسرى الجزاء على جميع الناس بلا تحيز ولا مجاملة، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على ما يمتاز به الدين الإسلامى من عدل مطلق، ومن إحقاق للحق، ومن نصر للمظلوم، وإدانة للظالم.. كل هذا من سمات الدين الإسلامى، وتلك هى روحه، وذاك هو هدفه، يدل على ذلك قول الله تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

أيها الإخوة: إن الرسول - ﷺ - يبرز لنا قانون المساواة فى صورة عملية، وذلك ليمس هذا القانون القلوب، ويعانق النفوس، ويلتصق بالروح، وعندئذ يحترم هذا القانون، ويطبق بروح العدل والإنصاف، بصرف النظر عن الفوارق بين الناس، من غنى وفقر، ودين ولون ولغة، فالجميع لدى الإسلام سواء. إنه دين الحق، دين العدل، دين الإنصاف، دين المساواة، دين يقف مع المظلوم حتى يأخذ حقه، ويقف ضد الظالم حتى يقتص منه. وما هى تلك الصورة العملية التى صدرت عن الرسول حتى نتعلم منه؟ وماذا بين لنا بصورة مجسدة ملموسة؟ إنه - ﷺ - كان مع بعض أصحابه فى سفر من الأسفار، ولما أرادوا إعداد الطعام، اقتسموا العمل فيما بينهم وأعفوا الرسول من العمل، نظراً لمكانته العالية ومنزلته الرفيعة، غير أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لم يوافقهم على هذا التصرف، ولم تقبل نفسه أن يكون مفضلاً عليهم، وأبى كل الإباء أن يجلس وهم يعملون. ونتيجة لذلك قرر الرسول أن يجمع لهم الحطب الذى به يطهون الطعام، وكان الآخرون قسموا العمل فيما بينهم فمنهم من سيذبح الشاة، ومنهم من سيقوم بسلخها، ومنهم من سيتولى طبخها، ولقد سجل الزمان بمداد الإعجاب قول الرسول - ﷺ - عندئذ لأصحابه: «**إنى أكره أن أتميز عليكم**» تلك هى الصورة العملية المشرقة التى سجلها التاريخ للرسول، وهذا هو القول المحمدى الذى يبين للقاصى والدانى فيه، أنه بشر مثلهم، وأنه خلق من مادة الطين كما خلقوا منها، وأنه ليس لديه الاستعداد ليتميز عليهم، ألا إنه الخُلق العظيم، الذى تحلى به الرسول الكريم، وما أروعه من خلق، وما أعظمها من حلية. وتلك صورة أخرى حدثنا عنها الرسول، ومنها يتبين لنا شدة حرص الرسول على تثبيت دعائم المساواة، وإقامة الحق والعدل بين الناس، ولم يتأثر - ﷺ - بوساطة، ولم يجامل على حساب الحق، ولم يستثن مجرما ليفلت من العقوبة، وإنما كان جادا كل الجدية فى مناصرة الحق وتطبيق قانون العقوبات، فماذا حدث؟ هناك من قبيلة بنى مخزوم امرأة سرقت، ووجب عليها حد السرقة الذى قدره الله، فأهم ذلك عشيرتها وأهلها، وقابلوا أسامة بن زيد - رضي الله عنه - ليتوسط لهم لدى الرسول ويعفى

هذه المرأة من إقامة الحدّ، وأسامة هو حِبُّ الرسول وله مكانته لديه، وذهب أسامة ليكلم الرسول فى هذا الشأن، وما أن سمع الرسول ما قاله أسامة، حتى ظهر الغضب على وجهه الشريف، وقال له: يا أسامة «**أتشفع فى حَدٍّ من حدود الله؟**» ثم دعا الناس إلى المسجد، وخطب فيهم قائلا: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**» (البخارى).

إنه لموقف مشرف، موقف تتجلى فيه العدالة فى أسمى صورها وأزهى أشكالها، وقد سجل هذا الموقف التاريخ الإسلامى ووعاه الزمان وتناقله الناس، والرسول بهذا الموقف يعلم الناس، ويلقنهم هذا الدرس العملى، حتى ينحازوا دائما إلى العدل والمساواة، وهل الرسول تأثر بوساطة أسامة وهو المحبب إلى نفسه؟ وهل تأثر بتلك القبيلة التى لها شرفها؟ إنه - ﷺ - لم يقبل الوساطة مع أنها من أعز أحبابه، ولم يتأثر بمركز القبيلة الاجتماعى، لأن الجميع فى نظر الإسلام سواء، فلا فرق بين شخص وآخر، ولا تمييز ولا مجاملة «**كلكم لآدم وآدم من تراب**» هذا هو الإسلام، وتلك هى قوانينه، وهذا هو رسول الإسلام، إنه مثل أعلى فى إقامة موازين العدل والحق، والمحافظة على قوانينه العادلة، ومبادئه السامية، فما أعظم هذا الدين!، وما أعظم ما جاء به الرسول!، وصدق - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**» (البخارى).



## (٢٦)
# قوة الوازع الدينى

## ٢٦ - قوة الوازع الدينى

الحمد لله جعل الإيمان واحة أمان، ومصدر طمأنينة وسكن، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بأن نؤدى ما تستلزمه عقيدتنا الإيمانية، من امتثال الأوامر واجتناب النواهى، والتحلى بالفضائل الإسلامية، والبعد عن الرذائل والنقائص، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، أرسله ربه مبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، واقتدوا برسول الإسلام، فكانوا مثلا عُلّيا فى الاستقامة، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها المؤمنون: هناك كلمة تتردد على الألسنة وهى كلمة الوازع، ولنعش مع مفهوم تلك الكلمة، وبمعرفة المعنى يكون كل شىء يتعلق بها واضحا جليا، وإذاً فما معنى كلمة الوازع، إنها تعنى ما يزجر الإنسان ويمنعه من أشياء قبيحة لا تكون مقبولة أو بمعنى آخر ما يَكُفُّ الإنسان عن ممارسة الأفعال التى تتسم بالشر، وما يحول بينه وبين السير فى الطرق المعوجة الضارة، هذا هو معنى كلمةالوازع، ومنه سمى الحاكم وأعوانه وزعة بمعنى أنهم يكفون الناس عن فعل الشر، ويعملون على الحيلولة بينهم وبين مخالفة القانون والتعدى عليه.. وكل أمر يؤمر الناس بامتثاله، لابد أن يكون من وراءه ذلك الوازع الذى يراقبهم ويكفهم عن المخالفة. والوازع ليس نوعا واحداً ولكنه أنواع متعددة، وهى الوازع المدنى والوازع الاجتماعى والوازع الطبيعى والوازع الدينى، والحديث سيتناول النوع الأخير وهو الوازع الدينى، ووظيفة هذا النوع الحث على امتثال أوامر الله من أنواع العبادات والفضائل، كالصلاة والزكاة والصيام والحج، والتحلى بالصدق والأمانة والعفة والمروءة وغير ذلك من عبادات وفضائل، وما يزجر الإنسان ويمنعه من الوقوع فيما نهى الله عنه، وهذا النوع من الوازع هو أقوى الأنواع وأعظمها أجرا، وأجلها نفعا، وأوسعها سلطانا، لأن الدين هو الذى يشعر المرء بوجود الله تعالى، وأنه -

جلّ شأنه - مطلع على كل شىء، وعالم بكل شىء، ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وهو السميع العليم، فعلم الله محيط بكل شىء، وهو - جلّ شأنه - أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وتلك بعض الآيات التى تقرر هذه الحقيقة الثابتة، ومن ذلك قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ٣) وقوله - جلّ شأنه - ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (الرعد: ٨، ٩) وقوله - سبحانه -: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩) وقوله - جلّ جلاله -: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: ٤)، إنها نصوص قرآنية من كلام ربنا تقدست أسماؤه، ومنها نأخذ وجبة روحية، ونغذى عقولنا بما تنطوى عليه تلك الآيات البينات، من أن الله - تبارك وتعالى - وهو الموصوف بكل كمال، أحاط بكل شىء علما، وأنه - جلّ شأنه - يعلم كل شىء فى السموات أو فى الأرض أو فى بطون الأمهات أو فى بطون الجبال، كل ذلك وغيره أحاط علم ربنا به، وكل شىء فى هذا الكون مهما دق وخفى علينا فالله يعلمه، إنه علم من خلق كل شىء، وملك كل شىء، وتصرف فى كل شىء، وقد نظم هذا الكون الفسيح الرحب طبقا لمشيئته وعلمه وإرادته، ونحن عرفنا ربنا وأنه موصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص، عن طريق الدين والعقل والنظر فى السموات والأرض والأنفس، والدين هو الذى أنار لنا طريق المعرفة، وأزال عن العقول شوائب الجهل، وهو الذى يشعرنا بسعة علم الله وقدرته، وهو الذى يقرر لنا أن الدنيا إلى فناء، وأن متاعبها إلى زوال، وأنه لابد من انتهاء حياتنا الدنيوية طال الأجل أو قصر، وأن بعد الدنيا حياة أخروية، يعرض فيها الناس على ربهم ويحاسبون على أعمالهم، أمام محكمة العدل الإلهية، تلك التى لا تصدر عنها أحكام خاطئة أبدا، لأن القاضى هو الله، والله منزه عن كل نقص، ثم إن ربنا وَكَّلَ فى دنيانا ملكين ملازمين لكل إنسان،

**أحدهما**: يسجل الحسنات **والآخر**: يسجل السيئات، وفى يوم القيامة يعطى

الله كل إنسان كتابه، ومنهم من يأخذه باليمين، ومنهم من يأخذه بالشمال أو من وراء ظهره، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك حيث قال رب العزة - جلّ شأنه -: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (الإسراء: ١٣) وقال - سبحانه -: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨) وقال تقدست أسماؤه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة: ١٩ - ٣٧).

إنه من خلال ما سبق من آيات، ندرك ما ترتب على الأخذ بالشمال، فآخذه باليمين ينال أعظم الجزاء من الله، وآخذه بالشمال يصلى نارا حامية، وتكون عاقبة أمره خسرا، وهكذا يجد الإنسان فى الآخرة كل ما صدر منه فى الدنيا من خير أو شر، ويجد بالتالى الثمرة المترتبة على مسلكه فى دنياه، فإما جنة وإما نار، وهنيئا لمن يستخدم حياته الدنيوية فى طاعة الله وعبادته، إذ إنه سيزف مع أمثاله فى موكب ملائكى نورانى إلى الجنة والنعيم، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، إن الوازع الدينى يكبح جماح النفس، ويمنعها من الاسترسال فى شهواتها، وبه تسود الفضائل بين الناس، ويعم الأمن وتنتشر الطمأنينة، وبدون هذا الوازع الدينى تنتشر الرذائل وتكثر الجرائم، وترتكب المحرمات، فالوازع الدينى أجل ما يبعث الإنسان على الفضيلة، ويباعد بينه وبين الرذيلة، لا خوفا من سطوة القانون، ولا رغبة أو رهبة من الناس، ولكن ابتغاء رضوان الله، وفرارا من عقابه الأخروى، وابتعادا عن سخطه وغضبه، وهو الذى

يحفز الإنسان المؤمن إلى الجهاد، ويدفعه إلى شرف الاستشهاد، ويجعله يدخل ساحة المعركة حاملا روحه على كفه وهو قرير العين مسرور الفؤاد، وهو حين يجاهد فلأسمى هدف، وهو الدفاع عن الدين والوطن، وهذا الوازع يتمثل فى الخوف من الله، والخوف ثمرة من ثمار المعرفة الحقيقية بالله، ومقدار الخوف قلة أو كثرة تابع لمقدار المعرفة برب العزة - جلّ شأنه -، فإن كان الخوف فى قلب الإنسان من الله كثيرا كان ذلك دليلا على شدة المعرفة بالله تعالى، وعندئذ يكون الوازع الدينى ذا تأثير كبير وقوة عظيمة، إن من يعرف ربه، يمتلىء قلبه خوفا منه - سبحانه وتعالى -، ويظهر أثر ذلك جليا واضحا على الأعضاء، إذ يقوم كل عضو بما خلقه الله له، وفى الحدود التى رسمها الدين، والقلب أهم عضو فى جسم الإنسان، فإذا صلح صلحت الأعضاء كلها، وإذا فسد فسدت جميع الأعضاء، يؤيد ذلك قول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -: «**ألا إن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسم كله، وإذا فسدت فسد الجسم كله، ألا وهى القلب**» (البخارى ومسلم)

وقد بين الله - تعالى - ما أعده من جزيل الأجر وعظيم الثواب لأحبابه الخائفين منه، العارفين به، الذين قوى وازع الدين لديهم، وذلك فى قوله - سبحانه -: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦) وفى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٧، ٨) وقد تكفل رب العزة بأمن هذا النوع المثالى من خلقه، ولذا يقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -: «**قال الله - عزّ وجلّ -: وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين، فإن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة**» (الحاكم وغيره)

فالمؤمن الكامل هو الذى يخاف ربه ويخشى خالقه ويحاسب نفسه، والخوف من الله شعار الصالحين، وحلية المتقين، ومفتاح السعادة دنيا وأخرى، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠، ٤١).

وهذا هو سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ، تمثل فيه قوة الوازع الدينى فى موقف حرج، وذلك عندما راودته زليخا عن نفسه، وتمثلت له فى صورة مغرية فاتنة،وهى التى لها ما لها من قوة وسلطان، ولكن ذلك لم يؤثر فيه، ولم يحمله على ارتكاب المعصية، لأن الوازع الدينى لديه قوى، ولأنه كان شديد الخوف من الله، وهذا هو شأن المؤمن الكامل. وصدق رسول الله - ﷺ - حيث قال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**» (الترمذى).



(٢٧)

# الشورى فى الإسلام

# ٢٧ـ الشورى فى الإسلام

الحمد لله أنعم علينا بنعمة المعرفة به، عن طريق ما جاء به الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - من قرآن كريم، وسنة نبوية، وتوجيه عظيم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وداعين إلى الله بإذنه إلى صراط مستقيم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، السفير الأكبر، المتلقى عن الله التعليمات والإرشاد، لتبليغ ذلك إلى خلق الله، لأسمى غاية وهى الوصول بهم إلى المستقبل الباسم فى أخراهم، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين طبقوا أوامر الله بأمانة وصدق، وابتعدوا عن كل ما نهى عنه الله بكل دقة، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: دين الإسلام هو الدين الخاتم، فلا دين بعده، وهو صالح لكل زمان ومكان، بمبادئه الميسرة، وقوانينه العادلة، وتوجيهاته الهادفة، وسيظل هذا الدين منتشرا فى العالم، وسيعم نوره العالم كله، وسينضوى تحت لوائه كثير من الناس فى كل القارات والعوالم، لأنهم سيلمسون ما امتاز به من يسر وفضائل، بعد الدراسة والغوص فى أنهاره العذبة، والبحث الدقيق الهادف، إنهم بعد ذاك يقبلون عليه بشوق وسرور، ويعيشون معه بقلوبهم وعقولهم، وينهلون من معينه الفياض. والإسلام ليس دين عقيدة فحسب، وإنما هو بالإضافة إلى ذلك دين سلوك ونظام، دين روح ومادة، دين دنيا وأخرى، دين قوانين وتشريعات، ومن التشريعات التى جاء بها الإسلام، والتى ترمى إلى خير الفرد والجماعة، تشريع مبدأ الشورى، الذى هو أسمى مبدأ لأسلوب الحكم، وأعظم نظام لتيسير أمور المجتمع، والقرآن الكريم الذى هو وعاء التشريعات الإلهية، حمل إلى أمة الإسلام هذا التشريع النافع، وذلك المبدأ العظيم، منذ أن انبلج نور الإسلام فى أوائل القرن السابع الميلادى، وذلك فى قول الله - تعالى -: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وفى قوله - جلّ شأنه -: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨).

إن الإسلام وضع للأمة الإسلامية - فى كل زمان ومكان - المنهج الأمثل الذى تسير عليه فى حياتها، وأتى بالنظام الأكمل الذى تطبقه فى دنياها، والذى يكفل

لها الأمن والاستقرار، والقوة والطمأنينة، ويتمثل ذلك فى الشورى التى قررها الله - تبارك وتعالى - غير أن الإسلام ترك أسلوب الشورى لاجتهاد الناس فى كيفية الوصول إليها وتحقيق نظامها، وذلك لأنه أخذ فى الاعتبار ما يطرأ على الزمان والمكان من تغيرات، وراعى تدرج الإنسانية فى السلم الحضارى والرقى العقلى، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لم يبين شكل النظام للأمة من بعده، وإنما ترك الأمر شورى بين الناس، تجسيدا لما جاء به القرآن الكريم من قبل ربِّ العالمين، وقد جاءت شريعة الإسلام لتحقيق الصالح للناس ودرء المضار عنهم، والعمل على تثبيت دعائم السعادة لهم، والإسلام الذى جاء باليسر والسهولة فيما قرر من عبادات، هو كذلك جاء بالأسلوب السهل الميسر للحكم، وبالنظام المبسط الذى لا تعقيد فيه ولا غموض، مستهدفا بذلك تنافس المسلمين فى بناء مجتمعاتهم، تبعا لما يصلون إليه من أسباب النمو العقلى، والثراء الحضارى، فالشورى مبدأ إسلامى عظيم، وبهذا المبدأ الهادف تبنى المجتمعات الإسلامية، وفى ظله يعيش المسلمون فى رحاب وظل الكرامة، وتحت لوائه ينعم الناس بحياة هانئة باسمة سعيدة، إن الشورى هى الأساس الإسلامى المتين للحكم، ولا يمكن عقلا ولا منطقا أن يقرر أحد مصير غيره من الناس نيابة عنهم، بل لابد من اشتراك الجميع فى تسيير دفة الحكم وصنع القرار، الناشىء عن طرح الآراء ومناقشتها بموضوعية وتقبل الرأى والرأى الآخر بروح رياضية، واستهداف مصلحة الوطن والمواطنين، وبالشورى وتمحيص الآراء تتضح الرؤية، ويبرز الرأى الذى ينال إعجاب الجميع، ويختار برأى الجميع أو الغالبية من الحاضرين، لتبنى عليه السياسة التى يسير عليها الوطن فى شتى المجالات ومختلف الميادين ، والحكم المبنى على الشورى هو حكم عادل، لأنه تطبيق لأمر السماء، ولأنه قائم على قاعدة عريضة من جماهير الناس، وقد اختيرت هذه القاعدة بناء على الاختيار الحر، ولأنه أيضا يشعر الناس بذاتيتهم وكرامتهم، وأن لهم وزنا فى مجتمعهم، وكل حكم لا يقوم على مبدأ الشورى هو حكم جائر، وكل دولة يقوم حكمها على غير مبدأ الشورى، تكون دولة بعيدة عن تحقيق العدل، نائية عن طريق الخير والحق، وهذا هو القرآن الكريم يحدد لنا بعض الصفات التى يجب توافرها فى المسلمين ومن بينها الشورى، وذلك فى قول الحق - جلّ شأنه -:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨) فهذه الآية الكريمة من كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ تقرر اشتراك الجميع فى صنع القرار الهادف، ورسم السياسة التى تسير عليها الأمة نحو حياة أفضل، يسودها الخير، وتحيط بها السعادة والتقدم والنهضة، فالشورى تضامن جماعى، ينصهر فى بوتقته جميع الأفراد لتحمل المسئولية، وتحقيق الصالح العام للمجتمع ولأفراده، وعن طريق الشورى والتضامن الجماعى، تكون الرقابة الشعبية الواعية اليقظة، التى تراقب الجهات الموكل إليها أمر التنفيذ، وتحاسبها الحساب المناسب إذا قصرت فى أداء واجبها، أو تهاونت فى حق الشعب، وإذا ثبت هذا التقصير وذلك التهاون، وقامت القرائن على ما يؤكد انحراف المسيرة، وخيانة الشعب، عندئذ يكون العقاب المناسب لحجم هذا الانحراف، والقصاص العادل ممن يعوقون المصالح، ويخونون الأمانة، ولا يكونون على مستوى المسئولية.

ومبدأ الشورى يقوم على أرضية الديمقراطية، وهما جناحا الحكم الصالح، الذى يسعى لإسعاد أفراد المجتمع ورفاهيتهم، وتوفر لهم الرخاء والاطمئنان، ونحن المسلمين جاءنا القرآن الكريم بالتوجيه الحكيم إلى تطبيق هذا المبدأ الأمثل وهو الشورى، وإذاً فالشورى ليست من صنع الإنسان، وإنما هى من صنع الله ـ تبارك وتعالى ـ، الذى يعلم ما يفيد الإنسانية، وما يؤدى بها إلى أفضل مستقبل وأكرم حياة. إن الشورى تجسيد لحرية الرأى، وهى واجهة الديمقراطية الحقيقية النافعة، وفى تطبيقها تكريم لكل فئات الشعب، وإشعار لجميع أفراده بأنهم على قدم المساواة، وأن لكل واحد منهم رأيه وحريته وكرامته، ونحن فى مصرنا العزيزة نطبق هذا المبدأ الربانى على أرض الواقع، وهو يطبق كذلك فى المجتمعات الإسلامية الأخرى، ونحن نثبت للعالم أجمع أننا ـ نحن المسلمين ـ السباقون إلى هذا الميدان، وأننا قد حققنا بتطبيقه وتجسيده الخير كله.. إن القرآن الكريم هو دستور السماء، قد تضمن كل التعليمات الإلهية الإنسانية، ونحن نعتز كل الاعتزاز بهذا الدستور الإلهى، ونطبقه على أرض الواقع، ونتخذه شريعة لوطننا، لأنه يضع الحلول الجذرية لكل المشاكل الحياتية التى تعترض الإنسان فى مسيرة حياته، والقرآن الكريم الذى هو شريعة بلادنا هو مصدر السلطات، وأصل التشريعات، والدستور العظيم المنزل من رب العالمين.

إننا حين نطبق نظام الشورى فى بلادنا، فإننا نعمق المبادىء الإنسانية المتصلة بالشورى فى بلادنا، والتى هى وليدة الحكم بهذه الصورة المثالية الوافدة إلينا من السماء عن طريق محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام.

إن المساواة ترتبط بالشورى، والديمقراطية ترتبط بالشورى، والقوة ترتبط بالشورى، والوحدة الوطنية ترتبط بالشورى، والآراء السديدة تعرض عن طريق الشورى، والوصول إلى الرأى الأمثل يكون عن طريق الشورى، وشعور المرء بذاتيته الإنسانية وقيمته الآدمية إنما يكون كذلك عن طريق الشورى، فالشورى إذاً هى القاعدة الكبرى للبناء الإسلامى، وهى أسمى وسيلة لأنبل غاية، فما أعظم ديننا الإسلامى الحنيف، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار**» (الطبرانى).



# (٢٨)
# حقوق الإنسان فى الإسلام

## ٢٨ـ حقوق الإنسان فى الإسلام

الحمد لله يحق الحق ويبطل الباطل، وهو ـ سبحانه ـ الحق وناصره، وقد أمرنا ـ جلّ شأنه ـ أن نعيش فى ظل الحق، ونقف فى وجه الباطل، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١)، وقد بين ـ سبحانه ـ لكل من يقف فى طريق الحق، أن الحق لابد منصور، وأن الباطل لابد مهزوم وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، أحب الخلق إلى الله، وصاحب الشفاعة العظمى يوم لقاء الله، والذى جاهد فى الله حق جهاده، وقد أدى ـ ﷺ ـ الأمانة، وبلغ الرسالة، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، أهل المعرفة بالله، والذين أدوا واجبهم كاملا لله، وابتعدوا عن كل شىء يغضب الله، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: دين الإسلام دين الكمال، الدين الذى قال فيه ربّ العزة ـ جلّ شأنه ـ فى القرآن الكريم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) فهو ـ سبحانه وتعالى ـ أكمل هذا الدين، ببيان ما هو حلال وما هو محرم، حتى صار كل شىء فيه واضحا لا لبس فيه ولا غموض، ولا تعقيد ولا تعسير، وبهذا الكمال الذى وصف الله به ديننا العظيم، أتم الله النعمة على الأمة المحمدية، ولهذا قال ربنا بعد تحدثه عن كمال الدين: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، وقد رضى ربنا لأمة الإسلام وللإنسانية جمعاء دين الإسلام، ليكون الدستور فى الحياة، والمنهل الذى لا ينضب، والقائد إلى كل خير فى الدنيا والآخرة، لأنه الدين الصالح لكل زمان ومكان، والخاتم الذى لا دين بعده، ولا رسول بعد حامل لوائه محمد ـ ﷺ ـ، وصدق ربّ العزة حيث قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). وقد جاء هذا الدين بكل ما نحن بحاجة إليه فى شئون ديننا وشئون دنيانا، وله الأسبقية فى تقرير حقوق الإنسان، ودعا إلى احترامها كل الاحترام، وإلى تجسيدها وتطبيقها على أرض الواقع، بلا تفرقة ودون جور، وبالعدل والمساواة والإنصاف، ليعيش العالم فى ظل السعادة، وتنعم الإنسانية فى الحياة دون

مكدرات، ويشعر كل إنسان بأن دين الإسلام يستهدف صالح البشرية، ويقف إلى جانب كل فرد ومناصرته والدفاع عن حقوقه المشروعة. إن دين الإسلام يدعو دعوة ملحة إلى توفير الحياة الهانئة السعيدة للإنسان، أياً كان ذلك الإنسان، ويحث على إعطائه الحقوق المقررة له كاملة دون نقص، وينهى عن الاعتداء عليه بأى صورة من الصور فى ماله أو عرضه أو دمه أو حريته، ولو كان ذلك الإنسان على غير دين الإسلام، أو كان يتكلم بغير العربية، أو كان ذا لون مختلف عن لوننا، إنه دين المساواة الحقيقية، المبنية على وحدة الأصل، المرتكزة على دعامة الإنصاف، إنه الدين الذى جاء بقول الله - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١)، وجاء أيضا بقول الله تقدست أسماؤه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) إنه المعيار العادل، والميزان الدقيق، لتقييم الناس، ولتوضيح الرؤية أمام كل إنسان، حيث بينت الآية القرآنية، أن أصل جميع الناس على اختلاف مشاربهم، وتعدد دياناتهم، والفروق الظاهرية فى الخلقة كاللون واللغة وغير ذلك من فروق، هم جميعا ينتمون إلى آدم وحواء، وأنه إذا تعددت الشعوب والقبائل، فإن هذا لا يعنى أن تكون هناك فرقة، وألا تكون بين الناس جفوة، وإنما الواجب أن يكون بينهم التعارف، وأن تسود بينهم روح التعاون، ثم تبين الآية أن التفاضل بين الناس لا يتمثل إلا فى شىء واحد، وهو تقوى الله - تعالى -، والقيام بما جاء به الدين من أوامر إلهية، ونواه ربانية. هذا هو ميزان التفاضل ولا شىء غير ذلك، وما عدا ذلك من غنى وصحة وجاه ولون وغير ذلك، فإن هذه الأمور ليست ميزانا للتفاضل، والإسلام قد أرسى قواعد المساواة وحقوق الإنسان، منذ انبلج نوره، وأزال التمايز البغيض، والعنصرية الممقوتة، والتفاضل الذى ليس مبنيا على تقوى الله، وقد ألغى هذا الدين المظاهر الجاهلية التى كانت سائدة فى مجتمع ما قبل الإسلام، ونشر الدين الإسلامى العظيم أريج المبادئ الإنسانية، وعطر الكون بقوانينه العادلة، وهذا هو بلال الذى كان عبدا مملوكا، كان له شأن عظيم فى ظلّ

الإسلام، ولم تكن عبوديته التى تخلص منها بعتق أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - له، لم تكن هذه العبودية مزرية له أو منقصة لحقوقه، وهاهم أولاء زعماء العرب من قريش يقولون للرسول - ﷺ -: كيف نجلس إليك يا محمد؟ وأنت تجلس إلى مثل بلال الحبشى، وسلمان الفارسى، وصهيب الرومى، وعمار، وسواهم من العبيد وعامة الناس، ويطلبون من الرسول - ﷺ - طردهم، وعندئذ يحضرون مجلسه، ويسمعون منه دعوته إلى الإسلام، هذا هو مطلب أشراف قريش من الرسول، فماذا كان موقفه من هذا الطلب؟ وهل رحب بهذا العرض ونزل على رغبتهم؟ إن موقفه - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كان فى غاية الشجاعة، حيث أبى أن يطرد هؤلاء الذين آمنوا به، ورفض كل الرفض هذا العرض الذى قدم إليه من جانب الكفار، ولما لم يحقق الرسول لهم ما طلبوا قالوا له: لنعرض عليك عرضا آخر، وهو أن تجعل لنا يوما ولهؤلاء الفقراء يوما آخر، فأبى الرسول أن يستجيب لهم ولم يوافقهم على مطلبهم، هذا هو موقف الرسول فى تلك المفاوضات، وهذا هو القرآن الكريم ينزل من السماء ليوجه إلى الرسول هذا النهى، وعدم تلبية مطالب زعماء قريش، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٢)

فالله تبارك وتعالى لم يقر هذا المبدأ الذى أراده زعماء قريش، ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه لم يوافقهم على رأيهم الذى يحط من قدر أتباعه ورواده المؤمنين، ولم ينفذ لهم ما رغبوا فيه، لأن فى تحقيق مآربهم بعدا عن الصواب، وتقويضا لصرح المساواة، وانتقاصا لحقوق الإنسان، وهذا أبو ذر الغفارى يتخاصم مع زنجى ويحتد عليه قائلا: «يا ابن السوداء» وهنا غضب الرسول الكريم من أبى ذر وقال له: «طَفَّ الصَّاعُ، طَفَّ الصَّاعُ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح» وعندئذ وضع أبو ذر خده على الأرض وقال للأسود: «قم فطأ على خدى» تكفيرا له عن قوله وإساءته، هذا هو دين الإسلام الذى يقف مع المظلوم ويناصره كل المناصرة.. وتلك واقعة حدثت فى عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد وقف موقفا سجله له التاريخ بمداد التقدير، إنه فى وقت

خلافته ضرب ابن عمرو بن العاص رجلا مصريا ـ وكان عمرو حاكما لمصر آنذاك ـ واشتكى هذا الرجل الذى من العامة ابن عمرو لدى الخليفة عمر ومُثلاً أمام عمر، هنا ناقش عمر ابن عمرو، ووجد أنه أساء إلى هذا الرجل واعتدى عليه دون حق، وهنا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذا الرجل المعتدى عليه: خذ هذه الدرة ـ أى السوط ـ، واضرب ابن الأكرمين، واتجه إلى عمرو وقال له فى حدة:» متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟»

وهكذا نصر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرجل المعتدى عليه، ووقف ضد المعتدى وقفة عدل وإنصاف، وهو بهذه الوقفة الجريئة يطبق قول الرسول ﷺ «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**» ونصر المظلوم بالتعاون معه حتى يأخذ حقه ومنع الظلم عنه، إن هذه الوقفة العمرية تدل على العمل على حقوق الإنسان، وتبرهن على أن الدين الإسلامى لا يرضى الظلم، وهو يرفض الاعتداء على خلق الله بأى لون من ألوان الاعتداء، وهناك أمثلة كثيرة تبرز اهتمام الإسلام بالحقوق الإنسانية، إن الدين العظيم الذى قرر حقوق الإنسان منذ سطع نوره، له الأسبقية فى هذا الميدان، والأمم المتحدة قررت حقوق الإنسان منذ سنوات قليلة، ثم هى لم تأخذ حظها من التطبيق، ونحن نرى الظلم يقع على الإنسان، تحت سمع وبصر هذه الهيئة الأممية، ولم نجد صدى لدى تلك الهيئة، إن الإسلام الذى حطم الحواجز والطبقية، ونبذ التعالى وحارب العنصرية، وجعل الناس سواسية كأسنان المشط، لهو دين العدل والخير، والحق والسمو، والمساواة والإنصاف، وهو الدين الذى قرر وعمق الحقوق الإنسانية، والذى جاء بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) وصدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**» (البخارى).



## (٢٩)
# الغيبة خلق قبيح

# ٢٩ـ الغيبة خلق قبيح

الحمد لله أمرنا بالمحبة والإخاء، ودعانا إلى تطهير القلوب من الأحقاد، وحثنا على نظافة النفوس من الشوائب، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل محمدا ﷺ بدين الأخلاق الفاضلة، والنظافة الشاملة، والتعامل الإنسانى والتوجيهات الرشيدة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أطهر الناس قلبا، وأصفاهم نفسا، وأزكاهم روحا، وأحسنهم خلقا، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك الذين أحبوا الخير لغيرهم كأنفسهم، وحافظوا على احترام الناس فى غيبتهم، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباء: تفشت بين الناس عادة قبيحة كل القبح واتسع نطاقها بصورة ذميمة، وسرت بين الخلق طبيعة مرذولة، تؤدى بهم إلى أوخم العواقب وأسوأ النتائج.. تلك العادة القبيحة وهذه الطبيعة المرذولة، هى الطعن فى أعراض الغائبين، وتطاول الألسنة عليهم بما يسىء إليهم، والنيل من كرامتهم وإنسانيتهم، والتحدث فى حقهم بما يشوه سمعتهم، وذكرهم بأخس الصفات وأقذرها، وتناولهم بكل ما هو قبيح وذميم، بغية التشهير بهم والحطّ من شأنهم، ورغبة فى خلق جوٍّ من الكراهية لهم، وصرف الناس عن احترامهم، وتشويه صورتهم لدى كل من يعرفهم. وهذا عمل غير إنسانى، ومسلك غير حميد، وتلك عادة يبغضها رب العالمين، ويمقتها الدين، ولا يقرها الإسلام، وهؤلاء المغتابون يقطعون الروابط، ويفككون أوصال المجتمع، وينشرون المساوئ والعيوب، ويذيعون الشر والفساد، ويشوهون الحقائق ويقلبون الأوضاع، ويسممون الأجواء. إن ربَّ العزة جلّ شأنه حرم الغيبة ونهى عنها، وصور المغتابين بصورة مزرية شنيعة، تتقزز منها النفوس، وتزكم الأنوف حيث شبه ربنا جلّ شأنه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتا، وهذا هو القرآن الكريم ينقل إلينا هذا التشبيه فى قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢) تلك هى صورة المغتاب كما صورها القرآن الكريم، وهذه هى حاله كما ذكرها ربُّ العالمين، ومن الذى تقبل نفسه أن يتناول لحم إنسان ميت؟

ومن الذى يرغب فى الأكل من جثة آدمى فارق الحياة؟ إن النفوس تعاف تناول مثل ذلك، ولا تقبل طعاما هذا شأنه وتلك حاله، وإذا كان الإنسان لا يستسيغ الأكل من الميّت، فكيف يقبل تناول عرض أخيه الغائب بالمعايب؟ وكيف يسمح لنفسه أن يذكر غيره بالمساوئ؟ وكيف يترك لسانه مسلطا على أخ له فى الإنسانية؟ إنه إذا فعل ذلك، وقع فيما صوره الله به من أكل لحم الميت وكما أن الميت لا يدرى بأكل لحمه، فذلك الحى لا يدرى بغيبة من يغتابه، وكما أن تناول لحم الميت حرام، فكذلك اغتياب الناس والتحدث عنهم بما يسىء إليهم حرام.. وهذا رسول الله - ﷺ - يشاهد ليلة الإسراء مشهدا مقززا ومنظرا قبيحا لأولئك الذيم يغتابون الناس وينهشون أعراضهم، فماذا رأى ﷺ؟ إنه رآهم فى أبشع صورة وأسوأ حال، فهم ذوو أظفار من نحاس، وقد أخذوا يخمشون بها وجوههم، ونتيجة لذلك تسيل دماؤهم، وتتساقط لحومهم، واستفسر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - من جبريل عليه السلام الذى كان بصحبته، قال له: من هؤلاء يا أخى يا جبريل؟ فأخبره بأنهم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم، وهكذا أظهرهم الله أمام الرسول فى تلك الصورة القبيحة، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدلّ على بغض الله للمغتابين، وعلى أنه سبحانه سينتقم منهم أشد الانتقام لأنهم جرحوا أعراض الناس فى غيبتهم وطعنوهم فى كرامتهم وإنسانيتهم، ونشروا العيوب من حولهم، وصوروهم أمام الناس بصورة مزرية فى مجتمعهم، وألصقوا بهم النقائص التى تجعلهم فى الدرك الأسفل من الإنسانية، إن الغيبة بلاء كبير، وشرّ مستطير، وجرم بالغ الخطورة وخيم العاقبة، ولكبر حجم جريمة الغيبة، كان العقاب شديدا من الله، والحساب عسيرا يوم القيامة لهم، وستقدم فى هذا اليوم الأخروى لحوم الذين اغتابوهم، لكى يأكلوها وهى ميتة، يدل على ذلك قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: **«من أكل لحم أخيه فى الدنيا، قدم إليه فى الآخرة، وقيل له: كله ميتا كما أكلته حيا»**.

أيها الإخوة: ليس من الدين أن يسخر الإنسان بأخيه الإنسان، وليس من الكرامة الإنسانية أن يؤذى أحد غيره فى غيبته، وليس من المروءة أن يعتدى امرؤ على عرض أحد بالقول أو بالفعل، أو أن يتخذ إنسان من غيره محلا للتسلية أو

الفكاهة، إذ إن لكل إنسان كرامته وإنسانيته وشرفه، والله تبارك وتعالى كرم الإنسان ورفع شأنه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) والدين الإسلامى يأمرنا بالمحافظة على كرامة الناس، وينهانا عن الإساءة إليهم وإلحاق الأذى بهم، وصدق ربّ العزة حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨) وقد بين الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - معنى الغيبة ووضحها حيث قال: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» (مسلم).

إن الغيبة هى الكلام فى حق الغير، والتحدث عنه بما يكره فى غيابه حتى ولو كان فيه ما يتحدث به عنه، والغيبة حرام من جانب الدين، وهى أيضا مذمومة من جانب العقل الإنسانى، وأيضا هى ممقوتة من جانب الإنسانية، والرسول صلوات الله وسلامه عليه - أخبرنا عن أن الاعتداء على دم المسلم حرام، والتعدى على ماله حرام، والتطاول على عرضه حرام، وذلك فى قوله المحمدى: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله**».

أيها الإخوة: إن الغيبة لا تجوز إلا فى أحوال خاصة، ولا تباح إلا فى ظروف معينة، ومن هذه الأحوال وتلك الظروف، مجاهرة إنسان بالمعاصى، ونشره البدع بين الناس، وإذاعته الرذائل والمساوئ، مثل هذا الإنسان الذى بهذه الصورة، يجوز ذكره بما يجاهر به من فسق أو بدعة أو رذيلة، ويحرم ذكره بغير ذلك من العيوب، إلا إذا كان هناك مبرر لذلك، فعلى المسلمين أن يحفظوا ألسنتهم من الغيبة، وألا ينهشوا أعراض إخوانهم فى الإنسانية، لأن هذا التطاول عليهم لا يتفق مع دين ولا مع مروءة ولا مع إنسانية، وهو لا يؤدى إلا إلى الشرور والآثام..

أيها المسلم: إن المغتابين يحملون بسبب غيبتهم الأوزار، وهم يحملون أنفسهم مسئولية ضخمة يوم القيامة، وستكون النتيجة فى الآخرة القصاص العادل، وسيجد المظلومون يوم القيامة رصيدا كبيرا من حسنات الظالمين تعطى لهم، حيث سيأخذ المعتدى عليهم حقوقهم من المعتدين فى صورة حسنات، فإذا فنيت حسنات الظالمين أخذ من سيئات المظلومين فطرحت عليهم.. وماذا تكون حال

المغتاب الذى ظلم غيره؟ حين يرى حسناته تعطى لغيره، وحين يجد سيئات الغير تضاف إليه، وماذا يكون شعوره حين يجد نفسه وقد قذف به فى نار جهنم؟ ليأكل من زقومها ويشرب من حميمها، ويتقلب على جمرها ويكتوى بنارها فليتصور المغتابون هذه الحال، وليفكروا فى هذا المآل، علهم يتعظون وعساهم عن عادتهم يقلعون، نعم ليفكروا فى هذه النتيجة المرة، وليتصوروا تلك العاقبة السيئة، وليقلعوا عن الغيبة، ويمسكوا ألسنتهم عن الخوض فى أعراض الناس، ويسموا بأنفسهم عن الدنايا والأوزار، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» (البخارى.



## (٣٠)
# النميمة داء وبيل

## ٣٠ـ النميمة داء وبيل

الحمد لله أمرنا بالمودة والوفاق، ونهانا عن القطيعة وفساد الأخلاق وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، بين لنا سبيل الخير لنسلكه، وطريق الشرّ لنجتنبه، ونفرنا من سوء الطباع وقبيح الأفعال، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، دلنا على طريق النجاح، وأرشدنا إلى العمل الصالح النافع، الذى يفيد الإنسان والإنسانية، ويرضى خالق الكون ورب البرية، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين كانت مجالسهم عامرة بما يفيد، وألسنتهم بعيدة عن كل قول ذميم، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباب: نشاهد فى هذا العصر انتشار وباء خطير ونلاحظ فى هذه الأيام ظهور ميكروب فتاك، وقد سرى هذا الوباء بشكل ملحوظ، وذاع ذلك الخطر بصورة مزعجة، وما أكثر ما خلف هذا الداء وراءه من ضحايا، وما أكثر المصابين به فى ذلك الزمان، ولعلكم تعجبون حين أخاطبكم عن هذا الوباء القتال، وتستولى عليكم الدهشة عندما تسمعون هذا الكلام، وتتساءلون فيما بينكم عما أقصده، ولأن الوطن ـ والحمد لله ـ خال من الأمراض المعدية، ليس فيه وباء مما نعرفه، كالكوليرا والحمى وغير ذلك من أمراض خطيرة، وإذاً فأنتم فى عجب من كلامى، ولكى أبين لكم قصدى، وأظهر لكم ما أعنيه من قولى، أقول لكم: إن الذى أقصده ليس مما تعرفونه من أمراض تعالج بالعقاقير المختلفة، وإنما الذى أعنيه وأريد الحديث عنه، وأحذر من الإصابة به هو داء النميمة، والنميمة معناها نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد والتحدث عن الغير إلى الغير بصورة تحمل طابع الشر، وطريقة تبث فى النفوس العداوة والبغضاء، وكيفية تملأ القلوب بالكراهية والأحقاد، ولقد أمرنا الدين بمحاربة هذا الداء الذى استفحل شره، وطالبنا باستئصاله والقضاء عليه، لأنه خطر جسيم على الأمة، وشرّ مستطير وبلاء عظيم على الوطن والمواطنين، والدين الإسلامى برىء من النمام، لأنه يعمل ضد الدين ويسير فى اتجاه مخالف لاتجاه الإسلام، وإذا كان الدين يأمرنا بالمحبة والخير والإصلاح، وينهانا عن السعى بالفساد والإضرار

بالناس، فإن النمام يهدم ما أمر به الدين، وينفذ مخططا شيطانيا يؤدى إلى تمزيق الروابط، وإشعال نار الفتن، ويؤدى بالناس والوطن إلى أوخم العواقب، ومن هنا كان النمام حاملا لمرض خطير، وإذا لم يحارب هذا الوباء الذى يحمله، ولم تستأصل شأفة ذلك الداء الذى ينشره، فإن نطاق الشر سيتسع، ولهب النار سيتطاير هنا وهناك، وستكون النتيجة سيئة للغاية، والعاقبة وخيمة كل الوخامة، ولا يعلم أحد إلا الله مدى ما يترتب على داء النميمة من مضاعفات خطيرة مدمرة، ولما كان النمام يعمل ضد الإسلام والوطن، وينفث سمومه بين الأفراد والجماعات، فقد حقت عليه كلمة العذاب، وطرد من رحمة الله، وحرم من نعيم الجنان، وفى هذا الشأن يقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -: «**لا يدخل الجنة نمام**» (البخارى).

أيها الإخوة: النمام شخص خال من الخلق الفاضل، وهو لا ضمير عنده ولا مروءة، وليس لديه كرامة ولا إنسانية، وهو نذير شر ونافث سموم، وحامل سوء ومصدر فتنة، لأنه يمشى بين الناس بالوشاية، ويسعى للإفساد بينهم، لأنه يعمل على الإضرار بهم، ويجتهد فى التفريق بين الأفراد والجماعات، ويجدّ فى قطع ما بين الناس من صلات، ويبذل ما فى وسعه لتمزيق ما بين الأصدقاء من روابط، وما بين الأقرباء من وشائج، وهو لا يهدأ له بال إلا إذا عكر الصفو، ولا يجد طعما للراحة إلا إذا قوض بنيان الألفة والمحبة، ومثل هذا الشخص من أبغض الخلق إلى الله، وهو من أشد شرار الناس خلقا، وأقبحهم طبعا، وأحقرهم مسلكا، وصدق رب العزة حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥) وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**ألا أخبركم بشراركم؟ قال: المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العيب**» (أحمد) وقال - ﷺ - «**ألا إن أبغضكم إلى المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون العثرات للناس**» (الطبرانى).

وقد روى أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - مر بقبرين فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما: فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستبرئ من بوله**»

ومن هذه النصوص المحمدية ندرك بشاعة جريمة النميمة، وسوء عاقبة النمامين، وإليكم أيها الإخوة ما يدل على المستقبل القاتم لأولئك الذين يمشون بالنميمة، ويعيثون فى الأرض فسادا، قيل: إن رجلا باع عبدا لآخر، وقال البائع للمشترى: ليس فى هذا العبد عيب إلا أنه نمام، فاستخف المشترى بهذا العيب واشترى العبد، وبعد أن مكث عنده أياما، قال العبد لزوجة السيد: إن زوجك لا يحبك، وهو يريد أن يتزوج عليك، أفتريدين أن يعطف عليك؟ قالت: نعم، قال لها: خذى مُوسى واحلقى شعرات من باطن لحيته إذا نام، ثم جاء إلى الزوج وقال له: إن امرأتك اتخذت لها خليلا وعشيقا عليك، وهى تريد أن تقتلك، أتريد أن يتبين لك ذلك؟ قال: نعم، قال: فتناوم أمامها، فتناوم الرجل أمام زوجته، وهنا جاءت امرأته بموسى لتحلق الشعرات، فظن الزوج أنها تريد قتله، فأخذ منها الموسى وقتلها، فجاء أقاربها وقتلوا الرجل ووقع القتال بين الفريقين، فريق الزوج والزوجة. تلك هى نتيجة النميمة، وما السبب فى كل ما حدث؟ وما الذى أدى إلى قتل الرجل وامرأته؟ ومن الذى أشعل نار الحرب بين الطرفين؟ إنه ذلك النمام اللعين، وإذاً فالنميمة بلاء وشر كبير، ووباء شديد الفتك، وداء عضال تجب مكافحته والقضاء عليه، وإنه من الواجب على كل مسلم ألا يصدق النمام فيما يقول، وألا يسلم لأول وهلة بما ينقل إليه من كلام، لأن ذلك يؤدى إلى تمزيق الصلات بين الناس، وسينبنى على ذلك انتشار العداوة والكراهية بين أبناء المجتمع، سواء كانوا أقارب أو أباعد، والدين الإسلامى يأمرنا بالتحرى والتثبت والتبين، وقد جاء القرآن الكريم بقول ربّ العزة جلّ شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

أيها الإخوة ما المنازعات التى تحدث بين الناس؟ وما المشاحنات التى نسمع عنها بين حين وآخر؟، وما الجنايات التى تتولد عن تلك المنازعات والمشاحنات، وتزهق بسببها الأرواح، وتقتل من جرائها نفوس بغير حق؟، ما هذا كله وغيره مما يدمى القلوب ويذيب النفوس أسى وحسرة؟، إلا أثر من آثار وباء النميمة، ولما كانت النميمة لها تلك الآثار الخطيرة، فقد وصف بها من كانت عندهم بالخسة

والنقص، والقرآن الكريم نعتهم بأسوأ النعوت، وصدق ربُّ العزَّة حيث وصف فيما وصف عدوا من أعداء رسول الله والإنسانية، فقد قال سبحانه:

﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (القلم: ١١: ١٢) وقال ـ جلّ شأنه ـ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة: ١) إنها لأوصاف قبيحة، ألصقها القرآن الكريم بالنمام، وإنه الويل والعذاب والغضب الإلهى، لأولئك الذين يعيثون الفساد فى الأرض، ويلحقون الشر بضحاياهم، والنمام ذو وجهين، وصاحب لونين ولسانين، ولهذا فهو ينم للإنسان عن غيره وينم عمّن نَمّ به إلى غيره كذلك، وذو الوجهين الذى بهذه الصورة القبيحة من الأشرار، وهو من المغضوب عليهم عند الله، وصدق الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حيث قال: «**تجد من شرار الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**» (البخارى).

إن الواجب على كل إنسان أن يحارب هذا المنكر، وألا يستمع لوشاية الواشين، وأن يغلظ القول للنَمَّامين، ويصدهم عن السير فى هذا الاتجاه الممقوت، ولقد كان الرسول يقول لأصحابه: «**لا يخبرنى أحد عن أحد شيئا، فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر**» (أبو داود الترمذى) وهو القائل: «**لا يدخل الجنة قتات [1]** » (البخارى).



(١) نمام

# (٣١)
# الحسد صفة ممقوتة

## ٣١ـ الحسد صفة ممقوتة

الحمد لله قسم الأرزاق والحظوظ، وجعل هذا غنيا وذاك فقيرا، وهذا صحيحا وذاك مريضا، وبنى ربنا كل شىء على الحكمة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر رسوله الكريم بالتعوذ من شرّ الحاسد إذا حسد، ونحن كذلك أمرنا ربنا بالتعوذ ممن ينظرون نظرات حاسدة، التى هى كالسهام القاتلة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، دعانا إلى الرضا والقناعة، وحثنا على تطهير القلوب وصفاء النفوس، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين رضوا فسعدوا وطهروا قلوبهم فربحوا، ونقوا نفوسهم ففازوا، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة، القلب فى الجسم أهم عضو فيه، وهو أخطر عضلة فى بدن الإنسان، ولهذا فهو بالنسبة لما سواه من الأعضاء الأخرى، كالراعى بالنسبة للرعية، فإذا كان هذا العضو وهو القلب، سليما من العلل، خاليا من الآفات، صحيحا غير مريض، مشرقا بنور الإيمان، مضيئا بتعاليم الإسلام، كان ذلك دليلا على كمال العقيدة الإيمانية التى فيه، وبالتالى تظهر آثار تلك العقيدة على الأعضاء الأخرى، فتتفاعل مع القلب وتتجاوب، وعندئذ لا يصدر عنها إلا ما هو خير، ولا يحدث منها إلا كل نافع مفيد، والإنسان الذى يكون قلبه وأعضاؤه بهذه الصورة الطيبة، يعيش هانئا فى دنياه، سعيدا فى مسيرة حياته، مرضيا عنه من ربه، وفى الآخرة يجزيه الله أحسن الجزاء ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٤ ـ ٥٥) أما إذا كان القلب بؤرة للعلل، ومنطقة للوباء، ومحلاللآفات، فإنه حينئذ يكون قاتم السواد، مظلما غير مشرق، محجوبا عن الأنوار الإلهية، بعيدا عن الإشراقات الربانية، وعندئذ تسرى العدوى إلى الأعضاء الأخرى، وتظهر آثار الانحراف القلبى على غيره من الجوارح، وإنه لمن أشد الأوبئة القلبية خطرا، وأكبر الأمراض المعنوية ضررا، ذلك المرض الخبيث اللعين، ألا وهو الحسد.

ومعنى الحسد أن يتمنى الإنسان زوال النعمة عن غيره، ويبغى حرمانه مما

هو فيه من خير، فإن كان غيره فى غنى وَدَّ له الفقر، وإن كان فى صحة وعافية تمنى له المرض، وإن كان فى مركز اجتماعى كبير أراد له أقل منه، وإن كان محبوبا من الناس فإنه يَوَدُّ له أن يكون مكروها لديهم، وهكذا يعيش الحاسد فى جو كراهية الخير للناس، ولهذا فقلبه يغلى دائما بنار الحسد، ونفسه تنطوى على الغيظ والبغض لمن حباهم الله بفضله، وهو من أجل ذلك يقضى حياته فى عناء، ولا يذوق طعم الراحة أبدا.

أيها الإخوة: الحسد داء قاتل، ووباء خطير، وهو عامل كبير من عوامل الفساد وارتكاب الجرائم، وأول معصية وقعت فى السماء كان سببها الحسد، وأول حادث من حوادث القتل فى الأرض كان مصدره هذا الداء، فهذا إبليس اللعين خالف أمر ربه، وعصى خالقه وامتنع عن السجود لآدم، وصدق رب العزة حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص: ٧٣ ـ ٧٦) وما عصيان إبليس لله، إلا لما لآدم من منزلة سامية عند ربه، وهذا هو قابيل بن آدم عليه السلام، حمله الحسد والحقد على قتل أخيه هابيل، وجرّه ذلك الداء الوبيل إلى سفك دم شقيقه، حتى يحول بينه وبين الزواج من ذات الحسن والجمال، ويفوت عليه فرصة الاقتران بها والعيش بجوارها، وها هم أولاء إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ، امتلأت قلوبهم حقدا على أخيهم، حينما رأوه يتمتع بمنزلة عالية ومكانة سامية لدى والدهم، ولهذا دبروا فيما بينهم إلقاءه فى الجُبِّ، ونفذوا جريمتهم البشعة، ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حفظه وأنقذه، وبوأه مكانا عاليا سجله القرآن الكريم، حيث تولى مقاليد وزارة الخزانة فى مصر، وأحوج الله إخوته إليه، فأحسن إليهم مع إساءتهم له، ولم ينتقم منهم بل عفا وصفح، وقال لهم: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢) وهذا أشرف الخلق محمد ـ ﷺ ـ، لاقى كثيرا من الشدائد، وكان الحسد من جانب اليهود والكفار من بين العوامل الشريرة التى واجهت الدعوة الإسلامية، فالحسد له دخل كبير فى كثير من الجرائم، وله أثر سيء على الحاسد والمجتمع..

أيها الإخوة: لقد جعل الله الحسد صفة ذميمة من صفات المنافقين، ودليلا على خستهم وحقارتهم، ومظهرا سيئا قبيحا من مظاهرهم، حيث قال ربُّ العزة: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: ١١٩، ١٢٠).

إن جميع الأديان نفرت من الحسد كل التنفير، والأحاديث النبوية جاءت منددة بالحسد وبمن اتصفوا به، وهذا حديث شريف يشبه لنا الحسد بالنار، ويقرر أن هذا الداء يأكل الحسنات، حيث قال ـ ﷺ ـ: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» (أبو داود) كما يبين الرسول الكريم فى حديث آخر، أن الحسد مفسد للإيمان، كما يفسد العسل إذا وضع عليه الصبر، وفى ذلك يقول ـ ﷺ ـ: «**الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل**» وقال ـ ﷺ ـ: «**لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا**» (البخارى ومسلم)

إن الحسد أيها الإخوة من أكبر المهلكات، ومن آثاره الخطيرة المؤلمة، الغيبة والنميمة والتباغض والقطيعة، والجفاء والكراهية، والحروب والجرائم، ولو أننا بحثنا عمّا يقع بين الناس من نزاع، وما يحدث بين العالم من خلاف، لوجدنا الحسد من أبرز الأسباب، ولرأيناه من أهم عوامل البلاء، وقد أمرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن نستعيذ به من شر الحساد، حيث قال ـ جلّ شأنه ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ١ ـ ٥)

أيها الإخوة: الحساد أعداء الله، أعداء الدين، أعداء الإنسانية، حلفاء إبليس اللعين، إنهم إخوان الشياطين، وهم منبوذون من الله، مكروهون من الناس، وحياتهم كلها قلق واضطراب، وهم لا يشعرون بلذة الحياة وبهجتها، لأن نار الحسد تتأجج فى قلوبهم، ومراجل الحقد تغلى فى نفوسهم، وخير لهم أن يعالجوا

هذا المرض، وأن يسرعوا بدواء قلوبهم، وذلك بأن يفهموا أن الحسد ضار بهم فى دينهم ودنياهم، وأنهم لن يستطيعوا بالحسد أن يغيروا شيئا من النظام الربانى، وأن يعرفوا جيدا أنهم معرضون فى الآخرة للعقاب الشديد من الله، وأنهم يفيدون المحسودين من حيث لا يشعرون، فهم ببحثهم عن عيوبهم يحملونهم على اجتنابها، وهم بعملهم ضدهم ينبهونهم إلى اكتساب المعالى.. إنهم إن أدركوا هذه المعانى، وأحاطوا بها علما وفهما، ورجعوا إلى عقولهم وراجعوا أنفسهم، فسيقلعون عن الحسد، ويطهرون قلوبهم من أدرانه، وينظفون نفوسهم من أدناسه، وبهذا لا يتعرضون لسخط الله ومذمة الناس، وينقذون أبدانهم من نار جهنم، وصدق رسول - ﷺ - حيث قال: «**لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا**» (البخارى ومسلم)

***

# (٣٢)
# جريمة الزنا

## ٣٢ - جريمة الزنا

الحمدلله وعد الطائعين بالثواب العظيم، وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، لتأدبهم مع ربهم، وطاعتهم لخالقهم، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، توعد العاصين بالعذاب الشديد والعقاب الأليم، لارتكابهم المعاصى التى حرمها، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الداعى إلى طاعة الله، والمنفر من الفجور والمعاصى، والمحذر من غضب الله وشديد عذابه، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين تأدبوا مع الله ولم يتعدوا حدوده، وأدوا واجبهم بصدق وإخلاص، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: نهى الله - تبارك وتعالى - عن الاقتراب من جريمة لها مضارها السيئة، ونتائجها الخطيرة فى الدنيا والآخرة، تلك هى جريمة الزنا والعياذ بالله منها، ولقد عبر ربنا - جلّ شأنه - عن الزنا بأنه فاحشة، وفى هذا التعبير ما يدل على قبح تلك الجريمة وشناعة هذه المعصية، وبشاعة هذا الذنب وفظاعة تلك الجريمة، ووخامة عاقبتها وسوء مآلها، وإذا كان رب العزة نهانا عن الاقتراب وحذرنا من دواعى هذا المنكر، فإن النهى عن الوقوع فيه أشد، والتحذير من ممارسته أولى، وذلك لما ينطوى عليه من شرّ وجرائم، ولما يؤدى إليه من أخطار لا يعلم مداها إلا الله، ولما يترتب عليه من شدة العذاب وسوء المصير، وما طريق الزنا إلا طريق وعرة المسالك، مليئة بالأشواك، مؤدية إلى كثير من الأضرار، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الأسراء: ٣٢) وهذا النهى الإلهى ليس عبثا، وتحريم الزنا لم يخل من حكمة، والله - سبحانه - لم يحذر عباده من ارتكاب هذه المعصية وغيرها، إلا ليجنبهم الآثار المهلكة، ويقيهم المضار الماحقة، وما أكثر ما فى الزنا من مضار، ولهذا كانت العقوبة للزانى المحصن الرجم حتى الموت، وعقوبة غير المحصن الجلد مائة جلدة، والنفى بعيدا عن مسقط رأسه عاما كاملا. وقسوة تلك العقوبة دليل واضح على جسامة هذه الجريمة الشنعاء، وفى عدم الرأفة من جانب الدين بالزانى والزانية، ما يبين

أنهما ليسا أهلا للرأفة، ولا محلا لتقدير أو احترام، وكيف يحترم من لا يحترم الإنسانية؟ وكيف يقدّر من يحارب الدين؟ وكيف يكرّم من يبارز بالمعاصى ربّ العالمين؟

أيها الإخوة: الزنا مصدر كل شرّ، وأصل كل بلاء، وهو يذهب الحياء من الوجه، وينتزع الإيمان من القلب، ويورث الفقر وسوء الخاتمة، وينشر فى المجتمع الأوبئة الفتاكة، ويقضى على الأخلاق والقيم، ويبدد الأموال ويقتل الذرية، ويهتك الأعراض، ويمزق ثوب الطهر والعفاف، وهو يؤدى إلى اختلاط الأنساب، ويزرع فى القلوب العداوة والبغضاء، ويتسبب فى كثير من جرائم القتل بين العائلات، ويفضى إلى انحلال المجتمعات، ويودى بها إلى الدمار والهلاك. والزنا مخل بالشرف، ملوث للسمعة، مضيع للكرامة، مذهب للمروءة، فلا شرف لزان ولا كرامة لهاتك عرض، ولا مروءة لدى كاشف العورات، ولا إيمان لسالب عفاف. وهذا هو أشرف الخلق محمد - ﷺ - يبين لنا فى حديث شريف ارتفاع الإيمان حين اقتراف الزنا، وفقدان الإنسان هذه الطاقة النورانية وقت ارتكاب هذا المنكر، حيث قال - ﷺ -: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» (البخارى ومسلم) وقال - ﷺ -: «**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان، كما يخلع الرجل قميصه من رأسه**» (الترمذى).

أيها الإخوة: الزنا جريمة من أشد الجرائم، وجناية من أعظم الجنايات، وهو أخطر من الجناية على الأموال، لأنه جناية على الشرف، والشرف أغلى شىء يعتز به الإنسان، وأنفس ثروة يقتنيها المرء.. والإنسان قد يفرط فى ماله، ولكنه لا يفرط فى صيانة عرضه، وقد يتهاون فى المحافظة على ثروته، ولكنه لا يتهاون فى المحافظة على شرفه، والموت هين فى سبيل الدفاع عن الكرامة والذود عن المحرمات، ولهذا نرى كثيرا من الناس، يعمدون إلى قتل الزانى حين ينكشف أمره، وتفوح رائحة جرمه، ويقتلون كذلك من زُنى بها، دفاعا عن الشرف، وانتقاما من ذئب الإنسانية، الذى لم يرع حقوق البشرية، ولم يحافظ على كرامة الغير، ولم يبالِ بمشاعر الناس، ومزق ثوب الحياء دون اكتراث، وأقدم على أمر محظور فى جميعِ الأديان، ونفذ جريمة يندى من بشاعتها جبين الإنسانية، وقام بعمل وحشى لا

يرضى به دين ولا يقبله ذو عقل سليم، وإنه لمن العجب العجاب أن يقدم إنسان على هذا الفعل الشنيع، فى حين أنه لا يرضى بالتعدى على عرض أمه أو أخته أو زوجته، وإذا كان لا يرضى بالتعدى على إحدى قريباته، فكيف يسمح لنفسه أن يتعدى على الغير؟ وكيف يقدم على شىء فيه إساءة للإنسانية؟ ألا فليتق الله أولئك الذين خلعوا برقع الحياء عن وجوههم، وليعلموا أنه لا بد من استيفاء الحق من أسرهم، وليفهموا جيداً أن من زنى زُنى به، وأن الزنا وبال عليهم فى الدنيا والآخرة، وأنهم بزناهم يجنون على أنفسهم، ويلحقون الأذى بأبنائهم وبناتهم، ويسيئون كل الإساءة إلى غيرهم، ويهدمون بتصرفهم الشيطانى بنيان وطنهم، ويغضبون بأعمالهم الإجرامية ربهم، ويسلمون أنفسهم إلى نهاية مؤلمة كل الألم، ومصير قاتم السواد .. فهل للزناة أن يراجعوا أنفسهم ويرجعوا إلى ربهم؟ ويتوبوا إلى الله توبة نصوحا ويقلعوا عن غيهم؟ ألا فليتوبوا إلى ربهم ويستغفروا خالقهم، ويندموا على ما اقترفوه من ذنوب، ويعزموا عزما قويا على عدم العودة إلى ذنوبهم، وباب التوبة مفتوح، وميدان العمل الصالح ميسور، وخالق السموات والأرض دعا إلى التوبة النصوح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم: ٨)

أيها الإخوة: لقد شاهد الرسول صورة سيئة للزناة ليلة الإسراء، حيث رأى بين أيديهم لحما طيبا ناضجا، ولحما آخر نتنا خبيثا، وقد أخذوا يأكلون الخبيث ويتركون الطيب، ولما سأل الرسول جبريل عن هؤلاء الناس، أخبره بأنهم الزناة، الذين يتركون ما أحلَّ الله لهم من النساء، ويذهبون إلى المحرمات عليهم ليرتكبوا معهن الفحشاء. وإنه لمنظر سيئ يدل على قلة العقل والدين، وإنها لصورة مزرية تلحق بهم الخزى والعار، وإذا كان الزناة يمارسون جريمتهم فى الخفاء، فالله عالم بهم وليس غافلا عنهم، وإذا كانوا قد افلتوا من العقاب الدنيوى فالعقاب ال الأخروى معد لهم، والله يمهل ولا يهمل، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم: ٤٥) وصدق الرسول ـ ﷺ ـ: «**إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» (متفق عليه).



# (٣٣)
# شهادة الزور من الكبائر

## ٣٣ـ شهادة الزور من الكبائر

الحمد لله يعلم السر والنجوى، ويحيط علمه بجميع الأشياء ما ظهر منها وما بطن، وهو ـ سبحانه ـ بكل شىء عليم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بقول الحق ولو كان مرًّا، ونهى عن قول الباطل ولو كان حلوا، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، أصدق الخلق وأشدهم تمسكا بالحق، وأحرصهم على أداء الشهادة بصدق كما أمر الله، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين قدسوا الحق وأقاموه، وقالوا الصدق واحترموه، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: مما نهى عنه الدين الإسلامى، بل ونهت عنه جميع الأديان السماوية، تلك الشهادة الكاذبة الضارة، ألا وهى شهادة الزور، ولقد قبح الله قول الزور ونفّر منه، وذكره فى القرآن الكريم بجوار الأمر باجتناب عبادة الأوثان، وذلك ليبين لنا أنه من أكبر الكبائر، وليدلنا على فظاعته وسوء التفوه به، ولينبهنا إلى أنه من أشنع الأقوال، وأنه ليس من خلق المؤمنين، الذين ينتسبون إلى دين سيد المرسلين، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠) فهذان الأمران من الله لعباده، باجتناب اتخاذ الأصنام آلهة، واجتناب قول الزور، وليس من خلق المؤمن الحقيقى أن يشهد زورا وليس من طبع المسلم الحق أن يقول كذبا، ولهذا كان من أوصاف المؤمنين الحقيقيين ألا يشهدوا زوراً أو ينطقوا كذبا، وصدق الحق ـ تبارك وتعالى ـ حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢) فشهادة الزور ليست من ذوى المروءة والشرف، وهى لا تتفق مع الدين ولا تتلاءم مع الخلق الفاضل، وما شهادة الزور إلا كذب وافتراء، وقد نهى الدين عن الكذب والافتراء، وفضلا عن أنها كذلك، ففيها إساءة للغير وظلم، فهى إذاً مركبة من ثلاث نقائص، الظلم، والكذب، والإساءة، ولهذا كانت لها آثار خطيرة، ونتائج ضارة كل الضرر بالأفراد والجماعات والأوطان، ولقد بين رسول الإسلام ـ ﷺ ـ أنها من أكبر الكبائر حيث قال لأصحابه فى حديث شريف: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول

الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**» (البخارى ومسلم).

أيها الإخوة: شاهد الزور ناقص الإيمان، خسيس النفس، فاقد المروءة، جبان القلب، ضعيف الشخصية، مسلوب الإرادة، عديم الإحساس، ضار بالناس، معين على الظلم، مضيّع للحقوق، ناشر للضلال، ولهذا كان عذابه عند الله شديدا، ويوم القيامة سيفضح على رءوس الأشهاد، وسيكون انتقام الله منه عظيما، لأنه بشهادته المبنية على الغش والكذب والغدر، أساء إلى جهات متعددة، فهو قد أساء كل الإساءة إلى نفسه وهو لا يدرى، وأساء إلى من شهد له وهو لا يشعر، كما أساء إلى من شهد ضده إساءة بالغة، وأساء كذلك إلى الدين الذى ينتسب إليه، وأساء إلى القاضى الذى ينظر فى قضية المتخاصمين، وأساء إلى الوطن الذى تقلّه أرضه وتظله سماؤه ويتمتع بخيراته.. نعم أساء إلى كل ذلك، ولهذا كانت جريمة شهادة الزور من أكبر الكبائر، ومن أفظع الآثام وأشد المنكرات، فقول الزور بهذا الحجم الكبير من الشر، وهو متعدد الأضرار، عظيم الأخطار، كثير المساوئ.

وقائل الزور مسىء إلى نفسه لأنه أهدر إنسانيته، وأذاب شخصيته، وباع ضميره، وخسر دينه، وعرض نفسه لغضب الله وعذابه، بسبب شهادته المزورة الملفقة، التى لجأ إليها مقابل قروش أو جنيهات أو غداء أو عشاء، أو قام بها تملقا أو خوفا من رئيس أو ذى جاه، أو إرضاءً لصديق أو قريب،

وهو مسىء إلى من شهد له، لأنه ساعده على سلب الحقوق، وعاونه على الإضرار بالغير، ومهد له طريق الظلم، وعرضه للمسئولية الكبرى بين يدى الله، فى يوم عصيب رهيب، يقتص الله فيه من الظالمين وينصف المظلومين.

وهو مسىء إلى من شهد عليه، حيث أضاع عليه حقه، وفوت عليه فرصة الحكم له بحقه، وتسبب فى أذاه والإضرار به، وهو فى أشد الحاجة إلى من يساعده.

وهو مسىء إلى الدين، لأنه لم يهتد بهديه، ولم يتبع تعاليمه، وتعاليم الدين تقضى بشهادة الحق، وإقامة العدل، ولو كان ذلك ضد الإنسان نفسه أو الأقربين

إليه، وصدق رَّب العزَّة حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥)

وشاهد الزور مسىء إلى القاضى فى محكمته، حيث موّه عليه وحجب الحقائق عنه، وأخفى المعالم وأضاع عليه الوقت، وتسبب فى صدور حكم ليس فيه إنصاف للمظلوم، ولولا تضليله وغشه لكان القاضى من المنصفين،

وهو مسىء إلى الأمة كلها، لأنه روج فيها الباطل، وأشاع الفساد ونشر الضلال، وأذاع الفوضى والكذب والتدليس، وشجع الأقوياء على الضعفاء، وناصر الشيطان وفتح باب الآثام، وإذا انتشرت المفاسد فى أمة، كان ذلك نكبة عليها، وتلويثا لسمعتها وحطًا من شرفها وكرامتها.

أيها الإخوة: كل تغيير فى الحقيقة كذب وزور، ومن كتم الشهادة فهو آثم مأزور، وقد نهى الله عن كتمان الشهادة، وبين أن ذلك إثم كبير، حيث قال - سبحانه -: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣) وإن من الواجب على المسلمين أن ينصروا الحق، ويقيموا العدل، وأن ينصفوا المظلومين من الظالمين، ويلتمسوا رضا الله لا رضا الناس، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -: **«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكلّه الله إلى الناس»** (الترمذى).

إن الواجب على المسلمين أن تكون لديهم الشجاعة الأدبية، وألا يتملقوا أحدا أو يخافوا أحدا، فالخوف لا يكون إلا من الله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦).

أيها الإخوة: ما أكثر ما لقول الزور من ضحايا، وما أكثر ما ضيعت شهادة الزور من حقوق، وتلك هى دور العدالة ترفع إليها القضايا، ويقوم القضاة فيها بواجبهم، ويبذلون جهدا كبيرا فى سبيل رد الحقوق إلى أصحابها، ومؤاخذة المجرمين على جرمهم، ويعكفون ليل نهار على دراسة القضايا وبحثها، حتى إذا حان الفصل فيها صدرت الأحكام العادلة، ولكن فى بعض الأحيان تكون الأحكام فى غير صالح المظلومين، ولا ذنب للقاضى فى ذلك، لأنه يحكم على ضوء الشهادة

التى تؤدى، واللوم والتبعة يرجعان إلى شاهد الزور، الذى يطمس معالم الحق، ويخفى وجه الحقيقة، ويحلف بالله قبل الشهادة أن يقول الحق، والله يعلم إنه لكاذب، وهو لم يأت إلى المحكمة للمساعدة فى وصول الحق لأصحابه، ولكنه جاء إليها ليشهد زورا ويتحدث كذبا، من أجل عرض زائل، وغرض دنىء حقير، وهكذا يبيع دينه بدنياه، ويساعد على نشر الجرائم، وليعلم المزورون الأخساء، أن الحكم سيستأنف أمام محكمة العدل الكبرى يوم القيامة، وسيطلبون للشهادة أمام الله، وسيلقون العذاب الشديد لافترائهم على خلق الله، وسينصف الله المظلومين، ويقتص من الظالمين ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧) وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»** (البخارى ومسلم).



# (٣٤)
# المخدرات شر وبلاء

## ٣٤ ـ المخدرات شرٌّ وبلاءٌ

الحمد لله أمرنا بما فيه الخير لنا دنيا وأخرى، ونهانا ـ جلّ شأنه ـ عما يضر بنا ويجلب الهلاك لنا، والحلال بيّن والحرام بيّن، وعلى المسلم أن يختار ما فيه نفع، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل الرسل ليكونوا هداة للناس، ويوجهوهم إلى ما فيه خيرهم وصلاح حالهم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، جاءنا بالهدى ودين الحق، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين قدسوا الحق وأقاموه، وقالوا الصدق واحترموه، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: نعم الله علينا كثيرة، وفضله عظيم، ومن أجلّ النعم الربانية، نعمة العقل، إذ بالعقل نتعلم ونعلّم، ونصنع ونزرع، ونؤدى واجبنا نحو خالقنا ونحو أنفسنا وأقربائنا وجيراننا ووطننا، فالعقل إذاً فى قمة نعم الله بعد نعمة الإيمان، وهو هبة كبرى لها قيمتها ووزنها فى الحياة، وبغير العقل لا نستطيع أداء شىء مما هو منوط بنا، ولا نقدر على صنع الحضارة، ولا يتسنى لنا أن ننهض فى أى ميدان، وما دام الأمر كذلك، فإن من أوجب الواجبات علينا أن نحافظ كل المحافظة على تلك النعمة الكبرى التى أكرمنا الله بها وهى نعمة العقل، وأن نشكر الله ـ تبارك وتعالى ـ عليها ليزيدنا من فضله، والشكر ينمى النعم ويزيدها، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧) أما الجحود والنكران وعدم الشكر، فإن ذلك يؤدى إلى زوالها والغضب من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧). إن الإنسان الذى سلب منه عقله، يعيش فى أسوأ حال، وهو لا يستطيع أداء أى عمل، سواء كان لله أو لنفسه أو لغيره، ولا يقدر على جلب نفع ولا دفع ضر، وهو يتخبط فى حياته كل التخبط، لأنه فقد النعمة الكبرى وهى العقل، ولهذا كان من المحتم علينا الحفاظ على عقولنا، وإبعاد الضرر عنها، ولكن للأسف الشديد، هناك من الناس من يفسدون عقولهم، ويعرضونها للأخطار، ويتسببون فى إلحاق الضرر بها، وذلك بتعاطيهم المخدرات، وإدمانهم المسكرات، وحياتهم فى ظلّ تلك السموم القاتلة، التى تهلك

الحرث والنسل، وتتلف العقول وتدمرها، وتزعزع العقيدة الإيمانية فى القلوب، وتذهب الحياء من الوجوه، وتبعد الإنسان عن رحمة الله، وتجعله محلاً للعنته وغضبه، وقد وصف ربنا الخمر التى هى لون من ألوان المخدرات وأصلها، وصفها بأنها رجس من عمل الشيطان، وذلك فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠) وفى آية أخرى يبين لنا ربنا بأن الخمر تفسح الطريق أمام الشيطان، ليعبث كل العبث بالعقل الإنسانى، ويزرع فى القلوب الشر، ويبث فى النفوس وساوسه ونزغاته، ويصد الإنسان عن ذكر الله، ويمنعه من العيش فى رحاب الدين، ويوقع العداوة والبغضاء بين المتعاطين وغيرهم من خلق الله، وذلك فى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١).

تلك هى بعض الآثار بالنسبة للخمر وغيرها من المخدرات الأخرى وهى كثيرة، وقد انتشرت فى العصر الحاضر بصورة رهيبة وشكل مخيف، وضررها ليس مقصورا على إتلاف العقول فحسب، وإنما يمتد ضررها إلى ما هو أبعد من ذلك، فهى تضرُّ الأجسام والأموال والأسرة والمجتمع، تضرّ الأجسام لما تحدثه من أمراض خطيرة فيها، وقد أثبت الطِّبُّ بما لا يدع مجالا للشك صدق ذلك، وهى تضر الأموال لأنها تنفق فى سبيل الشرّ، وبطريقة لا يرتضيها الله ـ تعالى ـ، وبصورة فيها إسراف وتبذير، والله وصف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين، وذلك فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٧)

ونتيجة للتبذير فى ميدان الشر تتبدد الثروة، ويصير الغنى فقيراً يتكفف الناس، ويصبح صفر اليدين لا مال لديه. وهى ضارة بالأسرة لأن المتعاطى لهذه السموم لا يهمه إلا مزاجه، وهو لا يُفكر فى شىء سوى تناول المخدر مهما غلا ثمنه، أما الأسرة فلا يفكر فى صالحها، ولا يكترث بمسئوليته تجاهها، وهى ضارة بالمجتمع كل الضرر، لأن الابتلاء بتلك المخدرات يفضى إلى التهاون فى الدفاع عنه إذا ألم به خطر من الأعداء، ويؤدى إلى عدم المبالاة بمصالحه، وإذاً فالضرر كبير، والشرّ جسيم، والعاقبة سيئة كل السوء.

أيها الإخوة: المخدرات أم الخبائث، وهى تقود الإنسان إلى ارتكاب الجرائم، وتجرده من إنسانيته، وتفقده وعيه، وتشلّ تفكيره، وتنقله من آدميته التى كرمها الله إلى الحيوانية والبهيمية، والمخدرات وعلى رأسها الخمر، تفتح الباب واسعا أمام شاربها لارتكاب جرائم خطيرة، ومما يدل على ذلك أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل خير رجلا بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسه أو يزنى أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه، فاختار الرجل الخمر، ولما شرب الخمر قتل وزنى وأكل لحم الخنزير، وإذاً فالمخدرات سبب البلاء، وهى تأخذ بيد الإنسان إلى ارتكاب الجرائم، ومستنقع الرذائل، وتدفعه إلى اقتراف كل ما نهى عنه الله، والخمر وجميع المخدرات الأخرى التى كثرت فى هذا العصر، وتعددت أسماؤها، وكثر تجارها، كل هذا ملعون ومغضوب عليه من الله، وصدق الرسول - ﷺ - حيث قال: «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**» (أبو داود) فاللعنة على هؤلاء جميعا، ومن الذى لعن؟ إنّه الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

إن الذين يحتسون كئوس الخمر، أو يتناولون أى مخدر مما استحدث فى هذا العصر، وإن الذين يتاجرون فى هذه السموم، نسوا الله فأنساهم أنفسهم وأولئك هم الفاسقون، إنهم لم يخشوا ربهم ولم يحافظوا على كرامتهم، وإنهم يعيشون فى أحضان الشياطين، وهم من حزبه، وحزب الشيطان محكوم عليه بالخسران، ومن الذى حكم بذلك؟ إنه الربُّ الذى سيحاسب هؤلاء الحساب العسير، وسيعاقبهم على أعمالهم التى مارسوها فى دنياهم، دون وازع من دين أو ضمير، إنهم الأخسرون أعمالا. وهم المنحرفون سلوكا، وقد استحوذ عليهم الشيطان فأضلهم، وحجب عنهم الرؤية الصحيحة، وزين لهم القبائح، فارتموا فى أحضان الشهوات والسيئات، وخسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وصدق ربّ العزّة حيث قال: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩).

أيها الإخوة: إن الدين قرر عقوبة توقع على شارب الخمر والمخدرات بوجه عام، وهذه العقوبة تتمثل فى جلده ثمانين جلدة، لكى يغير سلوكه، ويقلع عن تناول

المخدرات، ويتوب إلى ربه، ويعيش فى دنياه نظيف السيرة، بعيدا عن كل ما يشوه إنسانيته، نائيا عن كل ما يدنس شخصيته، خائفا من ربه، متمثلا أوامره، مجتنبا نواهيه. ثم إن هذه العقوبة فيها ردع للغير، وزجر لكل من تسول له نفسه اقتراف ذلك الإثم وتلك الخطيئة.

إن المخدرات وباء يقضى على المجتمعات، وما تفشى فى مجتمع إلا كان مصيره الدمار، وقد قيل ما يدل على أن المخدوات وعلى رأسها الخمر، تسلم الإنسان إلى الهاوية، ويرتكب بسببها أفظع الجرائم، حيث إن رجلا ممن كانوا قبل هذه الأمة المحمدية، أرسلت إليه امرأة خادمها ليؤدى شهادة لديها، وذهب الرجل إلى المنزل وكلما دخل من باب أغلق خلفه، وأخيراً وجد نفسه أمام فائقة الجمال، رائعة الحسن، ولديها خادم وإناء من خمر، وعندئذ قالت له: نحن لم نَدْعُك للشهادة وإنما دعوناك لأمر آخر، وهو أن تقتل هذا الخادم، أو تقع عَلَىّ، أو تشرب كأسا من الخمر، فإن أبيت فضحتك أمام الناس، فلما رأى الجدية فيما قالت، قال لها: اسقنى كأسا من الخمر، وبعد أن شربه قال لها: زيدينى وأخذت تعطيه ثم وقع عليها وبعد ذلك قتل الخادم، وما السبب فى الزنا والقتل؟ إنها الخمر التى هى أم الخبائث ومفتاح الشرّ، وأداة الإجرام.

وإن متعاطى الخمر لا يعيش فى ظل الإيمان، ولا فى ظلّ رحمة الله، لأنه لم يمتثل أمر الله باجتنابها، ولم يطع خالقه، ولهذا نزع من قلبه الإيمان، وصار هذا القلب بلا اطمئنان، خاليا من الأنوار، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن**» (البخارى ومسلم)

ثم إن ما أسكر كثيره من الخمر أو غيرها فالقليل منه حرام، وفى هذا الشأن قال الرسول -  -: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**» (أحمد)، وقال أيضا: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**» (البخارى ومسلم).

* * *

(٣٥)

# أضرار التدخين

## ٣٥ - أضرار التدخين

الحمد لله يعلم ما فيه صلاح حالنا وما يضر بنا، ولهذا أمرنا بكل نافع ونهانا عن كل ضار، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، منح عباده العقول ليميزوا بها بين النافع والضار، ويعرفوا عن طريقها ما فيه الخير ليتبعوه، وما فيه الشر كى يجتنبوه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، جاءنا بكتاب سماوى، وقرآن عربى، فيه شفاء لما فى الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين كانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: لقد ابتلينا بمرض خطير فى هذا الزمن، وقد استفحل هذا المرض بصورة خطيرة كل الخطر، وأصاب الكبير والصغير على حدٍّ سواء، وإنه لمن الواجب استئصال شأفة هذا المرض قبل أن يقضى على معظم الشعب، ويهدم بنيان المجتمع، ويزلزل الأرض من تحته، وما هو هذا المرض أيها الإخوة؟ وما ذلك الخطر الذى يهدد حياتنا؟ إنه التدخين الذى شاع وذاع، إنه هذا الوباء الخطير الذى تمكن من الكبير والصغير والذكر والأنثى، وإنها تلك العادة الضارة السيئة، وإنها الشراهة فى تعاطى الدخان فى هذا العصر، ومع أن الشركات التى تبيع هذا السُّمَّ الزعاف تكتب على العلب هذه الجملة «التدخين ضار جدًّا بالصحة» مع هذا فإن التدخين يزداد ويكثر، والناس يستهينون بهذه العبارة التى كتبت على العلبة، ولا يقيمون لها وزنا، ولا يتخلصون من تلك العادة السيئة، بل إنهم ازدادوا شراهة فى التدخين، وأسرفوا كل الإسراف فى شرائه وتعاطيه، واهتموا به أكثر من الاهتمام بالغذاء والكساء، وقد استولى هذا الداء على تفكيرهم واهتمامهم أكثر من أى شىء آخر، وأخذوا يستدينون من الناس من أجل إشباع رغبتهم لا من أجل النفقة على أسرهم، إنهم بهذا التصرف صاروا أسرى لتلك العادة الضارة، وهم لم يفكروا فيما ستتركه تلك العادة من أمراض ومضاعفات، إن تعاطى الدخان بهذه الطريقة الخطيرة، سيؤدى حتما إلى أوخم العواقب، وسيجر المدخنين إلى نهاية مؤلمة ومصير سىء، إذ إن الدخان يضر بالجسم الضرر البالغ، ويحدث لدى هؤلاء

الناس مجموعة من الأمراض البالغة الخطورة، والمرض الواحد منها قادر على القضاء على حياة المدخن، وقد أثبت الطبُّ صحة ذلك، ودلت الأبحاث التى أجريت فى هذا المجال على أن التبغ سُمٌّ قاتل، وأنه شرّ وبلاء وضار كل الضرر بالأجسام، كما دلت الأبحاث على أن أمراض القلب والرئتين وغير ذلك من الأمراض تنشأ عن هذا الوباء والإسراف فيه، ثم إن تناول الدخان يجعل فم المدخن ذا رائحة كريهة، تنفر الناس ويتقززون منها، ولينظر الإنسان إلى أسنان المدخنين، وسيجدها صفراء أو سوداء دميمة، وبالتالى فهذه الأسنان تصاب بالأمراض التى تفتك بها.

أيها الإخوة: إن ديننا الإسلامى - وهو ذلك الذى ينادى بصحة الأبدان كما ينادى بصحة الأديان - يأمرنا بالمحافظة على سلامة أجسامنا من أدران المرض، ويحثنا على عمل كل ما من شأنه أن يحفظ على الجسم صحته وجماله وبهاءه، وينهانا عن السير فى طريق الشرّ والضرر، ويحذرنا من أن نلقى بأنفسنا إلى الهاوية والتهلكة، أو أن نلحق الأذى بنا أو بغيرنا، ومن أجل ذلك قال ربُّ العزَّة - جلّ شأنه - فى كتابه الكريم: **﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** (البقرة: ١٩٥) وقال الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -: **«لا ضرر ولا ضرار»** (أحمد وابن ماجة) أى لا يضر الإنسان نفسه ولا يضر غيره، ولا يلحق الأذى به ولا بمن سواه، ومن هنا كان من الواجب على الإنسان أن يبتعد عن الضرر أيًا كان مصدر ذلك الضرر، وأن يتجنب ما يؤذى بكل الوسائل المتاحة، ولكن للأسف الشديد يسعى بعض الناس إلى الضرر دون تعقل وبلا تدبر، ونرى بعض الناس يتناولون التبغ بكثرة وشراهة تدل على عدم التفكير فيما سيترتب على ذلك من نتائج خطيرة تدمر الجسم، وتقضى عليه القضاء الشنيع، إنهم يدخنون بنهم بالغ، وبلا تبصر ودون نظر إلى ما سيترتب على هذا التصرف، فهم يدخنون فى اليوم خمسين لفافة من التبغ أو أكثر من ذلك، ويشترون من هذا الوباء يوميا بثلاثة جنيهات أو أقل أو أكثر، وبهذا يكون متوسط ما ينفقونه شهريا من هذا السُّمّ تسعين جنيها، ويصل المبلغ على هذا الأساس فى العام ألفا وثمانين جنيها، وخلال خمسة أعوام يقفز المبلغ إلى خمسة آلاف وأربعمائة جنيه، وخلال عشرة أعوام يصل المبلغ إلى عشرة آلاف

وثمانمائة جنيه، وفى خمسة وعشرين عاما يصل المبلغ إلى سبعة وعشرين ألف جنيه، أما فى ثلاثين عاما فإن المبلغ الذى يضيع فى تناول الدخان يصل إلى اثنين وثلاثين ألفا وأربعمائة جنيه، وخلال أربعين عاما يقفز المبلغ المهدر فى هذا الميدان إلى ثلاثة وأربعين ألفا ومائتى جنيه، وفى خمسة وأربعين عاما يكون ما أنفق ثمانية وأربعين ألفا وستمائة جنيه، وفى خمسين عاما يقفز المبلغ إلى أربعة وخمسين ألفا من الجنيهات.

أيها الإخوة: هذه الإحصائية بالنسبة للفرد الواحد، وهى كذلك بالنسبة للأعوام التى يدخن فيها وهى خمسون عاما، ولو أننا أردنا عمل إحصائية لكل ما ينفق فى هذه الناحية من جانب جميع المدخنين، لوجدنا ملايين الجنيهات تضيع بلا فائدة، ولرأينا ثروة كبيرة مهدرة، ولعرفنا أن ما يصرف فيما يضرُّ ولا يجدى نفعا كثير كثير، ولو أن هذه المبالغ الضخمة التى ترصد لحساب الدخان، تتحول إلى مشاريع التنمية، وإنشاء المرافق التى يحتاج إليها المجتمع، لكان فى ذلك الخير كل الخير، ولعاد على البشرية بالنفع الكبير والفوائد الجمّة، ولاختفى كثير من الأمراض التى يسببها الدخان، وإنه لمن العجب العجاب أن يربط المدخنون التقدم بالتدخين، ويدّعون أن من لا يدخن يعتبر متأخراً، وهذا ادعاء باطل وزيف وكذب، وهو قول مردود عليهم وكلام سخيف، إذ إن التقدم الحقيقى فى اتباع روح الدين، وتطبيق ما جاء به الإسلام من توجيه، والبعد عن طريق الشرّ والفساد، والسعى الجاد الحثيث من أجل رفعة الوطن.

أيها الإخوة: إذا لم يستطع المدخنون الإقلاع كليّا عن التدخين فليقللوا منه، وإذا لم تتوفر لديهم العزيمة القوية بعد فليفكروا جديا فى أخطاره، وباقتناعهم بما يترتب عليه من أضرار سيجدون أنفسهم راغبة فى التخلص منه، ومتى وجد الاقتناع والرغبة أدى ذلك إلى تحطيم قيود عادة التدخين، ثم ليعلم المدخنون أن تلك العادة الضارة تنتقل من الكبار إلى الصغار بالجملة، وأن الإسراف بصورة عامة مرفوض من جانب الدين، حتى ولو كان هذا الإسراف فى العبادة أو المآكل أو الملبس، وإذا كان الدين قد رفض الإسراف فى العبادة على حساب الجسم، فمن باب أولى يكون الإسراف مرفوضا وممقوتا بالنسبة لما يضرّ، وأن يكون التبذير

قبيحا وسيئا وحراما فى ميدان التدخين وغيرِه من الميادين الأخرى، ولا شك أن مجرد تعاطى الدخان حتى ولو لم يصل إلى حد الإسراف فهو ضار، وفضلا عن ذلك ففى تعاطيه تبديد للثروة، ونشر لعادة قبيحة، وعدوى تنتقل من الآباء إلى الأبناء، ولن يستطيع الآباء بعدئذٍ إبعاد أولادهم عن هذا التصرف، ولن يقدروا على تجنيبهم تلك العادة، لأنها احتلت أجسامهم، وامتزجت بدمائهم، وجرت فى عروقهم، وتمكنت كل التمكن منهم، ثم إن النتيجة من وراء تلك العادة القبيحة، أجسام عليلة، وتبذير ممقوت، ومجتمع ضعيف، وعندئذٍ تكون الطامة الكبرى.
وليعلم المدخنون أنهم حين يدخنون بجوار غيرهم، فإن هؤلاء الجيران يشاركونهم فى تناول هذا الداء، وإذاً فهم يصابون بأمراض التدخين حتى ولو لم يدخنوا، وإذا كان الأمر كذلك، فالمجتمع كله يصير مدخنا، ويكون عرضة للعلل، ولعل المدخنين يفكرون فى تلك الأموال التى تضيع منهم وتأتى بالضرر، ولعلهم يقلعون عن تلك العادة، وللتخلص منها فما عليهم إلا أن يعزموا عزما قويا، ولتكن لديهم إرادة وتغيير لهذا الواقع المرّ، وصدق الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حيث قال: «**لا ضرر ولا ضرار**» (أحمد وابن ماجة).



# (٣٦)
# جريمة القتل

## ٣٦- جريمة القتل

الحمد لله نهى عن القتل بغير حقٍّ نهيا شديدا، وحذّر - سبحانه - من ارتكاب هذه الجريمة تحذيراً عظيماً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، حرم سفك دماء الأبرياء، وأمر بمعاقبة مريقى الدماء، ودعا إلى القضاء على مزهقى الأرواح، الذين خلت قلوبهم من الرحمة، وأقفرت قلوبهم من العاطفة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، جاء بشريعة تعالج الأمراض الاجتماعية، وتداوى العلل الإنسانية، وتحمى الأرواح والأعراض والأموال، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين ترسموا خطاك، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: القتل بغير حق جريمة من أفظع الجرائم، ومنكر من أشد المنكرات، وموبقة من أشد الموبقات، وإرهاق الأرواح بلا سبب شرعى عمل وحشى، وفعل سىء شيطانى، وهو إن دلّ على شىء، فإنما يدلُّ على خلو القلب من الرحمة، وامتلائه بالقسوة، وعدم وجود مكان فيه للمروءة والعاطفة، والقاتل رجل تجرد من خلال البرّ، بل تجرد من صفات الإنسانية، وانحط إلى درجة الحيوانية الوحشية، وعرض حياته وحياة المجتمع للدمار والفناء. ولقد نفرت الأديان كلها من جريمة القتل، وقبحت هذا العمل الإجرامى كل التقبيح، وحذرت منه كل التحذير، ولما كان القتل سببا من أسباب القضاء على بنى الإنسان، ومعولاً من معاول الهدم والتهلكة، فقد شرع الله القصاص العادل من القتلة الآثمين، وأمر بعقابهم دون شفقة أو رحمة، انتقاما منهم وردعا لأمثالهم، وزجرا وتخويفا لمن تسول لهم نفوسهم أن يكونوا على شاكلتهم، وحفظا لحياة الإنسانية، وحماية للمجتمعات البشرية، وصيانة للأمن والنظام، ومحافظة على الهدوء والاستقرار، وتوفيرا للأمان والطمأنينة، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩) فما أعظمه من تشريع إلهى حكيم، وما أبدع هذا القانون الربانى العظيم، الذى يقضى بقتل القاتل، ويأمر بإراقة دمه كما أراق دم غيره، ولأنه أفسد فى الأرض، ويتم الأطفال، ورمل

النسـاء، وقطع الروابط، ومـزق الصـلات، وزرع فـى القلوب العـداوة والبـغـضـاء، واعتدى على نفوس بريئة، وانتهك حرمة القانون والنظام، وبهذا ندرك بشاعة هذه الجريمة النكراء، ونفهم المعنى الاجتماعى الدقيق، الذى يشير إليه القرآن الكريم حين يقول: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) وإنه لم العـجب العـجـاب، أن تمتـد يد الآثمـين إلى إخـوة لهم فى الإنسـانيـة بلا ذنوب ارتكبـوهـا، وأن يصـوبوا إليـهم سـهـام غـدرهـم بلا جـرائم اقـترفـوها، ولو بحـثنا عن الدوافع الحقـيـقـيـة إلى ارتكاب هـذا المنكر، والبـواعث الأصليـة التى تدفـع الإنسـان إلى القـتل، لوجـدناهـا دوافع شـيطانيـة، ولألفـيناهـا بواعث حقيرة، فهى إما أن تكون رغبة فى الحصول على المال، أو الأخذ بالثأر، أو إطفاءا لنار الحسد المشتعلة فى قلب القاتل، وإما لنزاع على شىء تافه حقير، وإما لانسـيـاق النفس فى تيار الغـضب، وهـذه كلهـا أسـبـاب غـيـر مـشـروعـة، ودوافـع لا يقـرهـا الدين ولا يرضـى بهـا الإسـلام، ولقـد توعـد الله - تبـارك وتعـالى - القـاتل بالخلود فى نار جـهنم، والغـضب الشـديد فـى الآخـرة، واللعنة والعـذاب العظيم، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣)

إنه الجزاء الإلهى العادل، والعقاب الربانى المتعدد الألوان، والذى يتمثل فى دخول نار جهنم ليعذب فيها دائما، وهو عذاب شديد يناسب حجم ما ارتكب من خطيـئة، وبالإضـافـة إلى هذا فـالله - تبارك وتعـالى - غـضب على القـاتل غـضبـا عظيما ولعنه أشد اللعنات.

أيهـا الإخوة: إن أول جـريمة قـتل وجدت على ظهـر الأرض، هـى قـتل قـابيل أخـاه هـابيل، ولقـد اهـتـز الكون لهـذا الجرم الشنيع وذلك الفـعل الذميم، والقـرآن الكريم سجل وقـائع هذه القصة وفصلها، وصور اللين والتسامح من جانب القتيل، والقسوة والوحشيـة من جانب القاتل، ولماذا قتل قابيل أخاه هابيل؟ وما البـاعث له على إهدار دم شـقـيـقـه وإزهاق روحه؟ إن السـبب فى ارتكاب هـذا الجـرم البـشع، يرجع إلى الطمع والأنانيـة وحبِّ الذات، وتفـاصيل تلك الواقـعـة المؤلمة تتمثل فى أن هـابيل كـان من نصيبه أن يتـزوج أخته الجميلة، وكان هذا مشروعـا بالنسبـة لأولاد

آدم - عليه السلام - وعندئذ امتلأ قلب قابيل حقدا وحسدا، وفكر فى قتل أخيه وحرمانه من التزوج بهذه البنت الجميلة، ليخلو له الجو ويتزوج بصاحبة الحسن والجمال، وفطن آدم إلى ما يفكر فيه قابيل، ولما كان الأمر كذلك أشار آدم عليه السلام على ابنيه أن يقدما قربانا، ومن يقبل قربانه من قبل الله - تعالى - يكون له الحق فى الاقتران بهذه البنت الحسناء، وعندئذٍ قدم كل من الأخوين القربان، فكانت النتيجة قبول قربان هابيل دون أخيه قابيل، وهنا ملأ الغيظ قلبه، وصمم على قتل أخيه، ودارت محاورة بين الأخوين، وتجلت فى هذه المحاورة الشخصية الإيمانية والعقل الرشيد لهابيل، أما قابيل فقد ظهر فى أسوأ صورة، فلا إيمان ولا عقل، ولا عاطفة ولا مروءة، وامتدت يده إلى أخيه بالقتل دون رحمة، وأزهق روحه بلا شفقة، وزين له الشيطان القيام بهذا الجرم، وماذا حدث بعد ارتكاب تلك الجريمة؟ إن قابيل تحير بعد ارتكاب جريمته، وأخذ يفكر كيف يتصرف فى الجثة؟، ولم يصل إلى نتيجة بعد هذا التفكير، وهنا أرسل الله غرابا قام بالدور الذى قام به قابيل، وبعد القتل أخذ يحفر الأرض بمنقاره، ثم وضع الغراب القتيل فى الحفرة وواراه التراب، فتعلم قابيل من هذا الغراب، وحفر حفرة ثم وضع أخاه فيها ثم أهال عليه التراب.

إنه لدرس كبير، ومن الذى قام به؟ إنه الغراب، ذلك الطائر الذى لا عقل له، إنه علم ذلك الإنسان. وكان الدرس رائعا. حيث علم الغراب الضعيف ذلك الآدمى المتوحش، وكان هذا الطائر الصغير أستاذاً لذلك الإنسان الذى انسلخ من إنسانيته.. هذا أول حادث قتل وقع فى الأرض، وتلك أول جريمة لوثت أديمها، كما أن أول جرائم القتل فى عهد الإسلام، قتل الخليفة العادل، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذى امتدت إليه يد مجوسى ملعون، وهو أبو لؤلؤة غلام المغيرة، الذى طعنه طعنة كان فيها القضاء على بطل الإسلام، الشجاع القوى الذى أعزّ الله به الدين، وإنها لَيَدٌ خبيثة تلك التى قتلت هذا الرجل العظيم، ولقد سأل عمر رضي الله عنه من حوله بعد ما طعن عَمَّن غدر به وطعنه، فقيل له: إنه أبو لؤلؤة، فقال: الحمد لله الذى عصم أمة محمد أن يشترك أحد منها فى قتل عمر، ثم أسلم - رضي الله عنه - روحه الطاهرة، وانتقل إلى جوار ربه، وقد ترك فى نفوس المسلمين لوعة وأسى،

وبفقده فقد الإسلام رجلا عظيما، سجل له التاريخ مواقف مشهورة، ورويت الكتب عنه مآثر خالدة.

أيها الإخوة: القاتل ملعون منبوذ مطرود، ملعون من الله - سبحانه وتعالى -، وملعون من الملائكة فى السماء، وملعون من الإنسانية فى الأرض، وهو مطرود من رحمة الله، لأنه فقد الرحمة التى أمر الله بها، وهو منبوذ من المجتمع لأنه شرّ عليه ووباء، وهو شيطان فى صورة إنسان، ووحش كاسر فى شكل آدمى، وهو جرثومة ضارة وميكروب خطير، ولهذا كان حكم الدين قاسيا عليه، وكان رأى الإسلام فيه، أن يقتل ليستريح الناس منه، وأن يقضى عليه حتى لا يعيث فى الأرض فسادا، وهكذا وضع الله لكل داء دواءا، وسن لكل جريمة قانونا، وجعل لكل ذنب عقابا، ولم يترك الله الناس فوضى، بل أرسل إليهم رسله وأنبياءه، بكتب سماوية فيها ما هو حلال وما هو حرام، وأرشدهم إلى تنفيذ ما أمر به كى يسعدوا، ونهاهم عن ارتكاب المحرمات حتى لا يضلوا، وبين أن الخارجين على أوامره منحرفون، وأن مرتكبى المحظورات ظالمون مفسدون، ولكى لا يكون فسادهم منتشرا، وظلمهم واسع النطاق، جعل لهم فى الدنيا عقابا مناسبا لما يقترفون من منكر، وأمر بالانتقام منهم حسبما هو فى الدين مقرر، لتعيش الإنسانية فى سعادة وهناء، وتحيا آمنة مطمئنة بعيدة عن المكدرات، ولو أن الناس وقفوا عند حدود الدين، ولم يرتكبوا ما نهى عنه ربّ العالمين، لأراحوا واستراحوا، وأحسوا ببهجة الحياة وشعروا بلذتها، وأرضوا ربهم وفازوا بالخير دنيا وآخرة، وهم لن يحققوا ذلك إلا إذا حكموا عقولهم، وحاربوا شياطينهم، وعملوا بما جاء به الرسول الكريم، أنه لمما يدمى القلوب ويذيب النفوس، أن تنتشر فى هذا العصر ظاهرة البلطجة، وترويع الناس بما يقوم به المنحرفون من قتل وتمثيل بالضحايا، وبما يمليه عليهم إبليس من اغتصاب الفتيات وهتك أعراضهن، ولقد اتسع نطاق هذا السلوك الشيطانى، مما ينذر بالشرّ الذى يقضى على المجتمع، ويهدد الأمن والسلام، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم**» (النسائى والبيهقى)



# (٣٧)
# الجهاد فى الإسلام

## ٣٧ ـ الجهاد فى الإسلام

الحمدلله شرع الجهاد للحفاظ على عقيدتنا وأوطاننا، وأمر به أمرا مؤكدا لنعيش أعزاء فى دنيانا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الجهاد وسيلة لأعظم غاية، وهى تحقيق الحرية التى هى أغلى شىء فى هذه الحياة، فلا قيمة لحياة فى ظل احتلال الأعداء، ولا سعادة فى وجود الاستعمار، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، دافع ومعه أصحابه عن العقيدة الإيمانية، وقاوم الكفار وأبلى بلاء حسنا ضدهم، فكان انتصار الحق على الباطل، صلوات الله عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين ضحوا بأرواحهم دفاعا عن عقيدتهم، وجاهدوا فى الله حق الجهاد، ففازوا بسعادة الدارين، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: شرع الدين الإسلامى الجهاد وأوجب على المسلمين قتال أعدائهم، الذين يناصبونهم العداء، ويعتدون على مقدساتهم، ويغيرون على أوطانهم، وينهبون ثرواتهم، ويلحقون الضرر ببلادهم، ويقومون بأعمال إجرامية ضد حريتهم، ويعملون على إذلالهم بشتى الوسائل، ومن هنا فرض الله الجهاد لدفع العدوان، ودرء الأخطار، والمحافظة على العقيدة والعرض والمال والحرية والعزة، فالجهاد إذاً ليس اعتداء على الغير، وإنما هو دفاع مشروع، وبه يعقد المجاهدون مع ربهم أعظم صفقة فى حياتهم، وقد بارك القرآن الكريم هذه الصفقة وقرر الربح الكبير من ورائها، والخير العظيم الناشىء عنها، وذلك فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١) وفى قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١).

إنها لصفقة رابحة كل الربح، ومن الرابح؟ إنهم أولئك الذين جاهدوا وقدموا أعز شيء لديهم وهى الأرواح، تلك التى وضعوها على أكفهم برضا نفس وعدم امتعاض، واستجابوا بصدق وإخلاص للقيام بالجهاد فى سبيل الله، إن الله اشترى من المؤمنين أرواحهم وأموالهم، وممن اشترى؟ إنه اشترى من هؤلاء المجاهدين الشجعان، وما هو الربح؟ إنه الجنة والخلود فيها، والنعيم والرضا الإلهى، وهل هناك شيء يعادل ذلك؟ إن الإجابة لا وألف مليون لا، ثم إن الذى وعد بالجزاء هو الله.

أيها الإخوة: عرف المسلمون الأولون فضل الجهاد وأدركوا قيمته ونتائجه، ولهذا كانوا يسرعون إلى حومة الوغى دون تردد، ويسارعون إلى ميدان الشرف بعزيمة قوية، وهمة وثابة، وشجاعة وسرور، تلبية لنداء الدين، وطلبا للحياة الكريمة، وتحقيقا للمعانى السامية الجليلة، وإذا كان الدين يأمر المسلمين بالجهاد عندما تلوح أمارات الخطر، فإنه كذلك يحتم عليهم أن يكون لديهم ما يؤهلهم لتحقيق النصر، ويتمثل ذلك فى الإعداد الروحى والمادى.

والمسلمون جميعا مأمورون فى كل زمان ومكان باليقظة الروحية والتعبئة الحربية، وهم مكلفون أينما كانوا بالاستعداد التام لمحاربة أعدائهم بكل ما يستطيعون من قوة، ولفظ القوة لفظ عام، فهو يشمل كل ما يتقوى به على قتال العدو من آلات حربية وجوية وبحرية وبرية وغير ذلك مما يجعل أمة الإسلام قوية البأس، مرهوبة الجانب، راسخة الدعائم، ثابتة الأركان، كما حثّ الإسلام أتباعه وأمر المستطيعين منهم ماليا ببذل الأموال فى سخاء، لإعداد القوة العسكرية، وتزويدها بما يمكنها من القيام بأداء واجبها على الوجه الأكمل، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠) والأمر بإعداد الخيل باعتبار أنها كانت مركب الحرب فيما مضى أما وقد تغيرت الأحوال وصار مركب الحرب فى هذا العصر الطائرات والصواريخ والسفن والمدرعات والمصفحات والمدافع وغير ذلك مما اخترعه العقل الإنسانى، فإن الأمر الإلهى يتناول كل ذلك وغيره مما

سيستحدث مستقبلا، والمقصود من إعداد القوة إرهاب أعدائنا وإخافتهم، وإنزال الرعب فى قلوبهم، مما يجعلهم لا يقدمون على شىء ضد المسلمين، وهذا الإعداد القوى العظيم هو ما يسمى بالسلم المسلح، والقرآن الكريم يدعو المؤمنين فى كثير من آياته إلى الجهاد، ويأمر بالقتال لدفع الظلم، ونصرة الحق، وإعلاء كلمة الله، والذود عن حياض الأوطان، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٠) وحيث قال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٣٦) والأمة العربية نكبت فى عصرنا الحديث بمن جاءوا من الشتات إلى أرض فلسطين، وأقاموا بها دولة بمساعدة بعض الدول، تلك التى أمدتهم بالسلاح على اختلاف ألوانه، وبإغداق الأموال عليهم لكى يستطيعوا مقاومة من يحاربهم، بل إن تلك العصابات التى احتلت الأرض العربية أقامت فيها ترسانة كبيرة من الإسلحة النووية والجرثومية وغير ذلك من الألوان الأخرى وفى ظلّ تلك الأسلحة احتلت أجزاء من أرض مصرنا العزيزة ومن سوريا ومن فلسطين، ولكن لم يدم احتلال أرض مصر طويلا، حيث إن مصر صممت على أن تلقن العدو الصهيونى درسا يفقده الوعى، واستعدت مصر الاستعداد القوى الكامل، وجاء شهر رمضان المبارك، عام ثلاثة وسبعين فكان الهجوم الكاسح من جانب الجيش المصرى الباسل، وكان العبور من قناة السويس إلى الضفة الأخرى التى يحتلها العدو، وكان تحطيم خط «بارليف» ذلك الحاجز الترابى القوى الذى كان اليهود يعتقدون أنه لا يمكن لمصر مهما أوتيت من قوة، أن تعبر الحاجز المائى، ولا أن تحطم المانع الترابى، وقد توج ذلك العبور الناجح بترديد أبطال العبور كلمات الثقة فى نصر الله لهم، حيث كانوا يقولون فى صدق وإخلاص وتوجه إلى السماء: «الله أكبر، الله أكبر» ومن هذا التكبير استلهموا قوتهم، وأنزلوا الرعب فى قلوب أعدائهم، وأخذ الجيش المصرى المظفر يدك حصون العدو، ويقتل أفراده ويأسر، ويستولى على أسلحته ويحطم معداته، ونتيجة لتلك الحرب التى سجلها التاريخ فى سجله الذهبى، تحررت أرضنا السليبة، وعادت إلى أصحابها الشرعيين، وقد ذهل العالم حين علم بانتصار جيشنا على العدو الغادر، ومازالت الأرض السورية المحتلة لدى العدو، وأجزاء من

الضفة الغربية بفلسطين لا تزال هى الأخرى تحت يد العدو، ولكن لابد من تحرر الأرض العربية أيًا كان موقعها، وسيأتى الوقت الذى يخرج المحتل من تلك الأرض العزيزة علينا، وكما انتصرنا فى تحرير أرضنا سينتصر إخواننا فى سوريا وفلسطين، وستحرر الأجزاء المستعمرة، بتضامننا معهم ومساندتنا لهم، ونحن معهم فى الصورة سلما وحربا، وتأييدا وتعاونًا، ولن يضيع حق وراءه مطالب، ومن قبل جاء الصليبيون إلى الأرض العربية واحتلوها، ومكثوا بها مدة كبيرة من الزمن، ولكنهم فوجئوا بالطوفان العربى يزلزل الأرض من تحتهم، ويفقدهم عقولهم، ويشلّ حركتهم، وكانت النتيجة أن غادروا أرضنا، وسلموها لأصحابها، وجروا أذيال الخيبة وراءهم، وكما اندحر هؤلاء الأعداء الصليبيون وخرجوا أذلاء، فسيندحر كذلك أولئك المعتدون الجدد، إن عاجلا أو آجلا ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

أيها الإخوة: لابدّ من انتصار الحق مهما تجمع ضدّه أهل الباطل، ولابدّ لليل أن ينجلى ويتحقق النصر، ما دام هناك من يدافع عن الحق، ويستعين بالله أولا وقبل كل شىء، والله المستعان به وهو حسبنا ونعم الوكيل، وما أحسن ذلك الشعر الذى يجسد حقيقة النصر مادام هناك من يدافعون ولا يستكينون.

إذا الشعب يوما أراد الحياة ** فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلى ** ولابد للقيد أن ينكسر

وصدق الرسول - ﷺ - حيث قال: «**لازلتم منصورين على أعدائكم مادمتم متمسكين بسنتى**» (الطبرانى).

***

# (٣٨)
# الثقة بالنفس
# من عوامل النصر

## ٣٨ـ الثقة بالنفس من عوامل النصر

الحمدلله أكرمنا بالانتماء إلى دين الإسلام، ذلك الدين الذى يبث فى نفوس أتباعه العزة والكرامة، والتحلى بالفضائل التى هى أعظم حلية، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، يريد للمؤمنين الحياة الكريمة، المبنية على دعائم الأخلاق الفاضلة، والثقة بالنفس والاعتزاز بالعقيدة الإيمانية، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الذى جاء بدين العزة، وبشريعة سمحة كلها خير، وفيها التوجيه إلى طريق الخير، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين كانوا يثقون فى أنفسهم ويعتزون بدينهم، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: الثقة بالنفس لها أثر كبير وفضل عظيم فى وصول الإنسان إلى الهدف الذى ينشده، وأمله الذى يعمل من أجل تحقيقه، وغايته التى يسعى إليها، وما أكثر ما شاهدنا أفرادا، شقوا طريقهم فى الحياة بنجاح منقطع النظير، وحققوا لأنفسهم ولأوطانهم الخير العميم، والسعادة الوارفة الظلال، ويرجع السبب فى ذلك إلى ثقتهم بأنفسهم، وقوة إرادتهم، ومضاء عزيمتهم، وعلو همتهم، وعملهم الدائب، وجهادهم المستمر، والأمة التى يتصف أبناؤها بهذه الصفات النبيلة وتلك الخلال الحميدة، تسجل النجاح فى كل مضمار، وتبرز فى كل ميدان من ميادين الحياة، وتتغلب على كل ما يصادفها من صعاب، وتتخطى الحواجز والعوائق، غير آبهة بما يعترض طريقها، ولا عابئة بما يوجد أمامها من عقبات، وذلك بفضل ما يتحلى به أفرادها من الثقة بالنفس والروح المعنوية العالية.

أجل: فالثقة بالنفس من أكبر عوامل النصر وأعظم أسباب الظفر، وهى السلاح المعنوى الذى لا يفلّ، والذخيرة الحية الفتاكة، والجيش العامل القوى الظافر، والعتاد الحربى العظيم، ولقد كان أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ من النشاط وقوة الإرادة والثقة بالنفس فى المنزلة العليا، فلم تمرّ بهم فرصة سانحة إلا انتهزوها، ولا عمل فيه خير ونفع إلا قاموا به، غير مكترثين بالصعاب، ولا هيابين حوادث الزمان، والتاريخ حافل بالأمجاد

والبطولات للمسلمين الأولين، فقد انتصروا على قلّة عددهم وضآلة عدتهم فى غزوة بدر على أعدائهم الذين يفوقونهم عددا وعدة، وذلك بفضل الله ونصره لهم، ولعزيمتهم الصادقة، وإرادتهم القوية، المستمدة من الإيمان الراسخ بالله سبحانه وتعالى وتلك هى موقعة اليرموك التى كان فيها عدد المسلمين نحو أربعين ألفا، وعدد أعدائهم من الروم نحو أربعين ألفا ومائتى، ألف، والتى قيل آنئذ لخالد بن الوليد: «ما أكثر الروم وأقل المسلمين» فما كان من خالد إلا أن انطقه الله بقولة تدل على عمق الإيمان وقوته، والأمل الكبير فيمن يملك النصر وهو الله، والشجاعة المنقطعة النظير والثقة فى الله، قال خالد - رضي الله عنه -: «ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال» وبهذه الإرادة الصلبة، وتلك العزيمة القوية، انتصر المسلمون فى اليرموك على الروم، مع ما بين الفريقين من تفاوت كبير فى العدد والعتاد، وهذه موقعة القادسية، سجل المسلمون فيها النصر على أعدائهم من الفرس وكان المسلمون لا يزيدون على ستة عشر ألفا وعدوهم من الفرس مائة ألف أو يزيدون، ولقد حارب المسلمون فى اليوم الأول إلى الغروب فلم ينتصروا، فقووا روحهم المعنوية وقاتلوا فى اليوم الثانى إلى منتصف الليل فلم يظفروا بأعدائهم، ولكن ذلك لم يؤثر فى معنوياتهم ولم يضعف عزيمتهم بل واصلوا الجهاد فى اليوم الثالث من الصباح حتى الصباح الذى بعده، ولم يدعوه إلا فيما بين المغرب والعشاء، فلما لم يصلوا إلى أمنيتهم واصلوا القتال إلى أن قام قائم الظهيرة، وعندئذ أزالوا الفرس عن مواقعهم وأجبروهم على التقهقر، وكان هذا النصر فاتحة لإضعاف قوة الأعداء، واستطاع المسلمون فتح عاصمة ملكهم، والاستيلاء على جميع بلادهم، وما السبب فى ذلك؟ إن السبب واضح كل الوضوح، ويتمثل فى قوة الإرادة، ومضاء العزيمة، وارتفاع الروح المعنوية، والثقة بالنفس، وأهم من ذلك كله، الاعتماد على الله، وطلب العون والنصر من الله، ومن أمثلة قوة العزيمة ما قيل: إن رجلا حاول وهو صغير السن صعود شجرة فسقط وكسرت رجله، فلازم فراشه حتى برئ، وبعد أن شفى كان أول عمل قام به بعد شفائه طلوع هذه الشجرة، واستطاع أن يحقق ذلك الأمل، بفضل عزيمته وقوة إرادته وثقته فى نفسه.

أيها الإخوة: إن الثقة بالنفس تمدُّ الإنسان بطاقات هائلة من القوة، وتؤهله للعمل المثمر الخلاق، وتذلل أمامه الصعاب، وإن قوة الإرادة تحطم الصخور، وتتغلب على ما يصادفها من معوقات وعقبات، وهى الأساس الذى يبنى عليه العمل والنشاط، والدين الإسلامى ـ وهو دين العمل والقوة ـ يأمرنا بقوة الإرادة، ومضاء العزيمة، والثقة بالله والنفس، وينهانا عن العجز والكسل والتواكل والضعف، ولقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يربى فى أصحابه روح النشاط والعمل، ويوجههم إلى ما فيه خيرهم وإسعادهم وقوتهم، وأمتنا العربية التى ابتليت بالهجوم الخاطف من قبل الصهيونية ومن يساندونها، وأصيبت بهذه النكسة نتيجة تلك الهجمة الغادرة، استطاعت أن تحول الهزيمة إلى نصر، وأن تعيش فى جوِّ الأفراح، وبعد أن استردت الأرض وحررت تلك المنطقة التى احتلت، استطاعت مصرنا العزيزة بقوة الإرادة المتوجة بعون الله، وبالعزيمة الصادقة المبنية على النصر من الله، وبالاعتزاز بالأرض العزيزة الغالية، استطاعت فى ظلّ ذلك كله، أن تحقق الجلاء بعد أن هُزِمَ العدو واندحر، وباء بالخيبة والخسران، ورحل يجرّ أذيال الهزيمة الشنعاء.

إن قوة الإيمان تصنع المعجزات والثقة فى نصر من يملك النصر وهو الله تعالى تتحقق الانتصارات، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٦) إن الأرض العربية التى تقلنا، ونستظل بسمائها، ونشرب الماء الذى عليه حياتنا من أنهارها، ونأكل من مزروعاتها، ونطعم ثمارها وفواكهها، ونعيش فى ظلّ خيراتها، لها كل الفضل علينا، ولذا علينا لها دين كبير، وهذا الدين يقتضى منا الذود عن حياضها بكل ما أوتينا من قوة، والدفاع عن كل شبر فيها ببسالة فائقة، وتلقين كل من يريد بها شرًّا درسا قاسيا حتى لا يفكر فى الهجوم عليها، والأرض العربية أمانة فى أعناقنا، ونحن مسئولون عن دفع الأخطار عنها، ورفع المعاناة عن أبنائها، وإزالة الأشواك من طريق تقدمها ورفعتها.

أيها الإخوة: لنتمعن فى قول الشاعر الذى قدر أهل العزم وأشاد بهم، وقرر أن أولى المكارم يحققون الآمال الكبيرة لبلادهم، وينهضون بأوطانهم، ويرفعون شأن أممهم، فماذا قال الشاعر؟

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ** وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغيرها ** وتصغر فى عين العظيم العظائم

إنه لشعر مؤثر هادف، وإنه يرتكز على قاعدة الحكمة، وهو يستهدف بعث وتقوية العزيمة، ويوقظ النفوس ويحيى موات القلوب، والدين قبل ذلك دين هادف، يستثير فى أتباعه العمل الجاد المثمر، والقرآن الكريم أمر المسلمين بأن يعملوا وألا يكونوا خاملين، وعملهم الذى يريده الدين منهم يكون بالنسبة للدنيا والآخرة، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**» (متفق عليه).

***

# (٣٩)
# فى رحاب الحرية

## ٣٩ـ فى رحاب الحرية

الحمدلله كتب العزَّة له سبحانه ولرسوله وللمؤمنين، والعزَّة لا تتحقق إلا فى ظلّ الحرية، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨) وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله جاء بدين الحرية والعزّة، والاحترام للإنسان وتكريمه، وإرشاده إلى الحياة فى ظلّ تلك المعانى الإنسانية، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين عاشوا فى جوٍّ الحرية الذى كفله لهم الدين، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: إن لكلمة الحرية جرسا جميلا فى آذان من يعيشون فى ظلها، والحرية لها معنى لطيف ومفهوم عظيم، إذ إنها تعنى الحياة تحت سماء الكرامة الإنسانية، وفوق أرض تغمرها السعادة والعزّة، وفى جوٍّ بعيد عن المكدرات، خال من المنغصات، عامر بالمسرات، زاخر بما يشرح الصدور، ويثلج القلوب.. تلك بعض المعانى الجميلة التى تحتضنها كلمة الحرية، والحياة الحرَّة الكريمة ليست محببة إلى الإنسان فحسب، وإنما يمتد حبها إلى غير الإنسان، ولذا يعشق حياة الحرية الحيوان فى الصحراء، والسمك فى الماء والطير فى الهواء، والإنسان بما وهبه خالقه من أسمى نعمة وهى العقل، وما زوده به من عواطف رقيقة، ومشاعر جميلة، وأحاسيس إنسانية، هو بحاجة ماسّة إلى أن يستظل بظل الحرية، حتى يشعر بلذة الحياة، ويحس بطعم السعادة التى ينشدها، فالحرية إذاً بالنسبة للإنسان ضرورة حياتية، وهى له بمثابة الرئتين للجسم، فإذا وجدت له الحرية الكاملة عاش سعيدا عزيزا، أما إذا فقدها فقد الحياة الحقيقة، وعاش ميتا فى صورة الأحياء، ولا خير فى حياة بهذه الصورة، ولقد وفق الشاعر الذى صور الحياة الخالية من الحرية بالعيش فى نار جهنم، وفضل احتساء كأس الحنظل الشديد المرارة بعزَّة، على شرب ماء الحياة بذلة ومهانة، فماذا قال هذا الشعر؟

لا تسقنى ماء الحياة بذلة ** بل فاسقنى بالعزِّ كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم ** وجهنم بالعزّ أطيب منزل

فالحرية أعزّ شىء فى الوجود، وهى نور الحياة وبهجتها، وتحت ظلالها يعيش الفرد عزيزا كريما، وفى رحابها يوجد الأمن والسلام، وفى كنفها يتحدث المصلح الاجتماعى، وتزدهر الثقافة، وترقى المدنية، وتسود العدالة، وتكون الحياة حلوة المذاق، ذات طعم جميل، وظلّ ظليل، وفى غياب الحرية يختفى الأمن وتكون الذلة والتعاسة، ويسود التخلف والتردى فى هوة الجهل وبؤرة البلاء. ولقد ولدت الحرية عندما بزغ فجر الإسلام، وأرسيت دعائمها حين سطح نور ديننا الحنيف ذلك الدين الذى ينادى بحق الإنسان فى الحرية، وينهى عن سلب ذلك الحق المشروع، ونبى هذا الدين العظيم محمد - ﷺ -، حرص كل الحرص على تعميق مبدأ الحرية، وبين أن الإنسان الذى يقبل العيش فى ذلة، والحياة دون حرية، وهو طائع مختار، راض غير رافض تلك الحياة، الإنسان الذى بهذه الصورة، ليس على طريقة رسول الله - ﷺ -، ولذا قال فى هذا الشأن: **«من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منى»** وعلى ضوء هذا الحديث النبوى الشريف، ندرك تمام الإدراك أن الدين لا يقرّ الحياة الذليلة، ولا يرضى بغير الحياة العزيزة الكريمة بديلا، ولهذا قرر هذا الدين العظيم أن من يقتل فى سبيل الحصول على الحرية والدفاع من أجل تحقيقها فهو شهيد، ومن ذاد عن حماها وكافح من أجل ارتفاع رايتها وليستظل الناس بظلّها فهو بطل عظيم، ولقد سجل التاريخ بمداد الفخر والإعجاب والتقدير فى كتاب الفضائل والسجل الذهبى السيرة العطرة، والذكر الجميل، لأولئك العظماء الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل حرية بلادهم، وتحملوا المتاعب وتجشموا المشاق من أجل تخليص أوطانهم من ربقة الاستعباد، ولم يرضوا لأنفسهم ولا لإخوتهم فى الإنسانية والوطن أن يكونوا مقيدين بقيود الذلة والمهانة، ومكبلين بسلاسل الطغيان والاستبداد، ولذا كانوا جديرين بالتقدير فى حياتهم وبعد مماتهم، وتلك هى ذكراهم عطرة، ومسيرة حياتهم فوّاحة، وهم أبطال الحرية، ونعمت البطولة فى هذا الميدان وتلك هى أمتنا العربية نكبت بالاستعمار زمنا طويلا، وجثم على صدرها هذا الكابوس البغيض وذلك الشبح المخيف فترة ليست قليلة، وقد اقترن هذا الاستعمار بسلب الحريات، وتكميم الأفواه، وخنق

الروح الوطنية، وكان الحكام فى ظلّ الاستعمار كالدمى فى يد المستعمرين، فالسياسة آنذاك من صنع الأجنبى، والتعليمات من جهة العدو، وجميع الشئون المتصلة بالمواطنين تصدر من سالبى حرية الوطن، ولكن الشعوب العربية لم تقبل العيش فى كنف العدو، ورفضت هذه الحياة التى تتمثل فيها الذلة والاستعباد والطغيان، والظلم، وهبت تطالب بحقها فى الحياة الحرة الكريمة، وثارت على المستعمرين ثورة عاتية عنيفة، وطالبتهم بالرحيل عن بلادهم إلى غير رجعة، ولما أدرك أعداء العرب جدّية الثورة، وإيجابية المطالبة بالحق المضيع المسلوب، رحلوا مشيعين بالخزى واللعنات، وجلوا تحت تأثير الضغط الشعبى والثورة العارمة، وبرحيل الاستعمار البغيض عادت الحريات إلى أهلها، وبجلائه صارت الشئون تدار بأيدى أبناء هذه الشعوب التى كانت مغلوبة على أمرها.

أيها الإخوة: الاستعمار شرّ وبلاء، وضرر كبير وخطر جسيم، ولا يحلُّ فى منطقة من مناطق العالم، إلا وحمل معه هدم الشخصية الوطنية، ولا يوجد فى مكان إلا وعمل جاهدا وبكل الوسائل وشتى الطرق على وأد الحرية، وطمس المعالم الحضارية، ونشر الجهل والمرض والفقر، ولقد رحل الاستعمار التقليدى القديم عن كل الأقطار العربية، لكنه يحاول الظهور على مسرحه الممقوت بوجه آخر مقنّع، رغبة منه فى ممارسة طبعه الدنىء، وحنينا منه إلى غريزته الشريرة التى طبع عليها وعرف بها، ولكن ليعلم الاستعمار أن الأبواب والنوافذ موصدة أمام وجهه مهما تخفى، والأقطار العربية له بالمرصاد، ولن يستطيع اختراق جبهتها مهما حاول، لأنها يقظة ووعت الدرس الاستعمارى، وهى التى كافحت الكفاح المرير، وجاهدت زمنا طويلا من أجل الحصول على حريتها، ودافعت دفاعا عظيما من أجل الغاية النبيلة، وهى الحياة العزيزة الكريمة، وقد كلفها ذلك الكفاح الكثير من التضحيات، والأعداد الغفيرة من الشهداء، وليعلم المستعمرون أيضا أن ألاعيبهم مفضوحة، ومناوراتهم مكشوفة، وخططهم الخبيثة لدينا معروفة، وأن عجلة الزمن لا يمكن أن نسمح لها بأن ترجع إلى الوراء، وأن الأحرار حريصون كل الحرص على المحافظة على مكاسبهم التى حققوها وكرامتهم التى استردوها، وحريتهم التى استرجعوها وإن أعينهم ساهرة للدفاع عن بلادهم، والذود عن أوطانهم.

أيها الإخوة: إن الحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بالقوة، وهى لا تتأتى عن طريق الأمانى، ولكن عن طريق الكفاح المتواصل ضد سالبيها، وربُّ العزَّة خلقنا أحرارا، ومن العار أن نفرط فى حريتنا، ولنضع نصب أعيننا دائما قول أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - لعمرو بن العاص بعد اعتداء ولده على آخر من مصر: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟».

فلنحافظ دائما على حريتنا، ولنضح بكل غال ونفيس من أجلها، فلا خير فى حياة تخلو من الحرية، ولا قيمة لمن يعيشون راضين عن الحياة فى غير ظلّ الحرية، وصدق الرسول - ﷺ - حيث قال: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا، كتاب الله وسنتى**» (مالك).

***

## (٤٠)
## واجب الفرد نحو وطنه

## ٤٠ - واجب الفرد نحو وطنه

الحمدلله خلق الإنسان وجعل فيه جانب خير وجانب شرٍّ، وهو القائل سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧ - ٨) وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال فى كتابه الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩ - ١٠) وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، وجه الناس إلى طريق الخير، وأرشدهم إلى المعرفة بالله وأخرجهم من الظلمات إلى النور، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك، الذين عرفوا طريق النور فسلكوه، واقتدوا برسول الإسلام فى مسيرة الحياة، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة: للوطن على الأفراد حقوق يجب أن تصان، وللأمة على أبنائها واجبات لابدّ أن تؤدى بإخلاص، وبقيام المواطنين بما عليهم من حقوق ومسئوليات تجاه وطنهم تتحقق الآمال، وتتوفر الفرص التى تدفعه إلى المستوى العالى الرفيع من النهضة والتقدم والمجد والعظمة، ولا شك أن كل فرد مدين لوطنه، إذ إنه يستظل بسمائه، وينشأ ويترعرع ويعيش فوق ترابه، ويتغذى بخيراته ويشرب ماءه، ويستقبل برئتيه فى كل وقت من أوقات حياته هواءه الجميل ونسيمه العليل، وإذاً ففى عنق كل فرد دين لوطنه، ولا تبرأ ذمته من هذا الدين إلا إذا قام بواجبه نحو وطنه على الوجه الأكمل، وذلك بأن يعمل مخلصا على تقدمه ورفعته، ويتفانى فى خدمته وعلو شأنه، ويبذل كل ما فى وسعه لما فيه خير أمته، ومسئولية كل إنسان تختلف عن مسئولية غيره، وتتنوع الواجبات تبعا لتنوع عمل كل فرد، إذ ليس الجميع يزاولون عملا واحدا، وليس كل المواطنين يمارسون وظيفة اجتماعية واحدة، وإنما تتوزع الأعمال وتتنوع الوظائف، ومن هنا تنوعت الواجبات تجاه الأمة، فالفلاح مثلا يختلف واجبه عن غيره، ولهذا فواجبه نحو بلاده لينهض بها، أن يعمل جاهدا فى حقله، ويخلص فى خدمة أرضه، وينوع حسب الحاجة فى زراعته، كى يوفر لها ما تحتاج إليه من غلات، ويوجد لها ما يناسبها من محاصيل، وأن يحفظ ثروة وطنه حتى لا تتسرب إلى أيدى الأعداء، وإهمال الفلاح فى الزراعة، وعدم قيامه بما يجب عليه نحوها، وتهاونه فى خدمة الأرض، يعتبر

كل هذا تقصيرا وإهمالا فى حق الوطن، ويترتب على ذلك استيراد محاصيل من الخارج، وجلب أشياء من الغير بأثمان باهظة وأسعار عالية، ولو أن الفلاح قام بحسن الإنبات والإخراج، لما كانت هناك حاجة للاستيراد، ولظلّ مال الوطن لأهله فعلى كل إنسان فى أى موقع أن يجتهد ويعمل على وفرة ما تحتاجه البلاد لخير الوطن وإسعاد المواطنين، ثم من الواجب كذلك، التعاون مع أبناء الوطن على نشر الطمأنينة والأمن، والتبليغ عن المجرمين والمفسدين، كى يعم الأمان ويعيش الجميع فى وئام وصفاء.

وواجب الصانع أن يخلص فى صنعته ويتقنها، وأن يطور عقله وصناعته، ويعمل على التجديد والابتكار، وألا يقف جامدا عند أشياء تقليدية روتينية، بل يجب عليه أن يدخل ميدان الاختراعات من أوسع أبوابه، وبذا يمكن الاستغناء عن الصناعات الأجنبية، أو على الأقل يكون استيرادها فى حدود ضيقة، ولا ريب أن ذلك مما يعود على الوطن بالخير والرفعة وواجب التاجر أن يجلب من البضائع ما تحتاج البلاد إليه، وأن يكون سمحا فى معاملته وبيعه، فلا يغالى فى الربح، ولا يحتكر السلعة ويمنعها عن الناس ليبيعها فى الوقت المناسب فى السوق السوداء، وألا ينقص الكيل أو الميزان، أو يغش أحدا فيما يشتريه منه، وأن يكون تاجرا صادقا كما يأمر بذلك الدين، وبذلك يسهم فى خدمة المجتمع، ويؤدى واجبا عليه نحو وطنه وأبناء وطنه.

وواجب الموظف أن يخلص فى عمله، ويقوم بإنجازه والسرعة فيه بوازع من دينه ونفسه، وألا يؤخر عمل اليوم إلى الغد، وأن يعامل المواطنين على قدم المساواة، فلا يحابى قريبا لقرابته، ولا يجامل صديقا لصداقته، بل يجب أن يكون الجميع فى مستوى واحد، لأنهم جميعا أبناء وطن واحد.

وواجب رجل الدين أن يعالج النفوس المريضة بالحكمة والموعظة الحسنة، ويقوم المعوج فى سلوكه، ويهذب الناس، ويوجههم نحو الخير، ويرشدهم إلى احترام دينهم ووطنهم، ويغرس فيهم روح الوطنية الصادقة، وينمى الأخلاق الطيبة فى نفوسهم، ويتعهدهم بالتوجيه والنصح بإخلاص وكياسة وفهم، وفى كل ذلك، يجب أن يكون قدوة صالحة وأسوة حسنة، حتى يثمر توجيهه ويأتى بالنتيجة المرجوة ويحقق للوطن ما يصبو إليه من قوة ومنعة، وسؤدد وسعادة.

وواجب رجال الجيش درء الأخطار عن الوطن، والاستعداد التام للتصدى الكامل لكل من يريد به شراً، واليقظة التامة لحمايته ودفع الشرّ عنه، والتدريب المستمر والتجديد فيه، والعمل على صيانة أرضه وسمائه وبحره، وكل بقعة فيه من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

وواجب رجال الشرطة تعقب المجرمين وتسليمهم إلى يد العدالة للقصاص منهم وتطهير المجتمع من شرهم، ونشر الأمن والحفاظ عليه فى ربوع الوطن، ليؤدى كل فرد فيه واجبه وهو آمن، ويقوم كل مواطن بعمله وهو مطمئن، ولا يخشى امتداد السوء إليه بالشر، ولا يخاف من عدوان يقع عليه ويهدد حياته، ويعيق مسيرته.

تلك أمثلة نتبين منها أن لكل فئة فى المجتمع عملا معينا وواجبا مختلفا، والنتيجة العامة لكل ما سبق، إسعاد الوطن وعزته، والنهوض به ورقيه فى جميع المجالات، والأخذ بيده إلى طريق المجد والعظمة.

أيها الإخوة: إن أبناء الوطن على اختلاف مراكزهم، وتباين مواقعهم، وتنوع اختصاصاتهم، من ذكور وإناث، كل هؤلاء بحاجة ماسة إلى التوعية الشاملة، عن طريق أجهزة الإعلام ووسائله المختلفة، وتبصيرهم بما هو مطلوب منهم فى كل مجال من المجالات، حتى يعوا مسئولياتهم، ويفهموا واجباتهم، ويتعاونوا جميعا لمصلحة بلادهم، ويتفانوا فى عمل كل ما من شأنه أن يجعل الوطن نموذجا يحتذى ومثلا يقتدى به.

إن الواجب على كل مواطن أن يضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار، وأن يعمل فى إطار المصلحة العامة، وألا يكون أنانيا يحبّ مصلحته وذاته، إذ إن الأنانية شرٌّ وبلاء، وحبُّ الذات يؤدى إلى الإضرار بالوطن، والدين الإسلامى الذى ننتمى إليه يدعونا إلى نبذ الأثرة، ويحثنا على حبِّ الوطن، والعمل من أجل إسعاده وعزته، وحبُّ الوطن من الإيمان، ومن الوفاء لوطننا أن نؤدى أعمالنا بإخلاص وأمانة وصدق وإتقان، وصدق الرسول ﷺ حيث قال «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**» (البيهقى).



بتوفيق من الله وعون ممّن يستعان به وهو الله، قمت بكتابة تلك العظات التى حواها الجزء الثانى من «الرياض» وها هى ذى خرجت إلى حيز الوجود ودنيا الواقع، لتكون فى متناول أيدى القراء الأعزاء، فإن كنت وفقت فيما كتبت فذلك الفضل من الله، وهذا التوفيق يفرض علىّ تقديم أجزل الشكر وأطيب الثناء لله، لأنه سبحانه هو الذى أعاننى، والتوفيق منه جلّ شأنه منه لا من غيره، والوصية المحمدية توجهنا إلى الاستعانة بمن يملك العون وهو الله، وتأمرنا دائما أن نكون فى هذا الإطار الإيمانى «واستعن بالله ولا تعجز» ونحن نخاطب ربنا فى كل ركعة من صلواتنا بإقرارنا الصادق وقولنا المتجدد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالله هو الذى يستعان به، ولن يحقق الإنسان آماله فى الحياة إلا إذا صاحب اجتهاده عون من الله - تبارك وتعالى ..

إذا لم يكن عون من الله للفتى ** فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فاللهم اجعلنا دائما فى ظلّ عونك، وكن معنا بتوفيقك وفضلك، والمرجو من الإخوة الذين اقتنوا تلك «الرياض» أن يتكرموا بالدعاء الصالح لى، والدعاء بظهر الغيب مستجاب من الله، وإذا كان التوفيق جانبنى ولم يحالفنى، فأنا إنسان والإنسان ليس كاملا، والكمال لله وحده دون سواه، والعصمة لأنبيائه عليهم أزكى الصلاة وأتم السلام، والله أسأل أن يأخذ بيدى نحو طريق الكمال، ويوجهنى إلى سبيل الخير، اللهم آمين

**حامد على زقزوق**

**من علماء الأزهر الشريف**

## قائمة بكتب للمؤلف طبعت

١. محاربة النفس . قصة

٢ . وحى الفكر. نثر وشعر

٣ . الرياض الندية فى الخطب المنبرية . الجزء الأول

٤ . الرياض الندية فى الخطب المنبرية . الجزء الثانى

٥ . دليل الدعاة مع آخرين

٦ . المائدة الرمضانية

٧ . السبائك الذهبية مع آخر

٨ . طُرف ومُلح وعِظات مع آخر

## قائمة بكتب للمؤلف تحت الطبع

٩ . آيات ومواقف

١٠ . من قضايا القرآن الكريم

١١ . من الهدى النبوى

١٢ . من وحى التلاوة

١٣ . مع الأنوار القرآنية

١٤ . وَرْدٌ وأشواك . قصة

# الفهــــرس